المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
Princess Norah Bint Abdulrahman Univerisity
(048)
Godudi Studies and Scienfific Research Vice-Rectora Deanship of Graduate Studies
Faculty of Arts
Department of Arabic language and its literatures

التناسب البلاغي في جزء تبارك

إعداد الطالبة

حمساء بنت عبدالهادي بن فهد القحطاني

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية / الأدب والبلاغة من قسم اللغة العربية

إشراف الدكتور

عمر بن عبدالعزيز المحمود

الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
Ministry Of Education
Princess Nourah bint Abdulrahman University
(048)
Graduate Studies and Scientific Research Vice-Rectorate
Deanship of Graduate Studies
نموذج (١٦/أ)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن
(٠٤٨)
وكالة الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي
عمادة الدراسات العليا

اعتماد نتيجة لجنة المناقشة والحكم

(ماجستيـــــر)

نوقشت رسالة الطالبة : حمساء بنت عبدالهادي فهد القحطاني بتاريخ ٢٧/ ٣ / ١٤٤١هـ

وتكونت لجنة المناقشة والحكم من الأساتذة :

	الاسم	المرتبة العلمية /التخصص	الجهة	صفة العضوية	التوقيع
١.	د. عمر بن عبدالعزيز بن صالح المحمود	أستاذ مشارك/ البلاغة والنقد	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	مقرر	
٢.	د. خلود بنت عبداللطيف بن صالح الجوهر	أستاذ مشارك / البلاغة والنقد الحديث	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية باحساء	عضو	
٣.	د. منيرة بنت مرعي بن راشد الزهراني	أستاذ مساعد/البلاغة والنقد	جامعة الأميرة نوره بنت عبدالرحمن	عضو	

قرار اللجنة منح الطالبة درجة الماجستير في

تخصص :(الأدب والبلاغة) بتقدير

تاريخ موافقة مجلس الكلية على المنح : / / ١٤هـ

وكيلة الكلية للدراسات العليا ختم الكلية عميدة الكلية

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

ص: ٢٩

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ من بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشَيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْده».

أخرجه البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ

إهداء

أهدي هذا العمل لوالدي رحمه الله ووالدتي الغالية أدامها الله لي اللذين لا أرجع الفضل بعد الله إلا لهما فيما أشعر به الآن من السعادة بعد إنجاز العمل؛ فهما اللذان زرعا فيَّ روح الطموح وحب النجاح. وأهديه إلى إخوتي وأخواتي الذين ما فتئوا يشجعونني على المضي في العمل كلما اعتراني شيء من السآمة والضجر.

والعمل هدية أثيرة إلى نفسي ولأسرتي الحبيبة: زوجي وأبنائي الذين آثروني بوقتهم وراحتهم وصبرهم ومسامحتهم على بعض التقصير في حقهم بسبب انشغالي بالعمل في البحث. أسأل الله أن يجزيهم عني الخير كله، ولهم مني كل الحب والتقدير.

الباحثة

شكروتقدير

أحمد الله حمد الشاكرين أن منَّ عليّ بالتوفيق إلى إكمال هذا العمل الذي أرجو أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل فيه فائدة لطلاب العلم والمعرفة.

وأودّ في هذا المقام أن أزجي الشكر الجزيل لسعادة الدكتور عمر بن عبد العزيز المحمود الذي أشرف على هذا البحث وتابعه معي بكل تفاصيله بالإرشاد السليم، والتوجيه السديد في صبر وأناة، وأسأل الله أن يجزيه عنّي خيراً كثيراً. كما أشكر كلاً من سعادة الدكتورة/ خلود بنت عبد اللطيف الجوهر الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، وسعادة الدكتورة/ منيرة بنت مرعي الزهراني، الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية، اللتيْن تفضلتا عليّ بقراءة هذا البحث ومناقشتي ولم تبخلا عليّ بالمعلومات المفيدة والآراء السديدة، وأشكر زميلاتي اللاتي وقفن إلى جانبي بشتى ألوان المساعدة إبان فترة دراستي وعملي في هذا البحث.

الباحثة

ملخص البحث

هذا بحث بعنوان: (التناسب البلاغي في جزء تبارك)، وينقسم إلى مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة ونتائج وتوصيات. تناولت المقدمة أهمية الموضوع من حيث إنه يقع في دائرة البحث في القرآن الكريم، ومحاولة تيسير فهمه على المسلمين، وتدبُّر معانيه اللطيفة الخفية، مما يكسبه – مع توفُّر خلوص النية – شرف المقصد ونبل الغاية. كما تناولت المقدمة أيضاً أهداف الدراسة التي كان أهمها تجلية طرائق القرآن البديعة في عقد التناسب بين سور جزء تبارك وآيات كل سورة من سوره. وتناولت أيضاً مشكلة البحث المتمثِّلة في إثبات أن سور جزء تبارك يتَّصل بعضها ببعض بصور مختلفة من علاقات التناسب، وتتَّصل آيات هذه السور وأجزاؤها بعضها ببعض كذلك.

أما قسم التمهيد فناقشت الباحثة في الجزء الأول منه التناسب في القرآن الكريم من حيث معناه ومفهومه وأهميته، وقارنت بين مفهوم التناسب لدى البلاغيين من ناحية ولدى المفسرين من ناحية أخرى، وعدَّدت أيضاً أنواع التناسب، وصور العلاقات التي تحدَّث عنها علماء المناسبة في القرآن الكريم. وناقشت في الجزء الثاني منه سور جزء تبارك من حيث فضلها وموضوعاتها ونوعها من حيث موضع نزولها بين المكي والمدني.

وفي الفصل الأول من فصلي الدراسة تناولت الباحثة علاقات التناسب بين سور الجزء بحسب ترتيبها في المصحف، وكان من ذلك بحث علاقات التناسب بين مقصود السورة ومقصود ما قبلها، ومطلع السورة بخاتمة ما قبلها، ومطلع السورة بمطلع ما قبلها، وخاتمة السورة بخاتمة ما قبلها.

وفي الفصل الثاني تناولت الباحثة علاقات التناسب داخل السورة الواحدة، وكان من ذلك علاقة اسم السورة بمقصودها، ومطلع السورة بمقصودها، وخاتمة السورة بمقصودها، ومطلع السورة بخاتمتها، وبين الفواصل وآياتها، وبين الآيات المتتابعة.

وختمت الباحثة البحث بخاتمة بيَّنت فيها تفاصيل رحلتها مع البحث وفصليه ومباحثه المختلفة وما جابهها في ذلك من تحدِّيات إعمال الفكر والقدح الذهني. كما تحدَّثت عن منهجها في الأخذ من المراجع والاستفادة القصوى منها.

وأعقبت ذلك بالنتائج التي وصلت إليها بعد كل ذلك، فذكرت أن كل ما افترضته من أوجه التناسب بين السور والآيات قد ثبتت صحته بعد البحث والدراسة والاستقصاء.

ثم كان أن تقدَّمت— بما توافر لها من ملاحظات خلال تجربة البحث — بجملة من التوصيات للراغبين في إجراء بحوث في موضوع التناسب البلاغي في القرآن الكريم.

Research Summary

This is a research titled: (The rhetorical relativity in the suras of Part Tabarak). It is divided into an introduction, a Preface, two chapters, conclusion, Results and recommendations. The introduction discussed the importance of the topic from the point that it deals with research in the Holy Quran, and try to facilitate its deeply understanding to the Muslims which gives the work the honor of noble intent. The introduction also dealt with the objectives of the study that the most important of which is the discovery of the wonderful methods of the Quran in linking between the Suras of part Tabarak and the verses of each surah. It also addressed the research problem of proving that the Suras of part Tabarak relate to each other with various kinds of rhetorical relativity.

In the Preface section the researcher discussed the rhetorical relativity in the Holy Quran in terms of its meaning, concept and importance. She compared between the concept of rhetorical relativity among the Scholars of rhetoric and the Interpreters of the Quran. She also enumerated the kinds of rhetorical relativity that mentioned by the scholars of relativity in the Holy Quran. And discussed in the second part the suras of the part of Tabarak in terms of virtue, topics and type of the descent between Almaki and Almadani.

In the first chapter of the study the researcher studded the relativity between the suras of part Tabarak according to their order in the Mus-haf in terms of the purpose, the beginning and the ending.

In the second chapter, the researcher dealt with rhetorical relativity within the single Surah, including the relations of the name of the Surah with its purpose, the beginning of the Surah with its purpose, the ending of the Surah with its purpose, the beginning of the Surah with its ending, and between the Fasilas and their verses.

The researcher concluded the research with a conclusion, in which she outlined the details of her journey with the research and its various chapters and discussions, as well as the challenges she faced and her approach to collecting the maximum benefit from references.

After that, the researcher wrote down the results that came after all of this. She mentioned that all the hypotheses of relativity that she has assumed between the Suras and the verses have proven true after the research and study.

The researcher then gave a set of recommendations for those wishing to conduct research on the subject of rhetorical relativity in the Holy Quran.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء و المرسلين، نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فالقرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على رسوله الكريم مُحَمَّد بن عبد الله، ليهدي به البشرية إلى الصراط المستقيم، ويخرجها به من الظلمات إلى النور، ومن عبادة الخلق إلى عبادة الخالق. واقتضت حكمته – تبارك وتعالى – أن ينزِّله بلسان عربي مبين على نبيه العربي الأميّ، وأن ينزِّله معجزاً لخلقه عن أن يأتوا بسورة من مثله، وجعل من آيات هذا الإعجاز بلاغته التي قصد بها تحدِّي العرب الفصحاء البلغاء الذين أنزله عليهم؛ تأييداً لنبيّه بهذا الإعجاز ونصراً له، وبرهاناً على صدق رسالته.

ولا تتحقَّق هداية القرآن، والاستفادة مما جاء فيه من سبل تنقية العقيدة، ومعرفة الشرائع وفهمها، وتبيُّن التوجيهات والإرشادات الربانية التي تضمن للأفراد والمجتمعات حياة سليمة كريمة، إلا بفهم معانيه ودلالاته؛ لبلوغ غاياته.

ومعاني القرآن منها ما هو واضح بيِّن يُدرَك بمعرفة المعاني المعجمية للمفردات، والوظائف النحوية في التراكيب، ومنها ما هو خفيٌّ يُحتاج في فهمه إلى التدبُّر بتفهُّم استعمال آلات البلاغة. والتدبُّر يعين – بحول الله وقوته – على كشف خفيِّ المعاني بالتحليل البلاغي؛ خدمةً للمسلمين بإعانتهم على فهم القرآن الكريم، وبيان مواطن بلاغته، وشواهد إعجازه.

ومن مظاهر الإعجاز البلاغي لسور القرآن الكريم وآياته، التناسب بوصفه ظاهرة ماثلة في بيان المعاني القرآنية؛ لأنها تحاول استجلاء مقاصده المنطوية في تضاعيف صور التناسب بين السور، وبين المطالع والخواتيم، وبين الفواصل وآياتها، وأوجه التناسب كلها.

ولأن القرآن تحدى العرب في الإتيان بكلام مثله، كاشفاً لهم عن إعجازه واستحالة قدرتهم على فعل ذلك، وجب أن يبذل الدارسون جهوداً في بيان مواطن هذا الإعجاز، وكيف حدث؟ ولماذا جاء؟ وما ملامح هذا الإعجاز؟ من هنا تجيء هذه

الدراسة التي تتلمس بعض مواطن التحدي والإعجاز من خلال البحث وراء الأسرار البلاغية والجمال الفني لسور القرآن، وتناسب أجزائها، وعلاقة بعضها ببعض.

أهمية الموضوع:

يكتسب هذا الموضوع أهميته من عدة جوانب:

١-وقوعه في دائرة البحث في ميدان القرآن الكريم، وكل دراسة تتوخى خدمة القرآن الكريم، وتيسير فهمه لعموم المسلمين؛ فهي عمل شريف مهمٌّ طالما اقترن بالنية الخالصة، والمقصد النبيل.

٢- أهمية التناسب في دراسة الإعجاز القرآني لما فيه من إعجاز بلاغي، فهو علم قل المشتغلون به لصعوبته ودقته، وهذا مما شجع الباحثة على فكرة الدراسة التي تعتمد منهجا تحليليا في جزء واحدٍ من القرآن الكريم هو جزء تبارك.

٣- الإعانة على تدبر معاني القرآن اللطيفة الخفية التي يصعب على العامة الوصول إليها؛ إذ إنها تحتاج إلى ملكات وقدرات لا تتوافر إلا عند من خصَّه الله بملكة التذوُّق البلاغي، أو هيأ له فرص التعلُّم، وتحصيل المعرفة الخاصة بفهم بلاغة القرآن.

٤- اشتمال جزء تبارك على معانٍ عظيمة تتمثل في أوجه مختلفة من التناسب؛ مما أعطى فرصة لدراسة التناسب في هذا الجزء المبارك.

٥- تميز جزء تبارك بأن سوره كلها مكية، ومن ثم تشابه أسلوبها وتماثل الموضوعات التي تتناولها، مما يجعل الحاجة ماسة لمعرفة أسرار مجيئها على هذا النحو، وعلاقة بعضها ببعض.

٦-جاءت موضوعات سور هذا الجزء مركزة على أصول الدين الثلاثة: الإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر، وتكررت هذه الأصول في سور هذا الجزء تكراراً لافتاً، غير أن هذا التكرار كان وفق ما يقتضيه سياق كل سورة، وحسب ترتيبها في الجزء، وترتيب مشاهدها، وهذا يحتاج إلى دراسة معمقة لمعرفة الأسرار البلاغية لذلك.

٧-قلة الدراسات البلاغية وعدم وجود دراسة بلاغية مستقلة شاملة لجميع أوجه التناسب البلاغي – بعد التقصي – في هذا الجزء التاسع والعشرين: جزء تبارك.

٨-أن هذا البحث يحاول أن يسد نقصاً في مجال دراسة التناسب في القرآن الكريم الذي لا يزال ينقصه الكثير، ويستفيد منه الباحثون وعامة من يقرأ في الدراسات القرآنية لفهم القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

١-السعي وراء الكشف عن بعض الأسرار البلاغية والجمال البياني التي يزخر بها القرآن الكريم.

٢-مما دفع الباحثة إلى هذه الدراسة الرغبة الجامحة لنيل شرف خدمة القرآن، وخدمة الإسلام والمسلمين، استجابة لدعوة الحق ﷻ عباده إلى تدبُّر القرآن الكريم؛ حين قال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (ص ٢٩)، فوقع الاختيار على تخصيص (جزء تبارك) بدراسة شاملة لجميع أوجه التناسب فيه، وكان العنوان (التناسب البلاغي في جزء تبارك).

٣-محاولة الكشف عن أوجه التناسب البياني بأنواعه في جزء تبارك؛ لأن ذلك من التدبر في كتاب الله والتفكر في أسراره وعجائبه، وهو ما أمرنا الله به في كتابه العزيز.

٤-تلمس بعض جماليات القرآن الكريم ومواطن إعجازه، من خلال الكشف عن صور التماسك والالتئام بين أجزائه، والإفصاح عن ملامح الانسجام والتناغم بين مشاهده وآياته، خاصة في جزءٍ كل سوره مكية، تتشابه في موضوعاتها وأفكارها الرئيسة، وهو جزء تبارك.

أهداف البحث:

١-إثراء الدراسات البلاغية ببحث يتناول أوجه التناسب البلاغي في جزء تبارك.

٢-تجلية طرائق القرآن البديعة في إيضاح العلاقات المختلفة بين سور جزء تبارك وآياتها وأسرار التناسب بينها.

٣-تدبر المعاني الخفية بين سور جزء تبارك وآياتها تدبُّراً يكشف جماليات التناسب البلاغي وأثره في إبراز جانب مهم من جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم.

٤-حث الباحثين في مجال الدراسات البلاغية على التوجه لدراسة أوجه التناسب البلاغي في القرآن الكريم نظراً لأهميته في فهم أسرار معاني القرآن وأوجه الترابط بين سوره وآياته.

مشكلة البحث:

تحاول هذه الدراسة الكشف عن بعض أسرار التناسب في سور جزء تبارك؛ كونها تطرح أسئلة مهمة؛ بحثاً للإجابة عنها، مثل:

١- ما أبرز الدراسات البلاغية التي تناولت التناسب وحاولت بيان جمالياته في القرآن الكريم؟

٢- كيف كانت طريقة القرآن في إنشاء العلاقات المختلفة بين سور جزء تبارك وآياتها وما أسرار التناسب بينها؟

٣- ما المعاني الخفية والأسرار المختبئة بين سور جزء تبارك وآياتها؟ وكيف يمكن الكشف عن جماليات التناسب البلاغي وأثره في إبراز جانب مهم من جوانب الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم؟

٤-كيف يمكن تمهيد الطريق للباحثين وحثهم لسبر أغوار هذا النوع من الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم؟

فالدراسة ستحاول الكشف عن هذه التساؤلات وغيرها، والإجابة عنها، من خلال دراسة بلاغية تحليلية متأنية، تسعى إلى الإفصاح عن جماليات هذا التناسب وبلاغته.

الدراسات السابقة:

يوجد عدد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع (التناسب في القرآن الكريم) من وجوهه المختلفة، وتوزعت هذه الدراسات ما بين دراسات تناولت التناسب في القرآن كله، ودراسات تناولت أجزاء من القرآن الكريم أو عدداً من السور أو سورة واحدة، إضافة إلى اقتصارها على دراسة وجه واحد من وجوه التناسب كما في بعض الدراسات التي تناولت جانب التناسب بين الفواصل والآيات.

ولم أعثر – أثناء البحث والتقصي – على دراسة بلاغية واحدة تطابقت مع هذه الدراسة في موضوعها الدقيق (التناسب البلاغي في جزء تبارك) بكافة جوانب التناسب البلاغي فيه، وهذا ما سيميّز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة كلِّها.

ومن الدراسات السابقة في التناسب البلاغي في القرآن ما يلي:

١. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع:

هذه رسالة كتبها جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، وموضوعها هو التناسب بين فواتح السور وخواتيمها. وتقع في باب بحث الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم. وقد عني السيوطي فيها باستكشاف العلاقة الموضوعية واللفظية بين ما يرد في فاتحة كل سورة من سور القرآن، وما يرد في خاتمتها. وهي بهذا شاملة للقرآن كله، إضافة إلى الإيجاز الظاهر في بيان هذا النوع من المناسبة، فغالباً ما يكتفي بالجملة والجملتين، والسطر والسطرين، وهي رسالة موجزة لا تتجاوز ٢٠ صفحة إذا استثنينا تعليقات المحقق في الحواشي، وتختلف عن هذه الدراسة في شمولها للقرآن كاملاً واقتصارها على فواتح السور وخواتيمها.

٢. التناسب القرآني عند برهان الدين البقاعي:

وهي رسالة دكتوراه للباحث محمود توفيق مُحَمَّد سعد (١٩٨٣م) كلية اللغة العربية، جامعة القاهرة. تناول فيها الباحث جهود الإمام البقاعي في طلب العلم، كما تناول منهج تأويل بلاغة النص القرآني (تناسب السور)، ومنهج تأويل بلاغة القرآن في بناء السورة. كما يوجد دراسة مماثلة لها في نفس العنوان (التناسب القرآني عند الإمام البقاعي: دراسة بلاغية) وهي رسالة ماجستير للباحث مشهور بن موسى مشاهرة (٢٠٠١م) كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، وواضح من عنوان الرسالتين ومضمونهما مدى الاختلاف بينهما وبين هذه الدراسة.

٣. التناسب البياني في القرآن الكريم: دراسة في النظم المعنوي والصوتي:

للمؤلف أحمد أبو زيد (١٩٩٢م) كلية الآداب، جامعة مُحَمَّد الخامس، وقد تناول فيها الباحث أوجه التناسب في النظم القرآني: معانيه ومبانيه وأصواته وإيقاعه، فدرسه دراسة مجملة، وأكد أن المجال التطبيقي في السور ما زال رحبًا، وبحاجة ماسة لعدد من الباحثين لإبراز جماليات التناسب في القرآن الكريم، ولعل هذا من دوافع هذه الدراسة.

٤. التناسب البلاغي في سورة لقمان:

للباحث موسى بن درباش الزهراني (١٤٢٤هـ) كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، وتناول فيها التناسب البلاغي في سورة لقمان فقط دون سور القرآن الأخرى.

٥. فواتح السور وخواتيمها: دراسة نصِّيَّة تحليلية:

هذه رسالة أعدَّتها طالبة الماجستير آلاء الحبر يوسف نور الدايم (٢٠٠٠م) في قسم اللغة العربية ،كلية الآداب، جامعة الخرطوم، وكان موضوعها استعراض فواتح سور القرآن كافة وتصنيفها في مجموعات، وتحدثت عن فواتح السورة في فصل، وفي

فصلٍ ثانٍ تحدثت عن الخواتيم، وصنَّفتها أيضاً إلى مجموعات، ثم تحدَّثت في فصل ثالث عن المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، والمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها، وشمل ذلك أمثلة متفرقة من القرآن الكريم.

والرسالة بذلك تختلف عن هذه الدراسة في أنها تناولت وجهاً واحداً من وجوه التناسب، إضافة إلى اختلاف مجال التطبيق؛ فقد كان ميدانها القرآن كاملًا، بينما هذه الدراسة ميدانها جزء تبارك.

٦. التناسب البلاغي في سورة النور:

للباحث بدر بن طاهر الطرقي العنزي (١٤٣٤هـ -١٤٣٥هـ) كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، وقد تناول البحث آليات التناسب البلاغي في سورة النور، وإبراز أوجه الترابط والانسجام في أجزاء السورة ومتعلقاتها، وواضح من عنوانها اختصاصها بدراسة سورة النور فقط.

منهج البحث:

المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج (الوصفي التحليلي)، فهو أنسب المناهج لها؛ إذ إنها تتناول التناسب البلاغي في سور جزء تبارك، بوصفه ظاهرة تحتاج إلى وصف لأهم سماتها وملامحها الخاصة، من حيث حجمها وكيفيتها، كما تحتاج إلى تحليل بلاغي لأوجه هذه الظاهرة، إضافة إلى الكشف عن وجه من أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن في علاقات سوره بحسب ترتيبها، وعلاقات آيات السورة الواحدة بحسب ترتيبها كذلك.

تمهيد

أولاً: التناسب البلاغي في القرآن الكريم.

ثانياً: سور جزء تبارك.

التناسب البلاغي في القرآن الكريم

مفهوم التناسب لغة واصطلاحاً:

التناسب لغة:

أوردت معاجم اللغة لكلمة النَّسَب معانٍ ثلاثة، أولها النسب بمعنى القرابة، فجاء في (لسان العرب): "النَّسَبُ: نَسَبُ القَراباتِ، وهو واحدُ الأَنْسابِ. ابن سيده: النِّسْبةُ والنُّسْبَةُ والنَّسَبُ: القَرابةُ؛ وقيل: هو في الآباء خاصَّةً؛ وقيل: النِّسْبَةُ مصدرُ الانْتِسابِ؛ والنُّسْبَةُ: الاسمُ. التهذيب: النَّسَبُ يكون بالآباءِ، ويكونُ إِلى البلاد، ويكون في الصِّناعة، وجمع النَّسَب أَنْسابٌ، وانْتَسَبَ واسْتَنْسَبَ: ذَكَرَ نَسَبه. أَبو زيد: يقال للرجل إِذا سُئِلَ عن نَسَبه: اسْتَنْسِبْ لنا أَي انْتَسِبْ لنا حتى نَعْرِفَك".[١]

وجاء في مقاييس اللغة: "النون والسين والباء كلمةٌ واحدة قياسُها اتِّصال شيءٍ بشيء. منه النّسَب، سمِّي لاتِّصاله وللاتِّصالِ به. تقول: نَسَبْتُ أَنْسِبُ وأَنْسُبُ. وهو نَسِيبُ فلانٍ".[٢]. وفي المعجم الوسيط.[٣]

---

(١) ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، دت)، مادة: "نسب"، ١/٧٥٥.

(٢) ابن فارس، مُحَمَّد بن فارس، معجم مقاييس اللغة. تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، (القاهرة: دار االفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٩م)، مادة: "نسب"، ٥/٤٢٤-٤٢٥، وانظر: المعنى نفسه في القاموس المحيط والمعجيم الوسيط.

(٣) أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، (القاهرة، مكتبة الشرق الأوسط الدولية، ٢٠٠٤)، مادة: "نسب"، ص٩١٦-٩١٧.

وثاني معاني كلمة نَسَب كما أوردتها معاجم اللغة: التشبيب والتغزُّل بالنساء، وفي ذلك يقول صاحب (لسان العرب): "ونَسَبَ بالنساءِ، يَنْسُبُ، ويَنْسِبُ نَسَباً ونَسِيباً، ومَنْسِبة: شَبَّبَ. وشعر منسوب: فيه نسيب (والجمع المناسيب).

وهذا الشِّعْر أَنْسَبُ من هذا أَي أَرَقُّ نَسِيباً، وكأَنهم قد قالوا: نَسيبٌ ناسِبٌ، على المبالغة، فبُني هذا منه".[١]

ويقول ابن فارس في مقاييس اللغة: " ومنه النَّسيبُ في الشِّعر إلى المرأة، كأنَّه ذِكْرٌ يتَّصِل بها؛ ولا يكون إلاَّ في النِّساءِ. تقول منه: نَسَبْتُ أَنْسِبُ وأَنْسُبُ"[٢].

وثمة معنى ثالث لم أقع عليه إلا عند ابن فارس قي مقاييس اللغة؛ ذلك أن النسب هو الطريق المستقيم، إذ يقول ابن فارس: "والنّسيبُ الطريق المستقيم، لاتِّصال بعضِه من بعض"[٣].

والمعنى الأول – أي معنى القرابة والصلة، هو ما بني عليه معنى التناسب في الاصطلاح كما سيتَّضح. فمعاني الإئتلاف والمزاوجة والتوفيق ومراعاة النظير والتجانس والمشاكلة لا تخرج عن معنى التقارب والصلة.

مفهوم التناسب اصطلاحاً:

يُطلق على مصطلح التناسب كذلك اسم المناسبة. وهو عند بعضهم علم يسمّى (علم المناسبة).

ويعرِّف البقاعي علم المناسبة فيقول: "علم مناسبات القرآن علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال. وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السور المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود في جميع جملها"[٤].

---

(١) ابن منظور، مرجع سابق، مادة: "نسب"، ٧٥٥/١.

(٢) ابن فارس، مرجع سابق، مادة: "نسب"، ٤٢٤/٥.

(٣) المرجع السابق، مادة: "نسب"، ٤٢٥/٥.

(٤) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي د.ت.) ٦/١.

ويُلمح في هذا التعريف إشارة مهمَّة إلى الترتيب وعلله التى يستنبطها العلماء من إقامة العلاقات بين المعاني ومقتضى إيرادها على وجه معيَّن من الترتيب. ويتطلَّب ذلك التأمُّل، وإعمال القرائح في الربط بين الجمل جميعها. ولعل كلمة (جميعها) تشير إلى أنه ليس في القرآن شيء لا يرد على غير نسق مقصود، وترتيب مراد لذاته. كما أن في قوله: (سرُّ البلاغة) إشارة إلى أن تطبيقات علم المناسبة هي من صميم التطبيقات البلاغية التى ترد في القرآن على نحو من الإجادة المعجزة.

وعرَّفه السيوطي فقال: "المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها، عام أو خاص، عقلي أوحسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين ونحوه"(١) .

ويدخل في معنى التناسب تجانس البلاغة الذي عرَّفه الرماني بأنه: "بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد"(٢) ، وله وجهان: مزاوجة ومناسبة. فالمزاوجة تقع في الجزاء، مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة: ١٩٤)، أي جازوه بما يستحق على طريق العدل. وفي هذا قال المبرد: "تقول العرب الجزاء بالجزاء والأول ليس بجزاء، وتقول فعلت بفلان مثل ما فعل بي؛ أي اقتصصت منه، والأول بدأ ظالماً والمكافئ إنما أخذ حقه، فالفعلان متساويان والمخرجان متباينان"(٣) .

---

(١) السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، ط١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (دمشق: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٨م)، ص٦٣١.

(٢) انظر: الرماني، علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله وزغلول سلامة، (القاهرة: دار المعارف، دت.)، ص ٩٩.

(٣) المبرد، محمد بن يزيد، ما اتفق لفظه واختلف معناه. تحقيق: أحمد أبو رعد، ط١، (الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٨٩م)، ص١٣.

أما المناسبة فهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم ﴾ التوبة: ١٢، فجانس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير. وهذا النوع يسميه البلاغيون (المشاكلة).[١]

أهمية التناسب البلاغي في القرآن الكريم:

لعله من المفيد في بيان أهمية التناسب البلاغي في القرآن الكريم، إيراد أقوال كبار الأئمة والعلماء في هذا الشأن؛ فقد أشاروا إشارات مختلفة إلى شرف علم المناسبة وفضل الاشتغال به إجلاءً لمعاني القرآن الكريم اللطيفة الخفية على العوام، بل على كثير من المتعلِّمين الذين تعجز أفهامهم عن محاولة الوصول إلى معرفة الروابط المعنوية واللفظية بين آيات الكتاب المبين.

ومن ذلك ما قاله البقاعي: "هذا العلم في غاية النفاسة، ونسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من علم النحو"[٢] . والبقاعي هنا يؤكِّد شرف العلم وأهميته للمفسرين، ومكانته من علم التفسير.

وقال السيوطي: "علم المناسبة علم شريف قلَّ اعتناء المفسرين به لدقّته، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين ، وقال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٣] . وهنا يصف السيوطي علم المناسبة بأنه علم شريف لا يسهل الأخذ به ومزاولته على كل شخص؛ لدقّته وما يقتضيه من الملكات. ومثَّل لمن أكثروا مزاولته في تفسيرهم بالفخر الرازي الذي كان يرى أن تكمن معظم لطائف القرآن في ترتيب الآيات والروابط بينها.

---

(١) انظر: الرماني، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢) ا لبقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٦/١.

(٣) انظر: السيوطي، الاتقان، مرجع سابق، ص٦٣٠.

ولم يكتف السيوطي بذلك، بل ذكر بعض الأئمة الذين مجَّدوا علم المناسبة فذكر منهم ابن العربي، الذي تحدث عن ارتباط الآي ببعضها، واتِّساق المعاني، وانتظام المباني الذي يجعل القرآن كأنه كلمة واحدة. وكيف أنه تحسَّر على فوات الفائدة بسبب قعود المفسرين والعلماء عن ممارسته، فغاب عن الناس ما في القرآن من مواطن المعاني الشريفة والبيان الساحر. كما قال السيوطي عن الشيخ أبي بكر النيسابوري أنه أول من أظهر علم المناسبة، وكان يعيب على علماء بغداد عدم علمهم بعلم المناسبة. ثم ذكر الشيخ عزالدين بن عبد السلام، واستحسانه علم المناسبات، غير أنه كان ينبَّه إلى ضرورة ربط الكلام أوله بآخره؛ بحيث ينبغي لمن يأتي بهذا الربط أن يتوخَّى اجتماع أمر الكلام، وأن يتجنَّب في الربط الاختلاق والتكلُّف.[١]

ويقول الزركشي في أهمية علم المناسبة: "واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر به العقول، ويُعرف به قدر القائل فيما يقول ... وقيل: إن المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقَّته بالقبول ... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض؛ فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[٢]

ويُلحظ من هذه الأقوال إشارات إلى أهمية علم المناسبة في القرآن الكريم، وإبراز فضله وشرفه، والدعوة إلى الاشتغال به لأنه السبيل إلى معرفة مقاصد السور والآيات عبر الربط بين ألفاظها ومعانيها، وكيف تفضي خواتيمها إلى مطالع ما بعدها، ونحو ذلك من العلاقات، كون ذلك تلبية للدعوة الإلهية لتدبُّر آيات الله في القرآن الكريم.

---

(١)انظر السيوطي، الاتقان، المرجع السابق.

(٢) الزركشي، بدر الدين محمد، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل بن إبراهيم، (القاهرة: دار التراث، د.ت.)، ٣٥/١-٣٦.

التناسب بين البلاغيين والمفسرين:

التناسب مصطلح يجري استعماله لدى البلاغيين والمفسرين مع اختلافات في بعض جوانب المفهوم تقتضيها طبيعة التنزيه المطلق للنصِّ القرآني، وتفرُّده ببلوغ كمال التأليف، وغاية الانسجام اللفظي والاتِّساق المعنوي. وقد جاءت تعريفات تبيِّن المفهوم البلاغي للتناسب، من مثل: "المناسبة عند أهل البديع – وتسمّى أيضاً التناسب والتلفيق والتوفيق والإئتلاف ومراعاة النظير – جمع أمر وما يناسبه لا بالتضاد"(١) . وبهذا القيد فهم يرون الطباق ليس تناسباً لأنه يجمع بين أمرين بالتضاد. وفي هذا اختلاف عن مفهوم التناسب في القرآن الكريم؛ لأن التضاد علاقة ربط بين آيات القرآن وسوره.

و"المناسبة في علم البديع أن يأتي المتكلِّم بمعنى، ثم يتمّمه بما يناسبه معنى، أو لفظاً ومعنى، نحو قول ابن رشيق: (٢)

أحادِيثُ تَرْوِيها السُّيولُ عَنِ الحَيا عَن البَحْر عَنْ جُودِ الأَمِير تَمِيمِ

فالسيول تناسب الحيا (المطر) لأنها منه، والمطر يناسب البحر لأنه من بخاره، وهذه كلها تناسب كرم الأمير لأنها مشابهة له"(٣) .

ويذكر الرماني أن تلاؤم الألفاظ الذي هو نقيض تنافرها إنما يكون بتعديل الحروف في التأليف؛ بحيث يكون التأليف إمّا متنافراً كبيت الشعر المشهور:

وقَبْـــرُ حَـــرْبٍ بِمَـــكانٍ قِـــفْرٍ وليـــس قُـــرْبَ قَـــبْرِ حَـــرْبٍ قَبْـــرُ(٤)

---

(١) نكري، عبد رب النبي، دستور العلماء أو جامع العلوم في مصطلحات الفنون، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م)، ١٦٤٧/٢.

(٢) أبو علي الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني، أحد الأفاضل البلغاء، له كتب عدة منها: كتاب العمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه، وكتاب الأنموذج والرسائل الفائقة والنظم الجيد، (ابن حجة الاموي، خزانة الأدب ، ج١، ص٣٦٠.

(٣) يعقوب، أميل بديع ؛ وعاصي، ميشال، المعجم المفصل في اللغة والأدب. ط١، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ١٢٠٧/١.

(٤) تنسب العرب هذا البيت للجن وقد ذكر السهيلي في كتابه التعريف والإعلام أن امية بن أبي الصلد، أول من قال (باسمك اللهم) وذكر قصة غريبة مفادها أن الجن قتلت حرب بن أمية لقتلهم حية وقبروه أهله في مكان لا جار ولا دار، لذا قالت الجن هذا البيت.

وإمّا أن يكون متلائماً في الطبقة الوسطى، وهو حسن. وإمّا أن يكون متلائماً في الطبقة العليا، وذلك هو القرآن كله.[١]

ويسمي البلاغيون لونا من ألوان التناسب (مراعاة النظير)، وهو: "جمع كلمات أوعبارات متناسبة، بحيث يُقوَّى المعنى لكل منها بمعاني الكلمات أو العبارات الأخرى"[٢]، وهي تعادل التناسب اللفظي في القرآن. ويمثّلون لمراعاة النظير بقول أسيد في وصف إشراق الوجه:

كـــأنَّ الثُّـــريّا عُلِّقَـــتْ في جَبِينِـــهِ وفي خَـــدِّهِ الشِّـــعْرى وفي وَجْهِـــهِ البَـــدْرُ[٣]

والمناسبة عند ابن سنان الخفاجي تكون بين اللفظين عن طريق الصيغة وعن طريق المعنى. والمناسبة عن طريق الصيغة لها تأثير في الفصاحة. ومن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ، السجع والازدواج. وقد اختلف النقاد بين من استحسن السجع واستهجنه بسبب ما يقع فيه من التكلُّف. والمختار أن يُستحسن السجع إذا وقع سهلاً ميسَّراً جارياً وفق المعنى، تابعاً له، لا تعمُّل فيه ولا تكلُّف، ويُستكره إذا لم يقع كذلك[٤] . ومثال السجع هذا ما جاء قي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف من مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ ۝٢ ﴾ الفجر(١ – ٢).

والازدواج هو ما يقع من الفواصل بلا توافق في حرفه مع توافق في صيغته وتقارب في الحروف، ومثال ذلك: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ الفاتحة(٣ – ٤).

---

(١) انظر: الرماني، مرجع سابق، ص٩٩.

(٢) فتحي، إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، (صفاقص: التعاضدية العمالية للنشر، ١٩٨٦م)، ص٣٥١.

(٣) قيس بن بجره، وقيل عبد قيس بن بجرة من بني شمخ بن فزارة ، من ناشب ، عاش في الجاهلية دهراً، وأدرك الإسلام كبيراً وأسلم (تراجم شعراء الموسوعة الشعرية، ج١، ص٢٠).

(٤) انظر: الخفاجي، ابن سنان، سر الفصاحة. ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م)، ص١٦٩-١٧٠.

وأورد السيوطي أن الشيخ شمس الدين بن الصائغ الَّف كتاباً سمَّاه (إحكام الراي قي أحكام الآي)، قال فيه: "اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية، يُرتكب لها أمور من مخالفة الأصول. وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة، فعثرت منها على نيّف عن الأربعين حكماً".(١)

ويرى ابن أبي الإصبع المصري أن المناسبة تأتي على ضربين: مناسبة في اللفظ ومناسبة قي المعنى. والمعنوية عنده أن يبتدئ المتكلّم كلامه بمعنى، ثم يكمّل هذا المعنى بما يناسبه معنى دون لفظ. ومثال ذلك عنده قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾ (الأنعام: ١٠٣)، لأن الله سبحانه وتعالى، لمّا قدَّم نفي إدراك الأبصار له، عطف عليه (وهو اللطيف) ومعلوم أن كل لطيف لا تدركه الأبصار. ولمّا قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ ﴾ عطف عليه : ﴿ ٱلۡخَبِيرُ ﴾؛ لأن من يدرك شيئاً لا بد أن يكون خبيراً به(٢) .

ومن التناسب حالات التوافق بين الألفاظ بحيث تجيز صرف الاسم الممنوع من الصرف للتناسب في الإيقاع الموسيقي، وذلك في قراءة نافع والكسائي لقول الله تعالى: ﴿ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلَا وَسَعِيرًا ﴾ (الإنسان: ٤)، بصرف كلمة (سلاسلاً) الممنوعة من الصرف لتتناسب مع كلمة (أغلالاً) المصروفة.(٣)

---

(١) انظر: الخفاجي، المرجع السابق، ص٦١١..

(٢) انظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير. تقديم وتحقيق: حفني مُحَمَّد شرف، (القاهرة: لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. جمهورية مصر العربية، ١٩٦٣م)، ص٣٦٣.

(٣) يعقوب؛ وعاصي، مرجع سابق، ص٤٥٩.

أنواع التناسب:

عقد العلماء الذين اشتغلوا بعلم المناسبات في القرآن الكريم علاقات تناسب شتى بين سور القرآن الكريم مرتَّبة ترتيب المصحف؛ فتحدَّثوا في ذلك عن علاقات بين مطالع السور ومطالع ما بعدها، وعن خواتيم السور وخواتيم ما بعدها، وعن خواتيم السور ومطالع ما بعدها، وعن مقاصد كل ذلك. واشتملت هذه العلاقات على العلاقات اللفظية والمعنوية.

وإذا كان هذا في مجال علاقات السور بعضها ببعض، فقد اشتغلوا كذلك بالنظر والتأمُّل في علاقات الآيات داخل السورة الواحدة؛ من حيث علاقة اسم السورة بمقصدها، وعلاقة الفواصل بالآيات، وعلاقات المطالع بالمقاصد، وعلاقة المطالع بالخواتيم ونحو ذلك من كل ما يمكن أن تُلمح فيه علاقة تناسب.

ولعل من أهم ما عنوا به التأمُّل في أسباب ترتيب سور القرآن. وفي ذلك يقول: "الزركشي في البرهان: "ولترتيب سور القرآن أسباب تُطلع على أنه توقيفي صدر عن حكيم، أحدها: بحسب الحروف كما في الخواتيم، وثانيها لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها في المعنى كآخر (الحمد) وأول (البقرة)، وثالثها للوزن في اللفظ كآخر (تبت) وأول (الإخلاص)، ورابعها لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى، مثل: (الضحى) و(ألم نشرح)" [(١)] .

وقد وقع في مسألة الترتيب هذه اختلاف في الأقوال كبير. ولست بصدد المسألة في هذا العمل ولكني أورد شيئا منها بحسب أن النظر في الترتيب، وورود سورة بعد سورة وآية بعد آية، من أهم ما انعقد عليه تفسير المقاصد، وبيان العلاقات المعنوية واللفظية. وأكتفي من مسألة اختلاف الأقوال في الترتيب هذه بما نقله الزركشي في البرهان عن أبي الحسن أحمد بن فارس في كتابه (المسائل الخمس): "جَمعُ القرآن على ضربين: أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين؛ فهذا الضرب هو الذي تولاه الصحابة رضوان الله عليهم، وأما الجمع الآخر فهو ضم الآي بعضها إلى بعض وتعقيب القصة بالقصة، فذلك شيء تولاه رسول الله ﷺ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه عزَّ وجل"[(٢)] .

---

(١) الزركشي، مرجع سابق، ٢٦٠/١.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٩/١.

سور جزء تبارك
فضلها – موضوعها – نوعها من حيث المكّيّ والمدنيّ

جزء تبارك هو الجزء التاسع والعشرون من القرآن الكريم، ويتألّف من إحدى عشرة سورة هي: سورة الملك، وسورة القلم، وسورة الحاقّة، وسورة المعارج، وسورة نوح، وسورة الجنّ، وسورة المزّمّل، وسورة المدثّر، وسورة القيامة، وسورة الإنسان، وسورة المرسلات.

فضلها:

يستند العلماء في أقوالهم عن فضل سورة بعينها إلى ما خصَّها به رسول الله ﷺ من الأحاديث التي تبيّن هذا الفضل. وثمة سور محددة من سور القرآن الكريم خصَّها الرسول ﷺ، بأحاديث تبيّن فضلها، ليس من بينها واحدة من جزء تبارك غير سورة الملك، فقد ورد في فضلها أنها تنجي من عذاب القبر؛ فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: **[إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له، وهي: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾** (الملك:١).

أما بقية سور الجزء فهي مشمولة في جملة من أحاديث الرسول ﷺ التي تحدَّثت عن فضل القرآن كله؛ فعن عثمان بن عفان ﷺ عن النبي ﷺ، قال: **[خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه]**.(١) ويدخل في هذا الفضل سور جزء تبارك؛ أي أن تعلُّمها وتعليمها يمنح المسلم صفة الخيرية.

(١) الألباني، محمّد نصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، كتاب قراءة القرآن، الترغيب في قراءة سورة الملك، ١٩٢/٢.

وسور جزء تبارك مشمولة أيضاً بالفضل الذي ذكره رسول الله ﷺ لسور المفصَّل. "والمفصَّل ما يلي المثاني من قصار السور؛ سمِّي مفصَّلاً لكثرة الفصول التي بين السور (ببسم الله الرحمن الرحيم). وقيل لقلَّة المنسوخ فيه. وآخره: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ (الناس: ١)، وفي أوَّله اثنا عشر قولاً ... . والصحيح عند أهل الأثر أن أوَّله ﴿قٓ﴾ (ق: ١)."[١].

وعن واثلة بن الأسفع قال: قال النبي ﷺ: [**أُعطيت مكان التوراة، السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ومكان الإنجيل المثاني، وفُضِّلت بالمفصَّل**][٢].

موضوعها:

يغلب على موضوعات سور جزء تبارك – على وجه العموم – إثبات الألوهية لله سبحانه وتعالى، وبيان قدرته متمثِّلة في مظاهر الخلق العظيمة كخلق السموات والأرض والجبال، ومظاهر الخلق الدقيق كخلق الإنسان الذي يمر في أطوار حتى يكتمل خلقه. كما يكثر فيها ذكر موضوعات إثبات حقيقة اليوم الآخر وأهواله وشدَّته، ومصير الإنسان فيه بين جنة ونار تبيِّن السور وصفهما وما في الجنة من ألوان النعيم وما في النار من صنوف العذاب. ذلك أن سور الجزء كلها مكية باستثناء سورة

(١) الزركشي، مرجع سابق، البرهان، ص٢٤٦..

(٢)الألباني، محمَّد نصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، كتاب المناقب والمثالب، ٤٦٩/٣.

الإنسان في أرجح الأقوال. ومعلوم أن السور المكية لما كانت أول ما نزل من القرآن، كان أكثر تركيزها على الموضوعات العقدية.

هذا على الوجه العام، ولكني سأتحدَّث عن كل سورة من سور الجزء على حدة، وأبيِّن أهم موضوعاتها وأبرزها.

سورة الملك

هي أولى سور جزء تبارك، وترتيبها في المصحف السابعة والستون، "وتسمَّى: تبارك، والمانعة والواقية والمنجية"(١) . وآياتها ثلاثون، وموضوعاتها يمكن إجمالها في عناوين عريضة، كما يلي:

- وصف السموات.
- بيان أن نظام الكون لا عوج فيه ولا اختلاف.
- وصف عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة.
- التذكير بخلق الإنسان ورزقه وأشباه ذلك"(٢) .

هذا ما أورده المراغي من موضوعات، ويمكن أن يُضاف إليه بعض موضوعات لم يشملها هذا التلخيص، أهمها الموضوع الذي افتتحت به السورة، وهو: إثبات أن لله التعالي على صفات المخلوقات، وله الملك والتصرف المطلق بالمخلوقات، والقدرة الشاملة المحيطة بكل شيء.

---

(١) البقاعي. نظم الدرر، مرجع سابق، ٢١٥/٢٠.

(٢) المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٤٦م)، ٢٥/٢٩.

سورة القلم:

آياتها اثنتان وخمسون، وترتيبها في المصحف الثامنة والستون، وموضوعاتها في مجملها مدح للرسول ﷺ، وأمره بالصبر على المشركين، وتقريع للمشركين وتشنيع عليهم بسوء خلقهم وتهديد لهم. وقد جاءت في تفسير المراغي على النحو التالي:

- محاسن الأخلاق النبوية:
- سوء أخلاق الكفار وجزاؤهم.
- ضرب المثل لهم باصحاب الجنَّة.
- تقريع المجرمين وتوبيخهم وإقامة الحجج عليهم.
- تهديد المشركين المكذبين بالقرآن.

أَمْرُ الله رسوله ﷺ بالصبر على أذى المشركين حتى لا يكون كصاحب الحوت"[1] .

سورة الحاقَّة:

آياتها اثنتان وخمسون، وترتيبها في المصحف التاسعة والستون، وموضوعاتها ثلاثة أساسية كما جاء في تفسير المراغي، وهي:

- "هلاك الأمم المكذِّبة لرسلها في الدنيا.
- عذاب الآخرة جزاء على التكذيب في الدنيا.

---

(١) المرجع السابق، ٢٩/٤٨.

- إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله، وليس بقول شاعر أو كاهن"[١] .

سورة المعارج:

آياتها أربع وأربعون، وترتيبها في المصحف السبعون، وموضوعاتها تتلخَّص في أربع نقاط هي كما يلي:

- "وصف يوم القيامة وأهواله.
- وصف النار وعذابها.
- صفات الإنسان التي أوجبت له الجحيم، وكيف يجتهد لإزالة ما به من النقص؛ حتى يرتقي إلى المعارج ويخرج من عالم المادة.
- وعيد الكافرين على ما يلاقونه في ذلك اليوم"[٢] .

سورة نوح:

آياتها ثمان وعشرون، وترتيبها في المصحف الحادية والسبعون، وموضوعاتها:

- "دعوة نوح قومه إلى الإيمان، وقد حوت:
- طلب تركهم الذنوب، وأنهم إذا فعلوا ذلك أكثر الله لهم المال والبنين.
- النظر في خلق السموات والأرض والأنهار والبحار.

---

(١) المرجع السابق، ٢٩/٦٥.

(٢) المرجع السابق، ٢٩/٧٦.

- النظر في خلق الإنسان وأنه يُخلق في الأرض كما يخلق النبات، وأن الأرض مسخَّرة له يفعل فيها ما يشاء.
- كفر قومه وعقابهم في الدنيا والآخرة.

سورة الجنّ:

آياتها ثمان وعشرون، وترتيبها في المصحف الثانية والسبعون، وموضوعاتها –كما جاءت في تفسير المراغي – هي:

"حكاية أقوال صدرت من الجنِّ حين سمعوا القرآن.

ما أُمر النبي ﷺ بتبليغه إلى الخلق ككونه لا يشرك بربه أحداً ... ."[1].

سورة المزَّمّل:

آياتها عشرون، وترتيبها في المصحف الثالثة والسبعون، وموضوعاتها جاءت على هيئة أوامر وأحكام من الله –ﷻ– إلى رسوله الكريم؛ فقد أمره بأن:

- يقوم من الليل ثلثه أو نصفه أو ثلثيه.
- يقرأ القرآن بتؤدة وتمهُّل.
- يذكر ربه ليلاً ونهاراً بالتسبيح والتحميد والصلاة، وأن يجرِّد نفسه عما سواه.
- أن يتَّخذه وكيلاً يكل إليه أموره متى ما فعل ما يجب عليه نحوها.

---

(١) المرجع السايق، ١٠٨/٢٩.

- أن يصبر على ما يقولون فيه من أنه ساحر وشاعر، وفي ربه من أن له صاحبة وولدا، وأن يهجرهم هجرا جميلا ....
- أن يخفِّف القيام للصلاة بالليل بعد أن شقَّ ذلك عليهم لأعذار كثيرة، والاكتفاء بما تيسَّر من صلاة الليل"[١] .

سورة المدَّثِّر:

آياتها ست وخمسون، وترتيبها في المصحف الرابعة والسبعون، وموضوعاتها:

- "تكريم النبي ﷺ، وأمره بتبليغ الرسالة، وإعلان وحدانية الله.
- الأمر بالتطهُّر الحسي والمعنوي ونبذ الاصنام.
- والإكثار من الصدقات والأمر بالصبر.
- إنذار المشركين بهول البعث، ووصف أهوال جهنم"[٢] .

سورة القيامة:

هي مكية، وآياتها أربعون، وترتيبها في المصحف الخامسة والسبعون، وموضوعاتها:

- "الاحتجاج لإثبات البعث.
- قراءة القرآن والتكفُّل بحفظه وبيانه.

---

(١) المرجع السابق، ١٢٣/٢٩.

(٢) ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م)، ١٩٣/٢٩.

- انقسام الناس يوم القيامة إلى سعداء وأشقياء.
- حال الإنسان وقت الاحتضار، والاستدلال لإثبات البعث"[١] .

سورة الإنسان:

هي السورة المدنية الوحيدة في جزء تبارك، وآياتها إحدى وثلاثون، وترتيبها في المصحف السادسة والسبعون، وموضوعاتها:

- خلق الإنسان وهدايته السبيل وبيان عاقبة الكفار.
- جزاء الأبرار يوم القيامة وأعمالهم.
- توجيهات في طريق الدعوة.
- حاجة الإنسان إلى التذكير، وارتباط مشيئته بالمشيئة الإلهية"[٢] .

سورة المرسلات:

هي مكية، وآياتها خمسون، وترتيبها في المصحف السابعة والسبعون، وموضوعاتها:

- الإخبار بأن يوم الفصل قادم لا شك فيه، وتأكيد ذلك بالقسم بالملائكة الكرام.
- وعيد الكافرين بأنه سيُستن بهم سنة الأولين من المكذِّبين.
- توبيخ المكذِبين على إنكار نعم الله عليهم في الأنفس والآفاق.

---

(١) انظر: المبارك، محمد مختار، التناسق الموضوعي في سور القيامة والإنسان والمرسلات، رسالة ماجستير غير منشورة ١٤٣٤هـ، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، ص١٠٢-١١٦.

(٢) المرجع السابق، ص١٤٦.

- وصف عذاب الكافرين بما تشيب من هوله الولدان"[١] .
- وصف نعيم المتَّقين، وما يلقونه من الكرامة في جنات النعيم ويتخلل ذلك وصف خلق الإنسان والأرض والجبال، وبيان عظمة الخالق، وكمال قدرته.

نوعها من حيث المكّيّ والمدنيّ:

سور جزء تبارك مكّيَّة كلها ما عدا سورة الإنسان فهي مدنية. وهذا بحسب ما ورد في فهرست مصحف المدينة؛ فهو بلا شك قد أُثبت بعد تدقيق وترجيح بين أقوال كثيرة وردت عن المكي والمدني من القرآن. ومن تلك الأقوال مثلاً – فيما يتعلق بجزء تبارك – ما أورده السيوطي وهو يعدِّد السور المدنية من جزء تبارك: "والملك ونون والحاقَّة وسأل سائل ونوح والجنّ والمزمّل إلا آيتين: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ (المزمل: ٢٠).[٢] وهي آية واحدة وليست آيتين كما ذكر. كما قال السيوطي عن سورة الإنسان في معرض حديثه عما هو مختلَف في نسبته إلى مكة أو المدينة: "(سورة الإنسان): قيل: مدنية، وقيل: مكية إلا آية واحدة: ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ (الإنسان: ٢٤).[٣]

وبعد فهذه إحدى عشرة سورة، هي سور جزء تبارك. تتبَّعت فيها فضائلها وموضوعاتها ونوعها من حيث المكي أو المدني، ولم أرد أن أستفيض فيما جاء فيها من الأقوال المختلفة؛ إذ إني لست بصدد تفاصيل ذلك، وإنما بالقدر الذي يكون معيناً في الموضوع الأساسي للبحث عن أوجه التناسب المختلفة للسور في جزء تبارك.

---

(١) المراغي، مرجع سابق، ١٩١/٢٩.

(٢) السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ص٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٠.

الفصل الأول

بلاغة التناسب بين السور

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: علاقة مقصود السورة بمقصود ما قبلها.

المبحث الثاني: علاقة مطلع السورة بخاتمة ما قبلها.

المبحث الثالث: علاقة مطلع السورة بمطلع ما قبلها.

المبحث الرابع: علاقة خاتمة السورة بخاتمة ما قبلها.

المبحث الأوَّل
علاقة مقصود السورة بمقصود ما قبلها

علاقة مقصود سورة القلم بمقصود سورة الملك:

أبدأ حديثي – مستعينة بالله – بعلاقة مقصود سورة القلم بمقصود سورة الملك؛ إذ إن حديثاً عن علاقة مقصود سورة الملك بمقصود ما قبلها يخرجني عن نطاق بحثي المحدود موضوعيًّا بجزء تبارك. أقول – والله أعلم – إن في مقاصد سورة القلم تكملة لمقاصد سورة الملك. فلو تأمَّل القارئ الآيات الأولى من سورة الملك لاستطاع أن يلمح مقصداً أساسيًّا، هو إثبات أن لله التعالي على صفات المخلوقات، وله الملك والتصرف المطلق بالمخلوقات، والقدرة الشاملة المحيطة بكل شيء. يقول البقاعي عن سورة الملك: "مقصودها الخضوع لله لاتِّصافه بكمال الملك الدالِّ عليه تمام القدرة"(١). كما يستطيع القارئ أن يلمح في الآيات الأولى من سورة القلم مدح الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بمحاسن الأخلاق.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك، أن يقال: إن الله تبارك وتعالى لما مدح نفسه بالتعالي عن صفات المخلوقات، تمهيداً ليبيِّن للناس سبب خلقهم وخلق الموت والحياة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾، أراد – وهو أعلم بما يريد – أن يبيِّن لهم صفات من سيبلِّغهم هذه الرسالة؛ لأن ذلك أدعى إلى تصديقه والإيمان به.

---

(١) البقاعي، نظم االدرر، مرجع سابق، ٢١٥/٢٠.

وثمة موضع آخر من مواضع تكملة مقصد في سورة تبارك بمقصد في سورة القلم، هو: أن المقصد من إيجاد الخلق وموتهم وحياتهم هو ابتلاؤهم؛ ليعلم الله التفاضل بينهم في الأعمال، مع العلم بأن علم الله بهم سابق، ولكن هذا الأسلوب يرد في القرآن من حين لآخر، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك: ٢)، ووجه التكملة كما لاحظته لهذا المقصد من مقاصد سورة القلم متضمَّن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ (القلم: ١٧)، فهي حادثة مخصوصة تمثِّل شاهداً ومثالاً على مقصد الآية السابقة من سورة الملك، وتكملة له؛ إذ ابتلى الله أصحاب الجنة بأن جعلهم يرثونها بعد موت أبيهم لينظر كيف يعملون. وكما جاء في قصة أصحاب الجنة في التفاسير، فإنهم قوم كان لأبيهم جنة قريباً من صنعاء، فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدَّق بالباقي، ويترك للمساكين ما أخطأه المنجل، وما يبقى على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت، فكان يجتمع لهم شيء كثير. فلما مات الرجل وورث الجنة بنوه قالوا: "لو فعلنا مثل ما كان يفعل أبونا لضاقت حالنا ونحن أولو عيال"، وحلفوا ليقطعون سبائط النخل في صباح باكر خفية من المساكين، فأحرقها الله وأهلك ثمرها؛ نكاية بهم لسوء نيَّتهم.(١)

وفي قصَّة أصحاب الجنَّة نفسها، في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك: ٢١)، تكملة لمقصد آخر من سورة القلم بشاهد إمساك الرزق في قوله تعالى

(١) انظر: الزمخشري، جار الله محمَّد بن عمر، تفسير الكشّاف، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: خليل مأمون شيحا، ط٣، (بيروت: دار المعرفة، ٢٠٠٩م)، ص١١٣٠.

من سورة القلم: ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القلم ١٩ – ٢٠)، ولعلَّ القصة بكاملها مثال على الابتلاء المذكور في الآية الثانية من سورة تبارك. كما فيها مثال على الابتلاء بالموت والحياة بموت الجنة بعد حياتها.

علاقة مقصود سورة الحاقَّة بمقصود سورة القلم:

وعن علاقة مقاصد سورة الحاقَّة بمقاصد سورة القلم، فهي تشبه علاقة سورة القلم بسورة الملك؛ من حيث إن في الحاقَّة تكملة لمقاصد بُدئت في القلم، وفيها أمثلة وشواهد وتفصيل لمقصدٍ ذُكر مجملاً في القلم. فقد جاءت في القلم صورة أصحاب الجنة مثالاً على الطمع والاغترار بالنعمة وجحود حقها في الشكر والتصدُّق بشيء منها. وجاءت بعد ذلك صورة الجزاء على هذا اللون من الكفر والجحود ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ (القلم: ١٩)، ويظهر ملمح تكملة هذا المقصد في سورة الحاقة في عدد من صور العقاب التي أنزلها الله بأقوام كفروا بربهم وعصوا رسل ربهم، هم عاد وثمود وفرعون وقومه وقوم لوط وقوم نوح.

وفي الآية الثالثة والثلاثين من سورة القلم خطاب من الله لأصحاب الجنَّة بأن ما أوقعه عليهم من العذاب بذهاب النعمة التي أنعم بها عليهم، ثم جحدوها بحرمان المساكين من ثمارها، إنما هو عذابهم في الدنيا: ﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: ٣٣)، وأنه ينتظرهم في الآخرة عذاب أكبر من ذلك. وفي تفسير هذه الآية يقول المراغي: "أي أن عذاب الآخرة أشدُّ وأنكى من عذاب الدنيا؛ فما عذاب هذه إلا هلاك الأموال

والثمرات، وعذاب تلك نار وقودها الناس والحجارة"[١] . ولما كان من مقاصد سورة القلم تفصيل ألوان عذاب الدنيا، الذي جاء في آيات سابقة من سورة القلم نفسها، فقد جاءت تكملة المقصد في سورة الحاقَّة بتفصيل ألوان العذاب الأكبر في الآخرة في الآيات التالية من السورة: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾ (الحاقَّة ٣٠ – ٣٢)، ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الحاقَّة: ٣٥ – ٣٧).

وشبيه بذلك الوصف المجمل الذي جاء في الآية ٣٤ من سورة القلم عن جنَات النعيم التي يثيب الله بها عباده المتَّقين ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (القلم: ٣٤)، ثم جاء التفصيل في سورة الحاقَّة بوصف جنات النعيم وحال المتَّقين فيها في الآيات: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (الحاقة: ٢١–٢٤).

علاقة مقصود سورة المعارج بمقصود سورة الحاقة:

وعن مقصود سورة المعارج يقول البقاعي: "مقصودها إثبات القيامة، وإنذار من كفر بها، وتصوير عظمتها بعظمة ملكها، وطول يومها، وتسلية المُنذِر بها لمن كذبه من الصغار والذلِّ والتبار"[٢] . وأقول – والله أعلم – إن السورة بهذه المقاصد تكمِّل ما جاء في سورة الحاقَّة من المقاصد نفسها. ففي مقصد إثبات القيامة وأهوالها جاءت

(١) المراغي، مرجع سابق، ٢٩/٣٨-٣٩.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٠/٣٨٥-٢٨٦.

في سورة الحاقَّة الآيات التالية: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴿١٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ﴿١٦﴾ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحاقَّة: ١٣ – ١٧)، وشاهدُ تكملة هذا المقصد يتجلَّى في الآيتين التاليتين من سورة المعارج: ﴿ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ﴿٩﴾ ﴾ (المعارج: ٨ – ٩)، وجاء في مقصد إنذار من كفر بها في سورة الحاقَّة قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾ (الحاقَّة: ١٨)، ثم كُمِّل المقصد نفسه في سورة المعارج بقوله تعالى: ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (المعارج: ٤٢).

أما عن تسلية الرسول ﷺ بما أعدَّه الله لِمَن كذَّبه من الصغار والذلِّ والتبار كما ذكر البقاعي[1]، فهي تظهر في الآيات التي تبيّن أحوالهم في يوم الحساب، وشواهدها في سورة الحاقَّة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الحاقَّة: ٢٥ – ٢٩)، ويكمِّل هذا المقصد في سورة المعارج آيات كثيرة أيضاً، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ ﴾ (المعارج: ١٠ – ١٤).

---

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر ، مرجع سابق، ٢٠/٣٨٥-٣٨٩.

علاقة مقصود سورة نوح بمقصود سورة المعارج:

وعن مقصود سورة نوح: "مقصودها الدلالة على القدرة على ما أنذر به آخر سورة (سأل) من إهلاك المُنذَرين، وتبديل خيرٍ منهم، ومن القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به وهم عنه معرضون، وبه مكذِّبون"[١] . ووجه اتصال هذا المقصد بما جاء في سورة المعارج أنه يقع كالدليل على إنفاذ الإنذار الوارد فيها في قوله تعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (المعارج: ٤٠ – ٤١)، يقول السيوطي عن سورة نوح: "أقول: أكثر ما ظهر في وجه اتِّصالها بما قبلها بعد طول الفكر، أنه سبحانه لـمّا قال في (سَأَلَ): ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ ، عقَّبه بقصة قوم نوح المشتملة على إبادتهم عن آخرهم بحيث لم يبق منهم ديّار، وبدَّل خيراً منهم"[٢] . وهكذا فقد جاءت قصة قوم نوح إبراراً لقسمه سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾ ، ودليلاً على ما ذكر الله من قدرته على تبديل خير منهم. يقول الألوسي عن قصة قوم نوح: " فوقعت موقع الاستدلال والاستظهار لتلك الدعوى"[٣] .

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٠/٤٢٢-٤٢٣.

(٢) السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م)، ص١٢٩.

(٣) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني، تحقيق: زهير القاسم؛ وأحمد طالب، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠١٠م)، ٢٧/٤٤٥.

علاقة مقصود سورة الجنّ بمقصود سورة نوح:

أورد المفسّرون والعلماء الذين نظروا في مقاصد سور القرآن واتّصال بعضها ببعض أقوالاً كثيرة في مقاصد سورة الجنّ. يورد البقاعي أن مقصد السورة تكريم الله نبيَّه بما قيَّض له من القبول لدى مخلوقاته من الجنّ والإنس؛ إذ يقول: "مقصودها إظهار الشرف لهذا النبي الكريم الفاتح الخاتم ﷺ حيث ليَّن له قلوب الإنس والجنّ وغيرهما"(١) .

ووجه صلة هذه المقاصد بمقاصد سورة نوح، أن نوحاً – عليه السلام –كان أول نبي أرسله الله إلى قومه الذين كانوا عبّاد أوثان، فعصوه أشد العصيان وسخروا منه، مع أنه منهم نسباً ولساناً، بيد أن مُحمَّداً ﷺ هو آخر نبي أرسله الله لأهل الأرض جميعاً وغيرهم من المخلوقات، صدَّقه وآمن به الجنُّ مع الاختلاف في الجنس واللسان. وفي هذا ما فيه من تبكيت العرب الذين خالفوه ولم يتَّبعوه مع الاتِّحاد في القومية والقبيل واللسان.(٢)

ويرى السيوطي صلة أخرى بين مقصد في سورة الجنّ بمقصد في سورة نوح؛ إذ يقول عن سورة نوح: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ (نوح: ١٠ – ١١)، وقال في هذه السورة: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ (الجنّ: ١٦)، وهذا وجه بيِّن في الارتباط"(٣) . والمقصد في آيتي سورة نوح أن الاستغفار المراد به هنا الإيمان الذي يوجب غفران الذنوب، هو شرطٌ

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٤٦٠/٢٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٦١/٢٠-٤٦٢.

(٣) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٢٩.

أداؤه جالب لرحمة الله الواسعة بنزول المطر الذي به السلامة من القحط، والزيادة في الأموال.[١] " ولا يختلف ذلك عن المقصد في الآية ١٦ من سورة الجنّ، فالمعنى المراد بالاستقامة على الطريقة، أن الإنس و الجنّ كليهما لو سلكا طريق ملَّة الإسلام لوسَّعنا عليهم الرزق. ويكون الرابط في المقصد حينئذٍ بين السورتين اشتراط الإيمان سبباً لتوسيع الرزق وإغداق الماء الذي هو أصل المعاش وكثرته أصل السعة.[٢]

علاقة مقصود سورة المزَّمِّل بمقصود سورة الجن:

يستطيع القارئ لسورة المزَّمِّل أن يلمح بوضوح جملة من أوامر الله لنبيِّه عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ (المزَّمِّل: ١ – ٤)، ويرى أنها تمثِّل مقصداً أساسيًّا في السورة، هو تسلية النبي ﷺ على ما يقابله به قومه من العصيان وإنكار الرسالة. وتتلخَّص هذه الأوامر في دعوته ﷺ إلى قيام الليل وترتيل القرآن والذكر والتبتُّل والصبر على قول المشركين المؤذي وترك أمرهم لله سبحانه. ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ ﴾ (المزَّمِّل: ١١ – ١٣)، ووجه الربط بين هذه المقاصد ومقاصد سورة الجن أن الله قد بيَّن في سورة الجنّ تفضيل الجن المستجيب بسبب ما استمع إليه من القرآن –على قومه المعرضين–، فكان أن وجَّه رسوله الكريم في الآيات (١–١٣) من سورة المزمل إلى تلاوة هذا القرآن وقيام الليل بترتيله. يقول الغرناطي: "لما كان ذِكر إسلام الجنّ قد أحرز غاية انتهى مرماها، وتمَّ مقصدها ومبناها؛ وهي

(١) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ١٩٨/٢٩.

(٢) انظر: الألوسي، مرجع سابق، ٤٩٩/٢٧–٥٠٠.

الإعلام باستجابة هؤلاء، وحرمان من كان أولى بالاستجابة، وأقرب في ظاهر الأمر إلى الإنابة، بعد تقدُّم وعيدهم وشديد تهديدهم صرف الكلام إلى أمره ﷺ بما يلزمه من وظائف عبادته"[١] .

علاقة مقصود سورة المدَّثِّر بمقصود سورة المزمل:

ثمة صلة متينة جدًّا بين مقاصد سورتي المدَّثِّر والمزَّمِّل؛ فكلتاهما تبدأ بخطاب مباشر للرسول ﷺ مُترتِّب في الثانية على ما جاء في الأولى. يقول البقاعي عن مقصود سورة المدَّثِّر: "ومقصودها الجدُّ والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذبين الفجّار، والإشارة بالبشارة لأهل الأذكار، بحكم العزيز الغفّار"[٢] . وهذا ما جاءت التهيئة له في أول سورة المزَّمِّل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزَّمِّل: ٥)، ويقول المراغي عن سورة المدَّثِّر: "وصلتها بما قبلها أنها متواخية مع السورة التي قبلها في الافتتاح بنداء النبي ﷺ. وأن صدر كلتيهما نازل في قصة واحدة. وأن السابقة بُدئت بالأمر بقيام الليل، وهو تكميل لنفسه ﷺ بعبادة خاصَّة، وهذه بدئت بالإنذار لغيره، وهوتكميل لسواه".[٣] وأقول مستعينة بالله: إنه لما أمر نبيّه في أول سورة المزَّمِّل بقيام الليل بتخيير واسع في مدة ذلك القيام، وأمره بترتيل القرآن تثبيتاً لنفسه وتقوية لها وتهيئة له لما سيلقي عليه الله من قول ثقيل، هو الأمر بالقيام أعقب ذلك بالأمر الصريح بالرسالة في سورة المدثر:﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (المدثر: ٢)، والقول الثقيل هو الوحي أو القرآن كما ذهب المفسِّرون. يقول الفخر الرازي: "قالوا المراد بالقول الثقيل القرآن وما فيه من

---

(١) الغرناطي، أحمد بن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، تقديم وتحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، ط١، (الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤٢٨ هـ)، ص١٩٧.

(٢) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، تحقيق: أحمد عبد السميع محمد، ط١، (الرياض: مكتبة دار المعارف، ١٩٨٧م)، ١٣٥/٣.

(٣) المراغي، مرجع سابق، ١٣٤/٢٩.

الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلَّفين عامة، وعلى رسول الله خاصَّة؛ لأنه يتحمَّلها بنفسه ويبلّغها لأمَّته"[١] . ووجه الصلة أن ما جاء في سورة المدثر من الأمر بالإنذار في قوله تعالى ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ إنما هو الامر المهيأ له في سورة المزمل﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ وهو الإيذان بالرسالة وبدء الدعوة.

علاقة مقصود سورة القيامة بمقصود سورة المدثر:

تكمّل مقاصد سورة القيامة بعض مقاصد سورة المدَّثِّر، وأبين هذه المقاصد تعظيم يوم القيامة الذي وردت الإشارة إليه في الآيات الأخيرة من سورة المدَّثِّر في إقرار الكفار بتكذيبهم بيوم الدين الذي هو يوم القيامة: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ (المدَّثِّر ٤٦). يقول الغماري: "مناسبتها لما قبلها أن الله ذكر في السورة السابقة اعتراف الكفار وهم في سقر بأن من أسباب دخولهم لها تكذيبهم بيوم الدين، وهو يوم القيامة، فافتتح هذه السورة بالقسم به: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾"[٢] (القيامة: ١ – ٢)، ولعل المراد بالنفس اللوامة هنا أنفسهم التي لامتهم على التكذيب بيوم الدين؛ إذ إن من المناسب أن يستتبع الاعتراف بالذنب ندم على ارتكابه بين يدي عذاب أليم.

وثمة مقصد آخر في سورة المدَّثِّر هو بيان عدم مبالاتهم بالآخرة والخوف منها بسبب تكذيبهم بيوم الدين: ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ (المدَّثِّر: ٥٣)، ويناسب هذا المقصد في سورة القيامة

---

(١) الفخر الرازي، مُحَمَّد الرازي فخر الدين، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط١، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م)، ص١٧٤.

(٢) الغماري.، عبد الله مُحَمَّد، جواهر البيان في تناسب سور االقرآن، (القاهرة: مطبعة مُحَمَّد عاطف وسيد طه، د.ت.)، ص١٣٦.

مقصد استنكار موقفهم هذا من إنكار البعث: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة ٣). وفي ذلك يقول السيوطي: "أقول: لما قال سبحانه في آخر المدثر: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ بعد ذكر الجنة والنار، وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث، وصف يوم القيامة وأحواله وأهواله"[(١)]. وقد أمعنت السورة في استنكار موقف إنكار البعث والتكذيب بيوم الدين؛ فتكرر المعنى فيها في الآية: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة: ٣٦).

علاقة مقصود سورة الإنسان بمقصود سورة القيامة:

يستطيع المتامِّل في الآيات الأولى من سورة الإنسان أن يرى بوضوح ارتباط مقاصدها بمقاصد سورة القيامة؛ فقد جاء في سورة القيامة بيان أطوار خلق الإنسان في معرض استنكار تكذيبهم بيوم الدين، ردّاً عليهم بأن من أنشأ النشأة الأولى قادر على إعادة الخلق بعد الهلاك. ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ (القيامة: ٣٧ – ٣٩)، وجاء في روح المعاني: "وقوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ ... ﴾ استئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور، فإن مداره لما كان استبعادهم للإعادة دفع ذلك ببدء الخلق"[(٢)]. وشاهد الارتباط بين المقاصد هنا وهناك قوله تعالى في سورة الإنسان: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الإنسان: ١ – ٢)، يقول ابن عاشور عن مقصد سورة الإنسان: "التذكير بأن كل إنسان كُوِّن بعد أن لم يكن،

(١) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٣٠.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ١٢٢/٢٨.

فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه"[١] . وقد بيَّنت السورة المنطق نفسه الذي بيَّنت به السورة السابقة خَطَل إنكار البعث؛ إي قدرة خالق الإنسان من عدم على إعادة خلقه بعد فنائه.

وارتبطت السورتان أيضاً بمقصد ورد في كلتيهما؛ وهو بيان حال الكافرين مقارناً بحال المؤمنين يوم القيامة. وقد وردت في ذلك أربع آيات متتالية في سورة القيامة بيّنت الأوليان منهما حال وجوه المؤمنين، وبيّنت الأخريان حال وجوه الكافرين. ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ (القيامة :٢٢ – ٢٥)، أما في سورة الإنسان فقد وردت آيتان متتاليتان، بيَّنت الأولى منهما حال الكافرين في النار، وبيَّنت الأخرى حال المؤمنين (الأبرار) في الجنة: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾ (الإنسان: ٤ – ٥).

وهناك وجه اتِّصال آخر بين مقصد في سورة الإنسان ومقصد في سورة القيامة، هو بيان حبِّ الكافرين للدنيا وعدم مبالاتهم بالآخرة، وقد ذكره السيوطي فقال: "وقد ذكر هناك: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ (القيامة ٢٠ – ٢١)، وذكر هنا في هذه السورة: ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (القيامة ٢٧). وهذا من وجوه المناسبة"[٢] .

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٧١/٢٩.

(٢) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٣١.

علاقة مقصود سورة المرسلات بمقصود سورة الإنسان:

مقصد سورة المرسلات – في إشارات كثير من المفسّرين – هو القَسَم بوقوع ما سبق ذكره في السور المتتالية قبلها – ومنها سورة الإنسان – من حقيقة يوم القيامة: ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ (المرسلات: ١٢ – ١٤)، وما ذكر من مشاهد ذلك اليوم الموعود: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ (المرسلات ٧). "ومناسبتها لما قبلها، أنه هنا أقسم على تحقيق ما تضمَّنته السورة قبلها من وعيد الفجّار ووعد المؤمنين الأبرار"[(١)] .وقد تكرر فيها المنطق المستعمل في سورة الإنسان، من أن مَن بدأ النشأة الأولى من العدم قادر على إعادة النشأة الآخرة بعد هلاك الخلق وفنائهم: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (المرسلات ٢٠ – ٢٣). وعن اتّصال مقصودها بمقصود سورة الإنسان يقول البقاعي: "ومقصودها الدلالة على آخر الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل، بعد بعث العباد، وجمع الأجساد"[(٢)] . ثم إن ما جاء في سورة الإنسان من وصف لليوم مقروناً بخوف المؤمنين منه في موضعين كان وصفاً مجملاً، ثم أعقب ذلك أوصاف تفصيلية لما يصيب النجوم والسماء والجبال من تغيُّر. وتكون المرسلات بذلك قد فصَّلت بعض ما أُجمل في سورة الإنسان ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ (الإنسان ٧). ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ (الإنسان ١٠). ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ ﴾ (المرسلات ٨ – ١١).

---

(١) المراغي، مرجع سابق، ١٧٨/٢٩.

(٢) البقاعي، مصاعد النظر، مرجع سابق، ١٤٧/٣.

وبعد هذا الاستعراض لبعض جوانب التناسب بين مقاصد سور جزء تبارك يتبيَّن لنا أن لكل سورة صلة بما قبلها من حيث مقاصدها؛ بل إن موضوعات بعينها تكررت في عدد كبير من جملة سور الجزء؛ مثل الكلام عن البعث ومشاهد يوم القيامة وجزاء المؤمنين والكافرين. وهذا أمر يعضِّد ما ذهب إليه بعض العلماء من أن القرآن كله متَّصل بعضه ببعض في مقاصده.

وهناك أمر لاحظته بعد التأمُّل في مقاصد السور في جزء تبارك، ذلك أن كثيراً مما يمكن للمتأمل أن يراه من أوجه الاتِّصال بين مقاصد السور لا يزال بكراً لم تسِل أحبار الأقلام بكشفه وبيانه على الرغم مما كُتب من كتب قديمة وحديثة. وذكر ابن عاشور في مقدمة تفسيره (تفسير التحرير والتنوير): "واهتممت أيضاً ببيان تناسب اتِّصال الآي بعضها ببعض، وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألَّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: (نظم الدرر في تناسب الآي والسور) إلا أنهما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأمِّلين لفصل القول تتطلَّع"[1] .

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ١/٨.

المبحث الثاني
علاقة مطلع السورة بخاتمة ما قبلها

أشار بعض العلماء الذين اهتموا بعلم المناسبة إلى التناسب بين مطالع السور وخواتيم ما قبلها، وقد تكون المناسبة واضحة بيّنة أحياناً، وخافية في أحيان أخرى، فيُحتاج فيها إلى البحث عن علاقة من خلال التأمل والتدبر. قال السيوطي: "إذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثم هو يظهر تارة ويخفى أخرى"(١) . ولعلني في هذا المبحث أن أتلمَّس أوجه التناسب بين مطلع كل سورة من سور جزء تبارك وخاتمة ما قبلها. ويجدر بها التنبيه إلى أن العلماء عندما يطلقون كلمة مطلع لا يريدون بها الآية الأولى من السورة فحسب، وإنما يريدون بذلك جملة الآيات التي تأتي في صدر السورة وتتضمَّن موضوعاً واحداً، وكذلك يريدون بالخواتيم جملة الآيات الأخيرة في السورة.

علاقة مطلع سورة القلم بخاتمة سورة الملك:

تنبني علاقة مطلع سورة القلم بخاتمة سورة الملك على تعميم في خاتمة الملك يتبعه تخصيص بمثال للاستشهاد في مطلع القلم. يقول السيوطي: "أقول: لما ذكر سبحانه في آخر الملك التهديد بتغوير الماء، استظهر عليه في هذه السورة بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلة يطاف عليه فيها، وهم نائمون، فأصبحوا لم يجدوا له أثراً، حتى ظنوا أنهم ضلوا الطريق، وإذا كان هذا في الثمار وهي أجرام كثيفة، فالماء الذي هو لطيف رقيق أقرب إلى الإذهاب، ولهذا قال: ﴿ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ (القلم: ١٩ – ٢٠)، وقال هناك:

(١) السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ص٦٣٦.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الملك: ٣٠)، إشارة إلى أنه يسري عليه في ليلة كما سرى على الثمرة في ليلة"[١] .

وثمة علاقة أخرى بين مطلع القلم وخاتمة الملك؛ إذ يقول سبحانه في الآية التاسعة والعشرين من سورة تبارك: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الملك: ٢٩)، ثم تأتي في مطلع القلم آيات تبرّئ الرسول ﷺ مما اتَّهمه به مشركو قريش من الجنون والسحر، وتشيد بعظمة خلق الرسول ﷺ. وتأتي في أعقاب هذه الآيات الآية ٧ من سورة القلم: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾. لتنهي الجدل المثار في نهاية سورة الملك بتقرير الحقيقة ببيان المهتدي من الضالّ. يقول الألوسي في تفسير هذه الآية: "استئناف لما قبله وتأكيد لما تضمَّنه من الوعد والوعيد؛ أي هو سبحانه أعلم بمن ضلَّ عن سبيله المؤدّي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال ... وهو عز وجل أعلم بالمهتدين إلى سبيله الفائزين بكل مطلوب ... فيجزي كلًّا من الفريقين حسبما يستحقُّه من العقاب والثواب"[٢] .

علاقة مطلع سورة الحاقة بخاتمة سورة القلم:

قد يبدو للقارئ في قوله سبحانه في خاتمة سورة القلم: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ (القلم: ٤٢)، شيء من الإبهام، فلا يعرف المراد من ولكن سرعان ما ينكشف له المعنى إذا ما

(١) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٢٨.
(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٣٣٧/٢٧.

واصل قراءته حتى يبلغ مطالع سورة الحاقَّة: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ ﴾، يقول السيوطي: "أقول: لما وقع في (ن) ذكر يوم القيامة مجملاً في قوله ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (القلم: ٤٢)، شرح ذلك في هذه السورة بناء على هذا اليوم وشأنه العظيم"[١] . فكأنما جاء مطلع الحاقة تفسيراً وبيانا لما خُتمت به سورة القلم. وفي هذا مناسبة بيّنة. ويشير البقاعي إلى علاقة ربط أخرى بين خاتمة سورة القلم ومطلع سورة الحاقة بأن الله سبحانه أنكر تسوية المسلمين بالمجرمين: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القلم: ٣٥)، وهدَّد بآية الاستدراج: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: ٤٤)، وذكر يوم كشف الساق الذي هو يوم القيامة: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ (القلم: ٤٢)، وأن القرآن ذِكر؛ أي شرف وتذكير بيوم القيامة الذي هو نظام الوجود، واعظاً بذكرها ومحذِّراً من أمرها ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾؛ أي الساعة التي يكذِّب بها هؤلاء.[٢]

علاقة مطلع سورة المعارج بخاتمة سورة الحاقة:

قال أبو حيان عن علاقة مطلع سورة المعارج بخاتمة سورة الحاقة: "ومناسبة أولها لآخر ما قبلها، أنه لما ذكر ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ (الحاقة: ٤٩)، أخبر عما صدر عن بعض المكذبين بنقم الله"[٣] . أي التي جاء بها

(١) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٢) انظر: البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٣٩/٢٠.

(٣) أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد؛ وعلى مُحَّد، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م)، ٣٢٦/٨.

الوعيد في القرآن الذي أنكروا نسبته لله سبحانه، ونسبوه إلى الرسول ﷺ. وقد أكَّدت الآية: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾(الحاقة: ٥١)، أن هذا الخبر هو حق اليقين، يقول أبو حيان: "قيل: هو من إضافة المترادفين على سبيل المبالغة، كما تقول هذا يقين اليقين، وصواب الصواب، بمعنى: أنها نهاية في ذلك، فهما بمعنى واحد أضيف على سبيل المبالغة"[١] . ثم جاءت الآية الأولى من سورة المعارج فأكَّدت أن العذاب الذي توعَّدهم به القرآن لا محالة واقع بهم. وبهذا يكون في مطلع المعارج ردٌّ وإثبات لما جاء في خاتمة الحاقة من تكذيب وإنكار للقرآن وما تضمَّنه من وعد للمتقين ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الحاقة ٤٨)، ووعيد للمكذِّبين. يقول الغماري: "ختمت السورة السابقة بردِّ دعاوى المكذبين بالقرآن، فافتتحت هذه بالإخبار عن العذاب الواقع بهم"[٢] .

علاقة مطلع سورة نوح بخاتمة سورة المعارج:

رأى كثير من المفسرين أن علاقة مطلع سورة نوح بخاتمة سورة المعارج تنبني على قوله سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (المعارج: ٤٠ – ٤١)، إذ تحكي السورة قصة نوح مع قومه، ويَرِد في مطلعها اجتهاده في دعوتهم بمختلف الطرق وفي مختلف الأوقات، وبالإغراء والتحذير، كما يرد فيه إصرارهم البالغ على الإعراض عن الدعوة: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾(نوح: ٧)، إلى أن يصل إلى يأسه منهم

(١) المرجع السابق، ٨/٢١٥.

(٢) الغماري، مرجع سابق، ص١٢٩.

فيدعو عليهم فيصيبهم الطوفان. ففي رواية القصة مثال على ما سبق للكفار والمكذبين من تهديد بقوله: ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (المعارج: ٤٠ – ٤١)، يقول ابن عاشور: "ضرب المثل بقوم نوح، وهم أول المشركين الذين سُلِّط عليهم عقاب في الدنيا؛ أعني الطوفان، وفي ذلك تمثيل لحال النبي ﷺ مع قومه بحالهم"[(١)] . وثمة مثال آخر على ما قاله المفسرون ودارسو أوجه التناسب في سور القرآن الكريم، ذلك ما أورده السيوطي؛ إذ يقول: "أقول: أكثر ما ظهر في وجه اتصالها بما قبلها بعد طول الفكر، أنه سبحانه لما قال في: ﴿ سَأَلَ ﴾ (المعارج: ١): ﴿ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (المعارج: ٤٠ – ٤١)، عقَّبه بقصة نوح المشتملة على إبادتهم عن آخرهم، بحيث لم يبقَ منهم ديار، وبدَّل خيراً منهم، فوقع الاستدلال لما ختم به المعارج"[(٢)] .

علاقة مطلع سورة الجنّ بخاتمة سورة نوح:

يقول أبو حيان عن علاقة مطلع سورة الجن بخاتمة سورة نوح: "أنه لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر ...، وكان عليه السلام أول رسول للأرض، كما أن مُحَمَّداً ﷺ آخر رسول للأرض، والعرب الذين هو منهم عليه الصلاة والسلام كانوا عبّاد أصنام كقوم نوح، ...، وكان ما جاء به مُحَمَّد ﷺ هادياً إلى الرشد وقد سمعته العرب، وتوقف عن الإيمان به أكثرهم، أنزل الله تعالى سورة الجن إثر سورة نوح تبكيتاً لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/١٨٥-١٨٦.

(٢) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٢٩.

كانت الجن خيراً منهم وأقبل للإيمان"[١] . وبهذا تكون العلاقة علاقة تقابل بين إعراض الإنس عن الإيمان مع اتِّحادهم مع رسولهم في الجنس واللسان، وقبول الجنِّ بالإيمان مع اختلافهم عن الرسول في الجنس واللسان، ولذا فقد كسبت الجنُّ بهذا الموقف الخيرية على الإنس حال إعراضهم عن الإيمان.

وإذا ما أمعن المتأمِّل النظر في خاتمة سورة نوح لاحظ تمادي قوم نوح في إعراضهم عن الحق وإصرارهم البالغ على الشرك: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (نوح: ٢٣)، أما إذا أمعن النظر في مطلع سورة الجن لاحظ العزم والتصميم على نبذ الشرك: ﴿ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ (الجن: ٢)، وبهذا يتَّضح أنه انعقدت علاقة تقابل بين مطلع سورة الجن وخاتمة سورة نوح. تقابل متعلِّق بمسألة الشرك، بين إصرار بالغ على الشرك من قوم نوح الذين هم إنس، وعزم وتصميم على نبذ الشرك من مستمعي القرآن الذين هم جن.

علاقة مطلع سورة المزمل بخاتمة سورة الجن:

اشتملت الآيات الأخيرة من سورة الجن على حديث عن عظمة الوحي، إذ إنه سبحانه قد اختص به رجالاً ارتضاهم، وهيأ لهم أسباب حفظهم مما يعتري البشر من العيوب والنقائص، حتى يتحقق حفظ الوحي الذي يحملونه ضماناً لبلوغ الرسالات للأقوام الذين يُراد لهم الانتفاع بها. ثم جاءت من بعد ذلك الآيات الأولى من سورة المزمل تحمل أوامر مباشرة لسيد المرسلين وخاتمهم وحامل الرسالة الخاتمة. أوامر بقيام الليل، وترتيل القرآن والذكر،

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٣٩/٨.

تهيئة له ﷺ وإعداداً لتلقِّي القول الثقيل. وقد جاءت الأوامر في سياق ملاطفة له ﷺ في ندائه بـ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ (المزمل: ١)، يقول ابن عاشور: "نداء النبي بـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ (المزمل: ١)، نداء تلطُّف وارتفاق"[(١)] . ويقول البقاعي: "لما تقدم في آخر الجن من تعظيم الوحي، وأن من تعظيمه حفظ المرسل به من جميع الآفات المفترّة عن إبلاغه، مما له سبحانه من إحاطة العلم والقدرة، ندب نبيه الذي ارتضاه لرسالته، والاطلاع على ما أراده من غيبه ﷺ إلى القيام بأعباء النبوة"[(٢)] .

وإذا تأمَّل القارئ قوله تعالى في سورة الجن: ﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (الجن: ٢٣)، والآيات من (١١-١٣)، من سورة المزمل: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ يلاحظ تشابهاً في المعنى؛ إذ تهدد الآيات في كلتا السورتين العاصين والمكذبين، وتحدِّثهم عن المصير المخيف الذي ينتظرهم. وقد يلاحظ القارئ كذلك شيئا من التوسع والتفصيل في المعنى في آيات سورة المزمل.

علاقة مطلع سورة المدثر بخاتمة سورة المزمل:

تبدو علاقة مطلع سورة المدثر بخاتمة سورة المزمل في الآية الثانية من سورة المدثر: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ (المدثر:٢)، إذ تشتمل على الأمر بالنذارة لمن عصى ولم يؤمن بما جاء به الرسول ﷺ، في مقابل بشارة بشَّر بها سبحانه عباده

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٥٦/٢٩.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١/٢١-٢.

المؤمنين ثوابا على ما أمرهم به من قراءة القرآن، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإقراض الحسن، ثم الاستغفار بعد ذلك كله جبراً لما قد يعتري هذه الأعمال من النقصان. ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل: ٢٠)، يقول أبو حيان في تفسير هذه الآية: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ ﴾ (المزمل: ٢٠)، كرر ذلك على سبيل التوكيد، ثم أمر بعمودي الإسلام البدني والمالي، ثم قال: ﴿ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ ﴾ (المزمل: ٢٠) العطف يشعر بالتغاير؛ فقوله: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(المزمل: ٢٠)، أمر بأداء الواجب، ﴿ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ أمر بأداء الصدقات التي يُتَطوع بها"[١] . وقد أشار البقاعي إلى علاقة البشارة والنذارة هذه وهو يتحدَّث عن مقصود سورة المدثر، حيث قال: "مقصودها الجد والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في نفوس المكذبين الفجار، والإشارة بالبشارة لأهل الادكار بحلم العزيز الغفار"[٢] . وهو وإن كان يتحدَّث عن مقصود سورة المدثر فحسب، إلا أن القارئ يمكنه أن يلاحظ أن ثمة بشارة لأهل الادكار قد وقعت في خاتمة المزمل.

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٥٩/٨.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٩/٢١.

ثم إن هناك علاقة أخرى تربط بين كلمة (يوم) التي وردت في الآية (١٧) من سورة المزمل: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ ﴾ (المزمل: ١٧ – ١٨)، وكلمة (يومئذٍ) الواردة في الآية (٩) من سورة المدثر: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ ، والعلاقة علاقة زيادة في الإيضاح بتحديد اليوم، وزيادة وصفه بالعسر الذي يقع به على الكافرين، والله أعلم.

علاقة مطلع سورة القيامة بخاتمة سورة المدثر:

جعل أكثر المفسرين والناظرين في مناسبات الربط بين السور، الرابط بين مطلع سورة القيامة وخاتمة سورة المدثر في ذكر القيامة وأحوالها: ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ (القيامة: ١ – ٢)، بعد ختم سورة المدثر بعدم خوف الكافرين من الآخرة: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ (المدثر: ٥٣)، وذلك بسبب تكذيبهم بها: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾ (المدثر: ٤٦ – ٤٧)، يقول السيوطي: "أقول: لما قال سبحانه في آخر المدثر: ﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴾ (المدثر: ٥٣)، بعد ذكر الجنة والنار، وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث، ذكر في هذه السورة الدليل على البعث، ووصف يوم القيامة وأحواله وأهواله، ثم ذكر ما قبل ذلك من مبدأ الخلق"[(١)] . أما الغماري فقد توسع واستطرد في الربط بين تكذيب الكفار بالقيامة في خاتمة المدثر، وإقامة الدليل عليها في مطلع القيامة، مع إشارة إلى قدرته سبحانه على البعث. يقول: "مناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ذكر في السورة

(١) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٣٠.

السابقة اعتراف الكفار وهم في سقر بأن من أسباب دخولهم لها تكذيبهم بيوم الدين وهو يوم القيامة، فافتتح هذه السورة بالقسم بها: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ (القيامة: ١ – ٢)، ثم ذكر قدرته على البعث والدليل عليها: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤ ﴾"(١) . (القيامة: ٣ –٤).

علاقة مطلع سورة الإنسان بخاتمة سورة القيامة:

تبدو علاقة مطلع سورة الإنسان بسورة القيامة واضحة جدا لدرجة أن بعض المفسرين اكتفى بأن يقول إنها واضحة لا تحتاج إلى شرح، وأمسك عن الشرح بالفعل، ومن هؤلاء أبو حيان على الرغم من اهتمامه البالغ بمناسبات الربط بين السور. يقول أبو حيان "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جداً لا تحتاج إلى شرح"(٢) . ويقول الألوسي أيضاً عن سورة الإنسان: "والمناسبة بينها وبين ما قبلها في غاية الوضوح"(٣) . ولا يزيد على ذلك شيئاً. ولعله واضح بالفعل الربط بين السورتين في الحديث عن أطوار خلق الإنسان، وإبرازه دليلاً على صدق الإخبار بالبعث ردًّا على الكفار الذين أنكروه. وقد جاء ذلك في الآيات الأخيرة من سورة القيامة: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠ ﴾ (القيامة: ٣٧ – ٤٠)، ثم تأتي الآيات في أول سورة الإنسان لتأكيد المعنى نفسه:

﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ

(١) الغماري، مرجع سابق، ص١٣٦.

(٢) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٨٥/٨.

(٣) الألوسي، مرجع سابق، ١٢٥/٢٨.

﴿ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ (الإنسان: ١ – ٣)، ويقول ابن عاشور عن أغراض سورة الإنسان: "التذكير بأن كل إنسان كُوِّن بعد أن لم يكن، فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه[١] . وقد تضمَّنت الآية الأخيرة في سورة القيامة هذا الاستنكار: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٤٠)، وتحدَّث السيوطي عن الربط بأطوار خلق الإنسان بين مطلع سورة الإنسان وخاتمة سورة القيامة، وشارك بذلك المفسرين الآخرين، ولكنه انفرد بالحديث عن رابط آخر، هو الحديث عن يوم القيامة والنار والجنة؛ إذ يقول: "ووجه آخر، هو أنه لما وصف حال يوم القيامة، ولم يصف فيها حال النار والجنة، بل ذكرهما على سبيل الإجمال، فصَّلهما في هذه السورة وأطنب في وصف الجنة، وذلك كله شرح لقوله تعالى هناك: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٢)، وقوله هنا: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾ (الإنسان: ٤)، شرح لقوله هناك: ﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (القيامة: ٢٥)"[٢] .

علاقة مطلع سورة المرسلات بخاتمة سورة الإنسان:

لعل المتأمِّل في خاتمة سورة الإنسان، وفي الآية الأخيرة منها على وجه التحديد: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴾ (الإنسان: ٣١)، يلاحظ أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالآية السابعة من سورة المرسلات: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ ﴾، فقد اشتملت آية سورة الإنسان على وعد للمؤمنين، ووعيد للكافرين

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٧١/٢٩.

(٢) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٣١.

الذين سماهم القرآن في هذه الآية الظالمين، وهل أظلم ممن ينكر البعث، ويجحد نعمة خلقه، ويعرض عن تذكرة القرآن؟ ووجه الارتباط أن آية المرسلات: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (المرسلات: ٧)، إنما جاءت تأكيداً للوعد والوعيد كليهما. وهو تأكيد وقع جوابا لقسم مغلَّظ بدأت به السورة، واستمر في الآيات الستِّ الأول. يقول البقاعي عن مقصود سورة المرسلات: "مقصودها الدلالة على آخر الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وإحياء العباد"(١) . ويظهر ربط البقاعي في هذا النصِّ بين مطلع هذه وخاتمة تلك في قوله (مقصودها الدلالة على آخر الإنسان).

ويقول أبو حيان كلاماً مشابها: "ومناسبتها لما قبلها ظاهرة جدًّا، وهو أنه سبحانه يرحم من يشاء، ويعذب الظالمين فهذا وعد منه صادق فأقسم على وقوعه في هذه، فقال: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (المرسلات: ٧). (٢)" وذكر السيوطي المناسبة نفسها وزاد عليها أنه سبحانه بعد القسم بوقوع الوعد والوعيد ذكر وقته وأشراطه. يقول السيوطي: "أقول: وجه اتصالها بما قبلها، أنه تعالى لما أخبر في خاتمتها، أنه: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الإنسان: ٣١)، افتتح هذه بالقسم على أن ما يوعدون لواقع، فكان ذلك تحقيقاً لما وعد به هناك المؤمنين وأوعد الظالمين، ثم ذكر وقته وأشراطه بقوله: ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾ (المرسلات: ٨)، إلى آخره"(٣) .

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٦٢٩/٢١.

(٢) أبو حيان، مرجع سابق ، ٣٨٥/٨..

(٣) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٣١-١٣٢.

وبعدُ فهذه علاقات قامت بين مطلع كل سورة من سور جزء تبارك وخاتمة السورة التي قبلها، وكانت هناك ملاحظة مهمة تنطبق على كامل جزء تبارك كون سوره كلها مكية باستثناء سورة واحدة؛ وهي أن الربط ظل متسلسلاً بين السور برابط حديث عن اليوم الآخر وأحواله وأهواله، وحال كل من المؤمنين بعد إيمانهم وإقرارهم بالبعث، والكافرين بعد إنكارهم إياه. وحديث عن الجنة وألوان النعيم فيها، والنار وألوان العذاب فيها. وحديث يتكرر كثيراً كذلك عن القرآن وأنه تذكرة للخلق يعرض عنها ويحيد الكافرون فيبوؤوا بالخزي والخذلان في يوم الدين.

المبحث الثالث
علاقة مطلع السورة بمطلع ما قبلها

تشمل جوانب التناسب بين سور القرآن الكريم جانب التناسب بين مطالع السور. ومن ذلك تناسب مطلع السورة بمطلع السورة التي قبلها بحسب ترتيب المصحف. غير أن العلماء الذين أفردوا كتباً لاستنباط علاقات التناسب بين سور القرآن لم يتحدَّثوا كثيراً عن التناسب بين مطالع السور المتتالية بحسب ترتيبها في المصحف، بل كان أكثر حديثهم في هذا السياق، عن التناسب بين مطالع سور متفرقة في أجزاء القرآن؛ وغالباً ما يكون ذلك بغرض إحصاء أنواع المطالع في القرآن الكريم، أو تتبع معنى محدد تكرر في عدد من مطالع السور، ونحو ذلك. أما مناسبة مطلع السورة لمطلع السورة التي قبلها، فلم يفردوا له بحوثاً تبيِّن أوجهه كما فعلوا في بيان أوجه المناسبات الأخرى. وذلك في حدود ما أمكن الباحثة تتبعه من المراجع.

وسينظر هذا البحث إن شاء الله في بعض الشذرات التي تشير إلى ذلك من خلال بعض التفاسير ليستخلص منها أوجه التناسب هذه. ويستفيد مما يرد في كتب التناسب بين السور، في باب التناسب بين مقاصد السورة والسورة التي قبلها عندما تشمل أوجه التناسب بين المطلعين.

علاقة مطلع سورة القلم بمطلع سورة الملك:

يلحظ المتأمِّل في مطلع سورة القلم أنه يشتمل على قَسَم إلهي بتبرئة رسوله ﷺ مما رماه به قومه من الجنون؛ لأنهم اعتبروا ما بُدئ به من الوحي جنوناً طرأ على عقله. وذكرت الآية بعد التبرئة من الجنون أنه محفوظ منه بنعمة ربه وفضله عليه، وأن الله سيريه ويريهم من هو المجنون، أهو الذي جاء بالحق أم هم الذين كذبوا به، وأن الله عالم بمن هو الضالُّ ومن هو المهتدي:

﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ ﴾ (القلم: ٥ – ٧)، ويشتمل المطلع أيضاً على مدح خُلُقه ﷺ، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ (القلم: ٧)، يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: أعلم أن هذا تعريف لمن رماه بالجنون بأن ذلك كذب وخطأ؛ وذلك لأن الأخلاق الحميدة، والأفعال المرضية كانت ظاهرة منه، ومن كان موصوفاً بتلك الأخلاق والأفعال، لم يجُز إضافة الجنون إليه؛ لأن أخلاق المجانين سيئة [١] .

أما سورة الملك فقد بُدئت بنسبة التعالي لله على صفات المخلوقات، وأن له الملك والتصرف المطلق بالمخلوقات، والقدرة الشاملة المحيطة بكل شيء. يقول البقاعي عن سورة الملك: "مقصودها الخضوع لله لاتّصافه بكمال الملك الدالّ عليه تمام القدرة"[٢] . ويتجلى هذا في مطلعها، بل في الآية الأولى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ (الملك: ١)، يقول ابن عاشور: "ابْتُدئت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله تعالى، وتفرُّده بالملك الحق، والنظر في إتقان صنعه الدال على تفرُّده بالإلهية؛ فبذلك يكون في تلك الآيات حظ لعظة المشركين"[٣] .

وبالتأمُّل في مطلع سورة القلم يتَّضح أنه إنما جاء تبعاً لمطلع الملك، فإنه سبحانه لما أثبت لنفسه الانفراد بالملك، وتعاليه عن صفات المخلوقين وقدرته البالغة المستدلِّ عليها بإتقان الخلق، أراد أن ينزِّه رسوله الحامل للرسالة المبينة والمثُبتة لذلك عما رماه

(١) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ٨٠/٣٠.
(٢) البقاعي، مصاعد النظر، مرجع سابق، ٢١٥/٢٠.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٧/٢٩.

به المشركون المعرضون عن دعوته من الجنون. وفي قول ابن عاشور (فبذلك يكون في تلك الآيات حظ لعظة المشركين) إشارة إلى أن مبلّغ تلك الآيات والواعظ بها هو رسول الله ﷺ.

وهناك صلة أخرى بين المطلعين في قوله تعالى في سورة القلم: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القلم ٧)، وقوله في سورة الملك: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾ (الملك ٢)، ففي آية القلم إخبار للمشركين بأن الله يعلم الضال من المهتدي حتى من قبل أن يبتليكم، وإنما كان التخيير في آية الملك لإظهار إنصافه سبحانه، والله أعلم.

علاقة مطلع سورة الحاقّة بمطلع سورة القلم:

اشتمل مطلع الحاقَّة على ذكر القيامة وتفخيمها بغرض التخويف منها: "﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ ﴾ (الحاقة: ١-٣)، مبالغة في التهويل، والمعنى أن فيها ما لم يَدُر ولم يُحِط به وصف من أمورها الشاقة، وتفصيل أوصافها"[١]. ثم أعقب ذلك ذكر لعذاب من كذَب بها من الأقوام السابقين؛ ليكون في ذلك عظة وعبرة للكفار الذين كذَّبوا رسول الله ﷺ. يقول أبو حيان: "أدرج شيئاً من أحوال الذين كذَّبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون؛ ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم الكفار الذين عاصروا رسول الله ﷺ، وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمود وفرعون، فقصَّ عليهم ذلك"[٢] .

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣١٥/٨.
(٢) المرجع نفسه.

أما مطلع سورة القلم فقد اشتمل على تنزيه الرسول ﷺ مما تقوَّله عليه المبطلون، وقد أقسم سبحانه على ذلك زيادة في تعظيمه له، وتأكيداً لتكريمه إياه، وتمييزه له على سائر خلقه، فقال سبحانه: ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ ﴾ (القلم: ١ – ٢)، وأنى يُتصوَّر من مجنون أن يأتي بالبراهين والأدلة على وجود الخالق وتفرُّده بالملك، ثم يبسطها في ذلك النسق الموجز.(١)

ووجه التناسب بين المطلعين جاء في أنه سبحانه أراد أن يخوفهم في مطلع سورة الحاقة، بالإخبار عن يوم القيامة في صيغة تشتمل التأكيد والتخويف مما يمكن أن يصيبهم جراء تكذيبهم رسول الله ﷺ والتقول عليه، وضرب المثل بما أصاب عاداً وثمود وآل فرعون. ويتَّصل هذا بإنكاره سبحانه على مشركي مكة رمي الرسول ﷺ بالجنون في مطلع القلم، والقسم بتبرئته منه ونعته بالخلق العظيم.

علاقة مطلع سورة المعارج بمطلع سورة الحاقة:

إذا تأمَّل القارئ مطلع سورة المعارج لاحظ أنه يشتمل إخباراً عن سؤال المشركين رسول الله ﷺ عن موعد عذاب كان ينذرهم به، ويشتمل كذلك على تأكيد بوقوع هذا العذاب. ثم إسهاب في وصف يوم وقوع ذلك العذاب وطوله وأهواله ورعبه المتمثِّل في تبدُّل أحوال مخلوقات الله العظيمة من جبال وسموات، وما يصير إليه حالهم من الانشغال بأنفسهم عن علاقات القرابة والرحم.

(١) انظر: الغرناطي، مرجع سابق، ص١٦٣.

وجاء في مطلع سورة الحاقة إثبات وقوع يوم القيامة والتخويف من هوله المنطوي في أسلوب الاستفهام: ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ (الحاقة: ٢ – ٣)، يقول أبو حيان: "و(ما) استفهام لا يراد حقيقته، بل التعظيم، وأكثر ما يُربط بتكرار المبتدأ إذا أريد معنى التعظيم والتهويل"[١] .

يقول السيوطي عن وجه ارتباط سورة المعارج بسورة الحاقة: "أقول: هذه السورة كالتتمة لسورة الحاقة في بقية وصف يوم القيامة والنار"[٢] . وهو وإن أراد وجه الارتباط بين السورتين عموماً، لكن هذا الارتباط إنما يقع بين المطلعين؛ فالشاهد على وصف مشاهد يوم القيامة في الحاقة قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (الحاقة: ١٣ – ١٨)، ووصف مشاهد يوم القيامة في المعارج قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ (المعارج: ٨ – ١٠)، ويقول الغرناطي: "لما انطوت سورة الحاقة على أشد وعيد وأعظمه، أتبعت بجواب من استبطأ ذلك واستبعده"[٣] . وهذا أيضاً إنما وقع في المطلعين؛ فوعيد الحاقة الشديد الذي لا محيد عنه ولا مهرب، جاء في قوله سبحانه: ﴿ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ ﴾ (الحاقة: ٢ – ٣). وجواب من استبطأ ذلك الوعيد في المعارج جاء في قوله سبحانه: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾ (المعارج: ١ – ٢).

---

(١) أبو حيان، المرجع السابق. ص ٣١٥/٨.

(٢) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٢٨.

(٣) الغرناطي، مرجع سابق، ص١٥٩.

علاقة مطلع سورة نوح بمطلع سورة المعارج:

اشتمل مطلع سورة نوح على قصة نوح مع قومه، وإصراره على دعوتهم على الرغم من إعراضهم الشديد إلى أن يئس منهم بعد زمان مديد، فأنزل الله بهم العذاب الذي كان يحذِّرهم منه نوح وينذرهم به فأغرقهم بالطوفان.

واشتمل مطلع سورة المعارج على إجابة عن سؤال المشركين الرسول ﷺ عن موعد العذاب الذي يحذرهم منه وينذرهم به. ذلك السؤال المنسوب في بعض كتب التفاسير إلى النضر بن الحارث: ﴿ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الأنفال: ٣٢).

ووجه ارتباط مطلع سورة نوح بمطلع سورة المعارج يظهر في أن المطلع في نوح كأنما أُريد به أن يكون مثالا وشاهداً على نوع من أنواع العذاب التي ينزلها الله بالمكذِّبين بيوم الدين، وما فيه من الثواب والعقاب؛ زيادة في تأكيد وقوع العذاب، وإمعاناً في التحذير والنذارة؛ لأن الإجابة عن سؤال العذاب وتأكيد وقوعه كانت قد جاءت في مطلع سورة المعارج في قوله سبحانه: ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج: ١).

ويشير الغرناطي إلى وجه آخر من وجوه الارتباط بين المطلعين ، فيقول: "لما أمر الله تعالى نبيه بالصبر في قوله: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ (المعارج: ٥)، أتبع ذلك بقصة نوح عليه السلام، وتكرار دعائه قومه إلى الإيمان،

وخصَّ من خَبَرِه حاله في طول مدة التذكار والدعاء؛ لأنه المقصود في الموضع؛ تسلية لنبينا ﷺ"[١] . ويظهر تكرار الدعوة وطول مدة التذكار في قوله سبحانه في مطلع سورة نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾ (نوح: ٥ – ٩).

علاقة مطلع سورة الجن بمطلع سورة نوح:

تضمَّن مطلع سورة الجن وصفاً لسهولة انجذاب الجن للقرآن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ ﴾ (الجن: ١ – ٢)، وسرعة تفهُّمهم لهديه واستنباطهم من ذلك وحدانية الله وعظمته. يقول ابن عاشور عن أغراض سورة الجن: "إثبات كرامة للنبي ﷺ بأن دعوته بلغت إلى جنس الجن، وإفهامهم فهم معان من القرآن الذي استمعوه من النبي ﷺ، وفهم ما يدعو إليه من التوحيد والهدى، وعلمهم بعظمة الله وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد"[٢] .

أما مطلع سورة نوح فقد تضمَّن قصة نوح مع قومه، وأنها تُعدُّ مثالاً في تكذيب الأقوام رسلهم، وإعراضهم عن دعوتهم وتذكارهم وإنذارهم بالعذاب، ومثالاً على العناد وانغلاق الأفئدة وصمم الآذان عن صوت الحق والإيمان. وقد استفاض المطلع في وصف حالة الإعراض هذه، وطول فترة الدعوة وألوانها.

---

(١) المرجع السابق، ص١٩٥.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢١٧/٢٩.

ووجه ارتباط مطلع سورة الجن بسورة نوح أنه كان مقابلة لما اشتمل عليه مطلع سورة نوح من معانٍ ومقاصد؛ فتظهر سرعة الاستجابة وعمق الإيمان من الجن في مطلع سورة الجن، في مقابل شدة الإعراض والإنكار من قوم نوح في مطلع سورة نوح. يقول أبو حيان عن سورة الجن: "ومناسبتها لما قبلها: أنه لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر، وعكوفهم على عبادة الأصنام، وكان عليه السلام أول رسول إلى الأرض، كما أن مُحَمَّداً ﷺ آخر رسول إلى الأرض، والعرب الذي هو منهم كانوا عُبّاد أصنام كقوم نوح ... وكان ما جاء به مُحَمَّد ﷺ من القرآن هادياً إلى الرشد، وتوقَّف عن الإيمان به أكثرهم أنزل الله سورة الجن تبكيتاً لقريش والعرب في أنهم تباطؤوا عن الإيمان، إذ كانت الجن خيراً منهم وأقبل للإيمان"[(١)] . وإذا ما تأمَّل القارئ الآيات الدالة على ذلك في السورتين وجدها فيما اشتمل عليه المطلعان من آيات.

علاقة مطلع سورة المزمل بمطلع سورة الجن:

اشتمل مطلع سورة المزمل على خطاب من الله سبحانه إلى رسوله الكريم ﷺ منادياً إياه بوصف الحالة التي كان عليها ساعة نزل به عليه جبريل عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ (المزمل:١)، يقول ابن عاشور: "فنداء النبي بـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ (المزمل: ١)، نداء تلطُّف وارتفاق"[(٢)] . ثم أعقب هذا النداء اللطيف أمر بقيام الليل بتخيير واسع في مدة هذا القيام، وأمر بترتيل القرآن، ثم أمر بالذكر والتبتُّل.

وجاء في مطلع سورة الجن مقصد عظيم من مقاصدها التي ذكرها البقاعي، حيث يقول: "إظهار الشرف لهذا النبي الفاتح الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وذريته وأهل بيته، حيث ليَّن له قلوب الإنس والجن وغيرهما، فصار مالكاً لقلوب

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٣٩/٨.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٥٧/٢٩.

المجانس وغيره؛ وذلك لعظمة هذا القرآن، ولطف ما له من غريب الشأن"[١] . وواضح أن البقاعي يشير هنا إلى أن تليين قلوب الجن له، وميلهم إليه، إنما كان بسبب ما استمعوا إليه من القرآن العظيم، وما تركه فيهم من الأثر البالغ حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ (الجن ١ – ٢)، وأن الأثر تعدَّى الطرب بأصواته إلى إدراك أنه هادٍ إلى الرشد، ثم تعدّى التأثُّر بهذا الإدراك إلى تغيير عقدي هو الإيمان والعزم على ترك الشرك بالكلية: ﴿ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ (الجن: ٢).

ووجه الارتباط بين المطلعين قائم في ترتيل القرآن، كما أورد الغماري عن سورة المزمل، إذ يقول: "تقدم في السورة السابقة مدح القرآن: ﴿ قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾ (الجن ١ – ٢)، فأُمر النبي ﷺ في هذه السورة بالقيام به وبترتيله، وبالاستعداد لما سينزل عليه منه: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (المزمل ٥)"[٢] ، ذلك أنه لما ذكر سبحانه في مطلع الجن استماع الجن لترتيل القرآن من الرسول ﷺ، وتأثرهم البالغ به، وأنه قادهم إلى الإيمان والعزم على ترك الشرك، أراد – وهو أعلم بما يريد – أن يأمر رسوله ﷺ بالمداومة على ترتيله المؤكَّد بصيغة المفعول المطلق: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ٤)، ليكون معيناً له على دعوته.

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٠/٤٦٠.

(٢) الغماري، مرجع سابق، ص١٣٤.

علاقة مطلع سورة المدثر بمطلع سورة المزمل:

تضمَّن مطلع سورة المدثر خطاب الترفُّق والملاطفة نفسه الذي جاء في مطلع سورة المزمل، ثم أعقبه أمر مباشر بالاضطلاع بالرسالة: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (المدثر ٢)، ثم أمرٌ بتكبير الله؛ أي تعظيمه وتنزيهه عما يقوله عبدة الأوثان[١] . وأمر بتطهير الثياب الذي قد يراد به تطهيرها على وجه الحقيقة، أو على وجه المجاز كما ذكر الفخر الرازي[٢] ، وأمر بهجران الرجز؛ أي الاحتراز من كل المعاصي، وأمر بألا يمنَّ الرسول ﷺ على ربه، ويستكثر ما يعمله من الأعمال الشاقة التي أُمر بها، وأمرٌ بالصبر. يقول الفخر الرازي في تفسير: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾ (المدثر: ٧)، "إنا أمرناك في أول هذه السورة بأشياء ونهيناك عن أشياء، فاشتغل بتلك الأفعال وأترك لأجل أمر ربك"[٣] .

أما مطلع سورة المزمل فقد تضمَّن بعد نداء ملاطفته سبحانه رسوله ﷺ بحالته ساعة نزول السورة، جملة من الأوامر الهادفة إلى تزكيته وتقويته وتثبيته عليه الصلاة والسلام بقيام الليل وترتيل القرآن والذكر والتبتُّل، استعداداً لما سيلقى عليه من القول الثقيل. ثم تضمن فيما يلي ذلك من آيات – تعدُّ جزءاً من المطلع – أوامر بالصبر وهجر المشركين، وإيكال أمرهم إلى الله سبحانه: ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾ (المزمل: ١٠ – ١١).

---

(١) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ٣٠/١٩٠-١٩١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٣٠/١٩٢.

(٣) المرجع السابق، ٣٠/١٩٦.

وعن وجه ارتباط سورة المدثر بسورة المزمل، يقول السيوطي: "أقول: هذه متآخية مع السورة التي قبلها في الافتتاح بخطاب النبي ﷺ، وصدر كليهما نازل في قصة واحدة"[١] . وما يريده السيوطي هنا إنما وقع في المطلعين. وقد ذكر الغرناطي في وجه ارتباط سورة المدثر بسورة المزمل قولاً جامعاً؛ إذ يقول: "ملاءمتها لسورة المزمل واضحة، فاستفتاح السورتين من نمط واحد، وما ابتدئت به كل واحدة منهما من جليل خطابه ﷺ، وعظيم تكريمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ (المزمل: ١)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ (المدثر: ١)، والأمر فيهما بما يخصه: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ (المزمل: ٢)، وفي الأخرى: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ (المدثر: ٢)، وأتبع في الأولى قوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴾ (المزمل: ١٠)، وفي الثانية بقوله: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ﴾ (المدثر: ٧)، وكل ذلك قصد واحد، واتبع أمره بالصبر في المزمل بتهديد الكفار ووعيدهم: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ (المزمل: ١١)، وكذلك في الأخرى: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ ﴾ (المدثر ١١ – ١٢). فالسورتان واردتان في معرض واحد، وقصد متحد"[٢] . وهكذا فلم يترك الغرناطي وجهاً من وجوه الارتباط إلا ذكره.

علاقة مطلع سورة القيامة بمطلع سورة المدثر:

جاء في مطلع سورة القيامة قَسَم بها وقسم بنفس الإنسان التي تلومه في ذلك اليوم على ما فرَّط في جنب الله بإنكار البعث والإعراض عن إنذار الرسول ﷺ بهذا اليوم: ﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣)، كما تضمَّن المطلع

(١) السيوطي، تناسق الدرر، مرجع سابق، ص١٣٠.
(٢) الغرناطي، مرجع سابق، ص١٩٨.

استعمال المنطق الدامغ على حقيقة البعث، من أن الذي خلق الإنسان ابتداءً قادر على إعادة إنشائه: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ٤)، يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "كنا قادرين على أن نسوي بنانه في الابتداء، فوجب أن نبقى قادرين على تلك التسوية عند الانتهاء"(١) .

وتضمَّن مطلع سورة المدثر أمراً صريحاً للرسول ﷺ بابتدار الرسالة: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾(المدثر: ٢)، ثم سلسلة من الأوامر تعلَّقت بشخصه ﷺ من تنزيه الله وتعظيمه، وتطهير ثيابه من دنس حسيٍّ أو تطهير نفسه من دنس معنوي، والبعد عن المعاصي، وتجنُّب العُجب بالتزام أوامر الله، ثم الصبر على ما يصيبه من أذى المشركين. وخلص المطلع بعد ذلك إلى فحوى النذارة التي أُمر بها في الآية الثانية، وهي التخويف من يوم القيامة، والإخبار بعلامة حلوله: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾ (المدثر: ٨)، ووصف وقع ذلك اليوم على الكافرين: ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾ (المدثر: ٩ – ١٠).

ووجه التناسب أنه جاء في مطلع سورة القيامة تأكيد حقيقة يوم القيامة بالقسم وتعريفه بالإضافة: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (القيامة ١)، وبسط الحديث عنه بتفصيل مشاهده، وحال الإنسان فيه. وكأنما جاء هذا التأكيد لما ورد من ذكر غير صريح ليوم القيامة، في مطلع المدثر، وإيراده في صيغة التنكير: ﴿ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴾ (المدثر ٩)، والإخبار عنه إخباراً موجزاً بلا تفصيل.

---

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢١٧/٣٠.

علاقة مطلع سورة الإنسان بمطلع سورة القيامة:

يتضمَّن مطلع سورة الإنسان استفهاماً تقريريًّا للإنسان عن مبدأ حاله وأصله لئلا يغتر بما صار إليه من القوة وما امتلكه من أسباب السيادة. يقول الغرناطي عن هذا السؤال: "تعريف للإنسان بحاله وابتداء أمره؛ ليعلم ألا طريق له للكبر، واعتقاده السيادة لنفسه، وألا يغالطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية والاعتناء الإلهي والمكرمة فيعتقد أنه يستحقُّ ذلك ويستوجبه"[١].

وأول ما تضمنه مطلع سورة القيامة قَسَم بيوم القيامة، يدلُّ على عظم المقسم به والمقسم عليه. وهو قسم ليس له جواب مباشر كما ذكر بعض المفسرين، وأن الجواب إنما يُستنبط مما جاء بعده. يقول ابن عاشور: "وجواب القسم يؤخذ من قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ ﴾ (القيامة: ٣)، لأنه دليل الجواب، إذ التقدير: لنجمعن عظام الإنسان، أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه"[٢] ؟ ويعني هذا أن الغرض الأبرز بين أغراض هذا المطلع إثبات البعث الذي أنكره المشركون، واستفهموا الرسول ﷺ عن موعده استفهاماً إنكاريًّا: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (القيامة: ٦)، وتمادوا في فجورهم وكذبهم، ثم أتبع ذلك بتذكيرهم بقدرة خالق الإنسان الأول من عدم على إعادة خلقه بعد فنائه. وفي ذلك ما فيه من تسفيه عقولهم، ووصفها بالعجز عن التفكير المنطقي.

ووجه الارتباط بين المطلعين هو تكامل معنى حقيقة البعث، وقدرة الخالق عليه، والاستدلال على إمكان جمع العظام وإعادة البعث بمنطق أن الذي خلق الإنسان من عدمٍ قادرٌ على إعادة بعثه بعد أن يصير إلى عدم مرة أخرى. وقد جاء ذلك في

(١) الغرناطي، مرجع سابق، ص١٩٨.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٣٨/٢٩.

سورة الإنسان في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإنسان: ٢)، وجاء في سورة القيامة في قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣).

علاقة مطلع سورة المرسلات بمطلع سورة الإنسان:

أنكر المشركون على رسول الله ﷺ ما يذكّرهم به من البعث، وما ينذرهم به من حقيقة يوم القيامة وما فيه من الأهوال والمشاهد العظيمة. وهذا دأب الكافرين والمعترضين على دعوات رسلهم من الأقوام كافة. وقد تكرر إثبات البعث ووقوع يوم القيامة في آيات كثيرة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم. ويأتي الإثبات هذا تارة بقَسَم يقسمه الله بشيء من مخلوقاته العظيمة، أو بحجة عقلية منطقية تكررت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم؛ وهي حجة قدرة خالق الإنسان من عدم على إعادة خلقه بعد أن يصير إلى عدم، وغالباً ما تُدعم هذه الحجة بدعوة المنكرين من الكفار والمشركين إلى تذكُّر أطوار خلق الإنسان.

اشتمل مطلع سورة المرسلات على إثبات وقوع البعث وحقيقة اليوم الآخر عبر القسم الرباني المغلَّظ الذي تكرر فيه ذكر عدد من المخلوقات المقسم بها بحسب آراء بعض المفسرين، أو صفات مختلفة لطوائف من الملائكة بحسب آراء مفسرين آخرين. يقول الألوسي: "أقسم الله بمن اختاره من الملائكة عليهم السلام، فقيل: المرسلات والعاصفات طوائف، والناشرات والفارقات والملقيات طوائف أخرى"[(١)] . وكلما عظم القسم عظم جوابه؛ أي المقسم عليه، وهو هنا في سورة المرسلات البعث والقيامة: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (المرسلات ٧).

(١) الألوسي، مرجع سابق، ١٧٣/٢٨.

وجاء مطلع سورة الإنسان مشتملاً على وعيد للكافرين ووعد للمؤمنين: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلَا وَسَعِيرًا ۝٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ ﴾ (الإنسان ٤ – ٥).

ووجه التناسب بين المطلعين أن مطلع سورة المرسلات تضمَّن إثبات الوعد بالبعث وحقيقة القيامة: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾ (المرسلات ٧)، وتضمن مطلع سورة الإنسان الوعيد والوعد سالفي الذكر. وإذا كان الوعد في مطلع المرسلات بوقوع اليوم الآخر، فإن الوعد والوعيد في الإنسان بما فيه من العقاب والثواب.

وبعدُ فهذا ما يسَّره الله لي من فهم لمطالع سور جزء تبارك، وملاحظة ما انعقد بينها من الروابط من تكامل أو تقابل بين المعاني، أو إجمال وتفصيل، أو إبهام وتوضيح.

المبحث الرابع
علاقة خاتمة السورة بخاتمة ما قبلها

لم تجد الباحثة – في حدود ما أتيح لها من بحث – كتباً أو بحوثاً خُصِّصت للنظر في علاقات الربط والتناسب بين خاتمة السورة وخاتمة السورة التي قبلها في جزء تبارك، وأكثر كتب التناسب بين السور أشارت إلى المناسبة بين مطلع السورة وخاتمة السورة التي قبلها. ولا يعني هذا ألا مناسبة يمكن تلمُّسها بين خاتمة السورة والسورة التي قبلها في جزء تبارك؛ وذلك لأن البحث في علاقات التناسب بين السور في جزء تبارك، بل في القرآن كله، لم تأت على كل المناسبات، ولا تزال هنالك حاجة إلى البحث في هذا الميدان. ولم يُجرَ هذا البحث أصلاً إلا ليسدَّ جزءاً يسيراً من هذه الحاجة.

وستحاول الباحثة أن تتلمَّس أوجه التناسب بين خاتمة السورة وخاتمة السورة التي قبلها في جزء تبارك من خلال الاستعانة بتفاسير القرآن الكريم، وتستنبط ما ترى فيه وجهاً من أوجه التناسب في تفسير آيات الخاتمتين، وبالله التوفيق.

علاقة خاتمة سورة القلم بخاتمة سورة الملك:

جاء في تفسير الآية: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الملك ٢٥)، من خاتمة سورة الملك عند الفخر الرازي أنه يروى أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فأمر الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم: إن الله تعالى سواء أهلكني بالإماتة أو رحمني بتأخير الأجل، فأنتم أي راحة لكم في ذلك؟ وأي منفعة لكم فيه؟ ومن الذي يمنع عنكم عذاب الله حين ينزل بكم[١]؟ ويشير إلى مثل ذلك

(١) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ٧٦/٣٠.

البقاعي، فيقول: "﴿ قُلْ ﴾ أي يا أفضل الخلق كلهم وأرقهم وأعظمهم وأتقاهم، لهؤلاء الذين طال تضجَّرهم منك وهم يتمنون هلاكك حسداً منهم وعمى في قلوبهم وبعداً وطرداً قد استحكم واستدار بهم: هذا تقدير العزيز العليم"(١) . ويفسّر الآية ابن عاشور، فيقول: "كان من بذاءة المشركين أن يجهروا بتمني هلاك رسول الله ﷺ ، وهلاك من معه من المؤمنين ...، فأمره الله أن يعرّفهم حقيقةً تدحض أمانيهم؛ وهي أن موت أحد أو حياته لا يغني عن غيره ما جرَّه إليه عمله، وقد جرَّت عليهم أعمالهم غضب الله ووعيده، فهو نائلهم حيي رسول ﷺ ، أم بادره المنون"(٢) . ويتَّضح من هذا أن الآية متضمِّنة الإخبار عن دعاء كفار مكة على رسول الله ﷺ ومن معه بالهلاك، وفي الوقت نفسه الإخبار بأن حياته أو هلاكه ليسا بمانعين عنهم ما سيصيبهم من العذاب بسبب كفرهم وسوء أعمالهم.

ومن آيات خاتمة سورة القلم، قوله سبحانه: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (القلم: ٥١). وقد ذكر أبو حيان في تفسيره أن المراد من قوله سبحانه: ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾، ليأخذونك بالعين، وأن اللفع بالعين كان في بني أسد، فقال الكفار لرجل منهم أن يصيب رسول الله ﷺ ، ولكن الله عصم نبيه وأنزل عليه هذه الآية(٣) . والقصة متكرر ذكرها في معظم التفاسير. ومن هذا يتَّضح أن

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٧٦/٢٠.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥١/٢٩.
(٣) انظر: أبا حيان، مرجع سابق، ٣١١/٨.

المعنى الذي تضمَّنته الآية هو أن من بين ما استعمله كفار مكة من الطرق المختلفة للخلاص من رسول الله ﷺ أن يصيبوه بالعين.

وهكذا فإن المتأمِّل لوجه التناسب بين الخاتمتين يمكنه أن يلاحظ أن كلتيهما تحدَّثت عن سعى كفار مكة الحثيث للتخلُّص من رسول الله ﷺ بالدعوة عليه بالهلاك في خاتمة سورة الملك، وبمحاولة إصابته بالعين في خاتمة سورة القلم، والله سبحانه أعلم.

علاقة خاتمة سورة الحاقة بخاتمة سورة القلم:

خُتمت سورة القلم بقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (القلم: ٥١– ٥٢)، وفي تفسير هذه الآية يقول ابن عاشور: "يقولون ذلك اعتلالاً لأنفسهم، إذ لم يجدوا في الذكر الذي يسمعونه مدخلاً للطعن فيه فانصرفوا إلى الطعن في صاحبه ﷺ بأنه مجنون، لينتقلوا من ذلك إلى أن الكلام الجاري على لسانه لا يوثق به؛ ليصرفوا دهماءهم عن سماعه، فلذلك أبطل الله قولهم: ﴿ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ بقوله: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾؛ أي ما القرآن إلا ذكر للناس كلهم، وليس بكلام المجانين"[1] . وفي تفسير هذه الآية ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ يقول الفخر الرازي: "أي وما هذا القرآن الذي يزعمون أنه دلالة جنونه إلا ذكر للعالمين، فإنه ذكر لهم وبيان لهم وأدلة لهم، وتنبيه لهم على ما في عقولهم من

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٠٨/٢٩.

أدلة التوحيد"[١] . وهكذا يستطيع القارئ المتأمِّل أن يلاحظ أن خاتمة سورة القلم تحدَّثت عن القرآن الكريم، وتنزيهه عما رماه به الكفار من أنه كلام المجانين، كما بيَّنت حقيقته التذكيرية الداعية إلى التوحيد.

ويستطيع القارئ المتأمِّل كذلك أن يلاحظ أن سورة الحاقة خُتمت بعدد من الآيات عن القرآن الكريم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾ (الحاقة: ٤٨ – ٥١)، يقول ابن عاشور في تفسير الآية الكريمة السابقة: "فلما أبطل طعنهم في القرآن بأنه قول شاعر، أو قول كاهن أعقب ببيان شرفه ونفعه؛ إمعاناً في إبطال كلامهم بإظهار الفرق البيّن بينه وبين شعر الشعراء وزمزمة الكهّان، إذ هو تذكرة وليس ما ألحقوه به من أقوال أولئك من التذكير في شيء"[٢] . يقول الفخر الرازي في تفسير الآية: "ثم قال: ﴿ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ له بسبب حب الدنيا، فكأنه تعالى قال: أما من اتقى حب الدنيا فهو يتذكر بهذا القرآن وينتفع، وأما من مال إليها فإنه يكذِّب بهذا القرآن ولا يقربه"[٣]. وفي تفسير الآية: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴾ ، يقول الزمخشري: "وإن القرآن لليقين حقُّ اليقين، كقولك: هو العالم حق العالم وجدُّ العالم. والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين"[٤] . ويتبين الآن أن خاتمة سورة الحاقة اشتملت على إبطال ما زعمه الكافرون عن القرآن، وبيان نفعه للمتقين الذين آمنوا به، وحسرته على الكافرين الذين كذَّبوا به يوم يتبين لهم الحق.

---

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٠١/٣٠.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٤٨/٢٩.

(٣) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١١٩/٣٠.

(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٣٨.

وبالنظر إلى ما أمكن الباحثة استخلاصه من معاني ومقاصد الخاتمتين في سورتي القلم والحاقة، يمكن ملاحظة أن التناسب بين خاتمتيهما ينعقد في الحديث عن القرآن الكريم، وأن ما جاء في خاتمة القلم كان وصفاً للقرآن بأنه ذكر للعالمين كافة، وما جاء في خاتمة الحاقة كان تخصيصاً ووقفاً لنفعه على المتقين، وأما على المكذبين به فهو حسرة وندم. كما أن الحديث عنه جاء في خاتمة القلم مقتضباً، وجاء في خاتمة الحاقة موسَّعاً ومفصَّلاً.

علاقة خاتمة سورة المعارج بخاتمة سورة الحاقة:

أشارت بعض تفاسير الآية: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾ (الحاقة: ٤٩)، إلى أنها تضمنت وعيداً بالعذاب على تكذيب الكفار بالقرآن وبمحمد ﷺ. ويشير إلى ذلك البقاعي حيث يقول: "إنا وبما لنا من العظمة نعلم غيباً في الأزل أن منكم مكذبين؛ أي عريقين في التكذيب، فأنزلنا الكتاب وأرسلنا الرسل ليظهر منكم ما كنا نعلمه من تكذيب وإيمان، فتستحقون بذلك الثواب أو العقاب"[(١)] . وفي تفسير الأية: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (الحاقة ٥٠)، يقول ابن عاشور: "فالقرآن حسرة عليهم في الدنيا؛ لأنه فضح تزَّهاتهم، ونقض عماد دينهم الباطل، وكشف حقارة أصنامهم، وهو حسرة عليهم في الآخرة؛ لأنهم يجدونه سبب عذابهم"[(٢)] . وبهذا تكون الآيتان قد تضمَّنتا تهديداً بعذاب الكافرين في يوم القيامة، وندمهم وحسرتهم على ما فرَّطوا في جنب الله.

أما سورة المعارج فد خُتمت بجملة من الآيات التي تتحدَّث عن عذاب الكافرين: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (المعارج: ٤٢ – ٤٣)،

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٨٣/٢٠.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٤٩/٢٩.

يقول المراغي: "﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ أي دعهم في تكذيبهم وعنادهم إلى يوم البعث، وحينئذ يعلمون عاقبة وبالهم، ويذوقون شديد نكالهم، حين يعرضون للحساب والجزاء، يوم تجزى كل نفس بما عملت، لا شفيع ولا نصير"(١) .

ووجه التناسب بين خاتمتي السورتين أنهما تضمَّنتا تهديداً بالعذاب الذي ينتظر المكذبين بالقرآن وبرسالة الرسول ﷺ. وقد اشتملت خاتمة سورة الحاقة على التهديد بالعذاب في إشارة ضمنية، ولكن الإشارة في خاتمة سورة المعارج كانت واضحة ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾. كما أنها تضمَّنت وصفاً لحالهم في ذلك اليوم: ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ﴾ (المعارج: ٤٤).

علاقة خاتمة سورة نوح بخاتمة سورة المعارج:

خُتمت سورة المعارج بوعيد شديد للكفار بعذاب الآخرة بسبب إنكارهم يوم البعث وإعراضهم عن دعوة الرسول ﷺ، ورفضهم قبولها. وتكرر تأكيد وقوع البعث واليوم الآخر في قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ في آيتين. مع وصف حالهم في ذلك اليوم وهم يخرجون من قبورهم مسرعين، وكأنهم يهرعون إلى أصنامهم، وهيئتهم في الانكسار والذل الذي صاروا إليه.

وختمت سورة نوح بالإخبار عما سيواجهه قومه يوم القيامة من العذاب بإدخالهم النار بسبب ما ارتكبوه من الخطايا في حياتهم الدنيا: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (نوح: ٢٥)، والإخبار وإن جاء بصيغة الفعل الماضي، فالمراد به المستقبل بسبب تأكُّده، وفي ذلك يقول الفخر

(١) المراغي، تفسير المراغي، مرجع سابق، ٧٦/٢٩..

الرازي: "قال مقاتل والكلبي: معناه أنهم سيدخلون في الآخرة ناراً، ثم عبَّر عن المستقبل بلفظ الماضي لصحة كونه وصدق الوعد به"(١).

ووجه التناسب بين الخاتمتين يمكن أخذه مما ذكره الغماري عن مناسبة سورة نوح لما قبلها، إذ يقول: "ومناسبتها لما قبلها أن الله تعالى ذكر في السورة السابقة حال الكفار مع النبي ﷺ، واستهزاءهم بالمؤمنين، وأمر نبيه بأن يتركهم في خوضهم ولعبهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون فيه العذاب، فذكر ما لاقى قوم نوح من الهلاك والعذاب بعده، حين كذبوا رسولهم، ... فما حلَّ بهولاء من العذاب، سيحلُّ بأولئك"(٢) . فالغماري وإن أراد بهذه الفقرة التناسب بين مجمل السورتين، إلا أنه بالبحث عن الآيات التي حملت المعاني المتناسبة نجد أنها في خاتمة سورة المعارج في قوله سبحانه: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (المعارج ٤٢ – ٤٤)، وفي خاتمة سورة نوح في قوله سبحانه: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾(نوح: ٢٥).

علاقة خاتمة سورة الجن بخاتمة سورة نوح:

يستطيع المتأمِّل في سور جزء تبارك أن يلاحظ أنه لم تخل سورة من سوره من ذكر عصيان أقوام الرسل المختلفين، وإعراضهم عن دعوة رسلهم وإنكار البعث وعذاب الآخرة. ويأتي ذلك في مواضع مختلفة من السورة؛ فتارة في مطلعها وتارة في وسطها وتارة في خاتمتها. ويتفاوت هذا الذكر بين الاقتضاب والإسهاب بحسب مقاصد السورة. وكذلك كانت سورة نوح،

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٤٥/٣٠.
(٢) الغماري، مرجع سابق، ص١٣٢.

فبعد إسهاب في ذكر عنادهم وإعراضهم عن دعوة نوح على الرغم من اجتهاده الشديد فيها، جاءت آية تحدَّثت عما آل إليه مصيرهم، إذ أُدخلوا نار جهنم. ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ (نوح: ٢٥)، وفي تفسير هذه الآية يقول ابن عاشور: "أي أغرقوا فأدخلوا ناراً من أجل مجموع خطيئاتهم لا لمجرد استجابة دعوة نوح التي ستُذكر عقب هذا ليُعلم أن الله لا يقرُّ عباده على الشرك بعد أن يرسل عليهم رسولاً، وإنما تأخَّر عذابهم إلى ما بعد دعوة نوح لإظهار كرامته عند ربه بين قومه، ومسرَّة له وللمؤمنين معه وتعجيلاً لما يجوز تأخيره"[١] . والملاحظ أن الآية جاءت في خاتمة السورة.

ولم تختلف سورة الجنِّ عن سابقاتها ولاحقاتها في ذكر عصيان الأقوام ومصيرهم في الآخرة، فقد جاءت فيها آية تذكر عذاب الكافرين في نار جهنم: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ (الجنِّ: ٢٣)، ويفسِّر الفخر الرازي قوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، فيقول: "إنما يتناول من عصى الله ورسوله بجميع أنواع المعاصي؛ وذلك هو الكافر، ونحن نقول بأن الكافر يبقى في النار مؤبَّدا"[٢] . وبهذا يخرج من التأبيد في النار من عصى الله ورسوله بنوع من المعاصي لا كل أنواعها. والآية جاءت في خاتمة السورة.

ووجه التناسب بين الخاتمتين هو ذكر النار جزاء للعصاة المعرضين عن دعوة رسلهم. وذكر عذاب النار جاء في خاتمة سورة نوح عذاباً خاصَّاً بقوم نوح جزاء لهم على ما ارتكبوه من الخطايا. وذكر العذاب جاء في خاتمة سورة الجنِّ تحذيراً وتخويفاً للناس كافة من مغبَّة عصيان الله ورسوله بجميع أنواع المعاصي، أي بالكفر الكامل، والله أعلم.

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢١٢/٢٩.

(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٦٦/٣٠.

علاقة خاتمة سورة المزمل بخاتمة سورة الجن:

اشتملت خاتمة سورة الجن –كما سبق ذكره – على وعيد يتضمن تحذيراً وتخويفاً مِن مصير مَن يعصى الله ورسوله بجميع ألوان العصيان على سبيل الكفر من أن النار مثواه. واشتملت خاتمة سورة المزمل على آية فيها مثال على العصيان، هو عصيان فرعون: ﴿ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴾ (المزمل ١٦)، وفيها إخبار بما وقع عليه من العذاب ﴿ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ١٦ ﴾، يقول البقاعي: "أي بما لنا من العظمة، وبيَّن أنه أخذ قهر وغضب بقوله: ﴿ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴾ ؛ أي ثقيلاً شديداً متعباً مضيّقاً رديء العاقبة"(١) .

ووجه التناسب بين الخاتمتين الوعيد والتهديد بالعذاب لمن يعصي الله ورسوله في خاتمة الجن، ومثال لمن عصى الرسول، وواقع ما أصابه جراء هذا العصيان، فالرابط تحذير من المآل في خاتمة الأولى، ومثال على المآل في خاتمة الثانية.

علاقة خاتمة سورة المدثر بخاتمة سورة المزمل:

جاء في خاتمة سورة المزمل الآية: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ (المزمل: ١٩)، في أعقاب عدد من الآيات المتضمّنة تهديداً ووعيداً بإنزال العذاب والنكال الذي أعده الله للعصاة المعرضين عن القرآن، الطاعنين فيه بأنه سحر وشعر وأساطير. فكان قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ ﴾ كأنه ردٌّ على طعنهم في القرآن،

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٥/٢١.

وبيان لحقيقته. وفي تفسير الآية يقول أبو حيان: "﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ ؛ أي السورة أو الأنكال وما عطف عليه والأخذ الوبيل، أو آيات القرآن المتضمّنة شدة القيامة: ﴿ تَذۡكِرَةٞۖ ﴾ ؛ أي موعظة"(١) . وفي المعنى نفسه يقول الألوسي: "﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ ﴾ إشارة إلى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة، ﴿ تَذۡكِرَةٞۖ ﴾؛ أي موعظة"(٢) . وفي تفسير أكثر تعميماً وشمولاً يقول ابن عاشور: "﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ١٩ ﴾ (المزمل: ١٩)، تذييل؛ أي تذكرة لمن يتذكر، فإن كان من منكري البعث آمن به، وإن كان مؤمناً استفاق من بعض الغفلة التي تعرض للمؤمن، فاستدرك ما فاته، وبهذا العموم الشامل لأحوال المتحدث عنهم وأحوال غيرهم كانت الجملة تذييلاً"(٣) .

اختتمت سورة المدثر بعدد من الآيات التي تضمَّنت تهديداً لمن تصدى للقرآن بالطعن، وبيان بطلان زعمهم أنه من قول البشر، واستنكاراً لإعراضهم عنه، ووصفاً له بأنه تذكرة وموعظة، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴾ (المدثر: ٤٩)، يقول الألوسي: "إذا كان حال المكذبين به على ما ذُكر فأي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال عليه، وتأخذ الدواعي إلى الإيمان به. وجُوِّز أن يراد بالتذكرة ما يعم القرآن"(٤) . وتكرر وصف القرآن بأنه تذكرة في قوله سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾ (المدثر: ٥٤)، يقول البقاعي: "ولما كان ما مضى من هذه السورة من الأحكام والترغيب والترهيب، مرشداً إلى معالي الأخلاق منقذاً من كل سوء، قال مستأنفاً مؤكداً تنبيهاً

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٥٨/٢٨.
(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٢٩/٢٨.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٧٧/٢٩.
(٤) الألوسي، مرجع سابق، ٨٤/٢٨.

علـى عظمتهـا، وأنهـا ممـا ينبغـي التنبيـه عليـه:﴿ إِنَّهُۥ ﴾ ؛ أي القطعـة المتقدمـة مـن هـذه السـورة ﴿ تَذۡكِرَةٞ ﴾؛ أي تذكير عظيم هو أهل لأن يتَّعظ به المتَّعظ، ويعتبر به المعتبر"[١] . ويقول ابن عاشور عن قوله سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾: "كلا ردع ثانٍ مؤكد للردع الذي قبله؛ أي لا يؤتون صحفاً منشرة، ولا يوزعون إلا بالقرآن. وجملة ﴿ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾ تعليل للردع عن سؤالهم أن تنزَّل عليهم صحف منشَّرة، بأن هذا القرآن تذكرة عظيمة"[٢] .

ووجه التناسب بين الخاتمتين وصف القرآن بأنه تذكرة لمن طعن فيه، وأنكر ما جاء فيه من إخبار بالبعث وأحوال الآخرة وأهوالها، وكأنما يريد الله سبحانه – وهو أعلم بما يريد – أن يحجَّهم بهذا الإخبار فلا يكون لأحدهم أن يتعلَّل بأنه لم يجد مذكِّراً ولا هادياً.

علاقة خاتمة سورة القيامة بخاتمة سورة المدثر:

اشتملت الآيات الأخيرة من سورة المدثر على آية صريحة في إنكار الكافرين البعث، وهي قوله سبحانه: ﴿ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ (المدثر: ٥٣)، فعدم خوفهم ناشئ عن عدم تصديقهم بما جاء في القرآن من التخويف والتهديد بما سيكون في ذلك اليوم من الثواب والعقاب. يقول ابن عاشور: "﴿ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾؛ أي ليس ما قالوه إلا تنصُّلا، فلو أنزل عليهم كتاب ما آمنوا وهم لا يخافون الآخرة؛ أي لا يؤمنون بها، فكنّى عن عدم الإيمان بالآخرة بعدم الخوف منها؛

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٨/٢١.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٣٢/٢٩.

لأنهم لو آمنوا بها لخافوها، إذ الشأن أن يخاف عذابها"[١] . وفي تفسير آخر للآية يقول المراغي: "﴿ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴾؛ أي إنما دسّاهم، وطبع على قلوبهم، وأعمى أبصارهم أنهم كانوا لا يصدِّقون بالآخرة ولا يخافون أهوالها، ومن ثم أعرضوا عن التأمُّل في تلك المعجزات الكثيرة، وقد كانت لهم كافية في الدلالة على صدق دعوى مُحَمَّد ﷺ للنبوة"[٢] .

وتضمّنت خاتمة سورة القيامة استفهاماً إنكاريًّا للكفار على عدم إيمانهم بالبعث، وظنّهم أنه لا بعث ولا حساب ولاعقاب ولا ثواب، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة: ٣٦)، ويقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "أي مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يكلف في الدنيا ولا يحاسب بعمله في الآخرة"[٣] . والاستفهام الإنكاري هذا الذي جاء في خاتمة السورة، وأنكر على الكفار عدم إيمانهم بالبعث وعدم تصديقهم به، إنما كان تكراراً لاستفهام مماثل جاء في مطلع السورة: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣)، وفي هذا يقول الألوسي: "والاستفهام إنكاري وكأن تكريره لتكرير إنكار الحشر، قيل: مع تضمُّن الكلام الدلالة على وقوعه حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح والرذائل، والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة، وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة"[٤] .

ويمكن استنباط وجه التناسب بين الخاتمتين من مضمون تفسير هاتين الآيتين، فأقول وبالله التوفيق: إن كلتا الخاتمتين اشتملت على إخبار بأن الكافرين منكرون للبعث غير مؤمنين بيوم للحساب يجازى فيه الإنسان على ما عمل في الدنيا من

(١) المرجع السابق، ٣٣١/٢٩.
(٢) المراغي، مرجع سابق، ١٤٢/٢٩.
(٣) الفحر الرازي، مرجع سابق، ٢٣٣/٣٠.
(٤) الألوسي، مرجع سابق، ١٢٢/٢٨.

أعمال صالحة أو آثام وذنوب. وقد جاء هذا الإخبار في خاتمة سورة المدثر تقريراً وإثباتاً: ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأَخِرَةَ ۝٥٣ ﴾ ، وجاء في خاتمة سورة القيامة استفهاماً إنكارياً: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾(القيامة: ٣٦).

علاقة خاتمة سورة الإنسان بخاتمة سورة القيامة:

تكاد سورة القيامة أن تكون بكامل آياتها تأكيداً ودليلاً على حقيقة البعث، ومشاهد اليوم الآخر، وإنكاراً على الكافرين تكذيبهم بذلك، وقطعهم بأنه لا حياة بعد هذه الحياة، وأنه يستحيل جمع العظام بعد فناء الأجساد، مع قيام الحجة والدليل على عدم الاستحالة بمنطق أن من أنشأ الإنسان من عدم قادر على إعادة إنشائه بعد الفناء. وقد تكرر هذا الإنكار على الكافرين في أكثر من موضع من السورة. واشتملت خاتمة السورة على هذه المعاني المبثوثة في كاملها، فجاءت في الخاتمة الآيات المبيّنة لتكذيبهم باليوم الآخر في قوله سبحانه: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢ ﴾ (القيامة: ٣١ – ٣٢)، وفي تفسير الآيتين يقول ابن عاشور: "فلا آمن بما جاء به الرسول ﷺ، ... وعطف ﴿وَلَا صَلَّىٰ ﴾ على نفي التصديق تشويهاً له بأن حاله مبائن لحال أهل الإسلام، فلم يؤمن ولم يسلم"[(١)] . ويضيف ابن عاشور تفسيراً لقوله سبحانه: ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾: "وجملة ﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ أفادت معنيين، أحدهما توكيد قوله: ﴿ فَلَا صَدَّقَ ﴾ بقوله: ﴿كَذَّبَ ﴾ وثانيهما زيادة معنى ﴿ فَلَا صَدَّقَ ﴾ بأنه تولى عمداً؛ لأن عدم التصديق له أحوال"[(٢)] . وجاء الاستفهام

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٦١/٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٣٦٢/٢٨.

الإنكاري على الكافرين هذا المسلك الغريب في القول باستحالة إعادة الإحياء بعد الممات في قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ وقوله: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٤٠).

واشتملت خاتمة سورة الإنسان على تكذيب الكافرين باليوم الآخر في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (الإنسان: ٢٧)، يقول البقاعي: "ولما كان تركهم لليوم الثقيل على وجه التكذيب، وهو أقبح الترك، تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه، قال دالا على الإعادة بالابتداء من باب الأولى: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ ﴾ (الإنسان ٢٨)، بما لنا من العظمة لا غيرنا ﴿ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ ﴾ (الإنسان: ٢٨)، أي قوّينا واتقنّا ربط مفاصلهم الظاهرة والباطنة بالأعصاب على وجه الإحكام بعد كونهم نطفة أمشاج في غاية الضعف"[١] . واليوم الثقيل يراد به يوم القيامة. يقول الألوسي: "إن هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذّاتها، ويذرون وراءهم؛ أي أمامهم يوماً ثقيلاً، هو يوم القيامة، وكونه أمامهم ظاهر، أو يذرون وراء ظهورهم يوماً ثقيلاً لا يعبؤون به، ... ووصف اليوم بالثقيل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله"[٢] . ويواصل الألوسي في تفسير الآية فيقول عن ﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾: "أي أهلكناهم وبدلنا أمثالهم في شدة الخلق ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ بديعاً لا ريب فيه؛ يعني البعث والنشأة الأخرى، فالتبديل في الصفات، لأن المعاد هو المبتدأ"[٣] .

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق،١٥٨/٢١-١٥٩.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ١٦٦/٢٨.

(٣) المرجع السابق.

ووجه التناسب بين الخاتمتين هو اشتمالها على بيان حال المكذبين بالبعث عناداً واستكباراً وتعامياً عن النظر والاعتبار، ثم توبيخهم وتعنيفهم على هذا الإنكار، وتذكيرهم بأصل خلقهم من العدم، وعرضه عليهم بوصفه دليلاً دامغاً على قدرة الله على إعادة الخلق وبعثهم في نشأة أخرى.

علاقة خاتمة سورة المرسلات بخاتمة سورة الإنسان:

اشتملت خاتمة سورة الإنسان على إخبار عن الكفار بأنهم بكفرهم وإعراضهم عن الدعوة، إنما يغفلون عن أن أمامهم يوما ثقيلاً بما فيه من الأهوال، وما سيقابلهم فيه من الحساب، ثم الجزاء. ثم فُصِّل الجزاء إلى نوعين بحسب استجابة قوم الرسول لدعوته بين منقادين مؤمنين مصدِّقين بالبعث واليوم الآخر، ومعرضين معاندين منكرين للبعث واليوم الآخر. وجاء هذا التفصيل في قوله سبحانه في الجزء الأول من الآية: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ (الإنسان: ٣١)، جزاء للمؤمنين، وقوله سبحانه في الجزء الآخر من الآية: ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ جزاء للكافرين. وفي ذلك يقول البقاعي: "والإنسان معتنى به غاية الاعتناء، وأنه ما خلق إلا للابتلاء، فهو إما كافر مغضوب عليه، وإما شاكر منظور بعين الرضى إليه، فسبحان من خلقنا وميتنا ويحيينا بقدرته، والله الهادي"(١).

واشتملت خاتمة سورة المرسلات على إشارة لليوم الآخر في قوله سبحانه: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (المرسلات: ٣٨)، ثم بيان وتفصيل لجزاء الكرامة للمؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٤٤ ﴾ (المرسلات: ٤١ – ٤٤)، وما يقابله من جزاء المذلة والمهانة للكافرين: ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ۝٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٦٣/٢١.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (المرسلات: ٤٥ — ٥٠)، ويرى بعض المفسرين أن ذكر النعيم الذي أعده الله سبحانه لعباده المؤمنين مقروناً بجزاء الكافرين، إنما هو إمعان في توبيخ المشركين؛ ليكون إشعاراً لهم بالحسرة والندامة. يقول ابن عاشور: "هو تقريع للمشركين حكى لهم فيه نعيم المؤمنين الذي لا يشاهده المشركون لبعدهم عن مكانه، فيُحكى لهم يومئذٍ فيما يقال لهم ليكون ذلك أشد عليهم، وتنديماً لهم على ما فرطوا فيه وبادر إليه المتَّقون المؤمنون ففازوا"[١] . ويقول الألوسي في المعنى نفسه تفسيراً للآية: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾: "حيث نال أعداؤهم هذا الثواب العظيم، وهم بقوا في العذاب الأليم"[٢] .

ووجه التناسب بين الخاتمتين كلتيهما اشتملتا على التذكير باليوم الآخر، وعلى تأكيد وقوعه، وعلى ما فيه من جزاء للناس على ما قابلوا به دعوة الرسل من الإيمان والانقياد، أو الكفر والإعراض.

لقد اعتمدتُ— بعد الله — على محاولة الاجتهاد في تلمُّس أوجه التناسب بين خاتمة كل سورة وخاتمة السورة التي قبلها بالربط اللفظي أحياناً، والمعنوي أحيانا أخرى، مستفيدة من إشارات يبثها بعض المفسرين. واسأل الله التوفيق إلى الصواب، وأبرأ إليه من الخبط بلا هدى.

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٤٤٣/٢٩.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ١٩٣/٢٨.

الفصل الثاني

بلاغة التناسب في السورة الواحدة

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: علاقة اسم السورة بمقصودها.

المبحث الثاني: علاقة مطلع السورة بمقصودها.

المبحث الثالث: علاقة خاتمة السورة بمقصودها.

المبحث الرابع: علاقة مطلع السورة بخاتمتها.

المبحث الخامس: المناسبة بين الفواصل وآياتها.

المبحث السادس: العلاقة بين آيات السورة.

المبحث الأول
علاقة اسم السورة بمقصودها

رصد بعض المفسرين والعلماء الذين تحدثوا في علم المناسبات عن محاور التناسب بين السور، محاور أخرى للتناسب داخل السورة الواحدة، ومحور التناسب بين اسم السورة ومقصودها واحد من منها. يقول ابن القيِّم عن علاقة الاسم بالمسمّى: "لما كانت الأسماء قوالب للمعاني، ودالَّة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب ...، للأسماء تأثير في المسمَّيات وللمسمَّيات تأثُّر عن أسمائها في الحسن والقبح والخفة والثقل واللطافة والكثافة كما قيل"[١]. وأسماء سور القرآن جارية على عادة العرب في ربط اسم الشيء بصفة فيه أو شيء يختصُّ به. يقول الزركشي: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سمِّيت به، ولا شكَّ أن العرب تراعي في الكثير من المسمَّيات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرَب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصُّه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمّى ... وعلى ذلك جرت أسماء السور"[٢].

ويذكر الزركشي أن السورة من القرآن قد يكون لها اسم واحد وقد يكون لها اسمان وقد يكون لها ثلاثة أسماء وقد يكون لها أكثر، ثم قال: "ينبغي البحث عن تعدُّد الأسامي: هل هو توقيفي، أم بما يظهر من المناسبات؟ فإن كان الثاني فلا يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معانٍ كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد"[٣]. وستعتمد الباحثة بإذن الله الاسم الأشهر

---

(١) ابن قيِّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد. ضبط نصَّه: شعيب الأرنؤوط؛ وعبد القادر الأرنؤوط، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٩م). ص٢٩٠.

(٢) الزركشي، مرجع سابق، ١/٢٧٠.

(٣) المرجع السابق.

والأكثر وروداً وإثباتاً في المصاحف وكتب السنة والتفاسير، لتلمُّس الصلة بينه وبين مقصود السور في جزء تبارك، وقد تورد بعد ذلك ربطاً بين بعض الأسماء الاجتهادية ومقصود السور متى ما كان في ذلك درجة من الوجاهة والمقبولية.

علاقة اسم سورة الملك بمقصودها:

اشتهرت هذه السورة بهذا الاسم في المصاحف وفي كتب التفسير، لاشتمالها على دلائل عظمة المالك سبحانه وسعة قدرته، وقد سمّاها الرسول ﷺ: (تبارك الذي بيده الملك). يقول ابن عاشور: "سماها رسول الله ﷺ: (سورة تبارك الذي بيده الملك) في حديث رواه الترمذي عن إبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: [1] **[إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي سورة تبارك الذي بيده الملك]**. [2]" ووردت لسورة الملك أسماء أخرى، منها (المانعة) كونها تمنع من عذاب القبر، والمنجية كونها تنجي منه. وقد جاء الاسمان في حديث ضعَّفه كثير من المشتغلين بعلم الحديث. قال رسول الله ﷺ: **[هي المانعة وهي المنجية تنجيه من عذاب القبر]**[3].

يقول أبو حيان في تفسير قوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك: ١) "﴿ تَبَٰرَكَ ﴾؛ أي تعالى وتعاظم، ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وهو كناية عن الإحاطة والقهر ... وذلك في حقه تعالى استعارة لتحقيق الملك إذا كانت في عرف الآدميين آلة للتمليك، والملك هنا على الإطلاق لا يبيد ولا يختلّ"[4].

---

(١) الألباني، ناصر الدين، صحيح الترغيب والترهيب، كتاب قراءة القرآن، الترغيب في قراءة سورة تبارك، ط١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٢/٢.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥/٢٩.

(٣) الجامع الكبير، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل سورة الملك، ١٦/٥.

(٤) أبو حيان، مرجع سابق، ٢٩١/٨.

أما مقصود سورة الملك فقد قال عنه البقاعي: "مقصودها الخضوع لله لاتِّصافه بكمال الملك الدالِّ عليه تمام القدرة"[١] . ويورد ابن عاشور كلاما عن أغراض سورة الملك يحمل معاني العظمة والتعالي والقدرة المحيطة، مع إبراز الشواهد على ذلك في إتقان الصنع؛ إذ يقول: "والأغراض التي في هذه السورة جارية على سنن الأغراض في السور المكية. ابتُدئت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله تعالى وتفرده بالملك الحق؛ والنظر في إتقان صنعه الدالِّ على تفرده بالإلهية؛ فبذلك يكون في تلك الآيات حظٌّ لعظة المشركين"[٢] .

وبالنظر في تفسير أبي حيان لمعنى الجزء من الآية المتضمن اسم السورة الذي أطلقه عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، والنظر في مقصود السورة كما جاء في كلام كل من البقاعي وابن عاشور، يتَّضح التناسب التامّ، بل التطابق بين اسم السورة ومقصودها، المتمثِّل في إظهار العظمة والتعالي، والإمساك بأزمَّة الخلق والخلائق. يقول المراغي عن الموضوعات التي حوتها السورة: "وصف السموات – بيان أن نظام العالم لا عوج فيه – وصف عذاب الكافرين في الدنيا والآخرة – التذكير بخلق الإنسان ورزقه وأشباه ذلك"[٣] . والموضوعات هذه كلها متضمَّنة في معنى الملك والتصرُّف المطلق والقهر، وهو ما مجَّد به الله نفسه في اسم السورة.

علاقة اسم سورة القلم بمقصودها:

عرفت هذه السورة بهذا الاسم، وبه كتبت في معظم المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة، وهو اسمها الأكثر وروداً في مقابل أسماء أخرى، منها (سورة نون)، وهو اسم كتبت به في بعض المصاحف، واستعمله بعض المفسرين. ولها اسم آخر، هو

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢١٥/٢٠.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٧/٢٩.
(٣) المراغي، مرجع سابق، ٣٥/٢٩.

(سورة نون والقلم). غير أن ابن عاشور يرى أن اسم (سورة نون والقلم) هو الأكثر وروداً في كتب التفسيير، إذ يقول: "سميت هذه السورة في معظم التفاسير وفي صحيح البخاري (سورة نون والقلم) على حكاية اللفظين الواقعين في أولها ... وترجمها الترمذي في جامعه وبعض المفسرين سورة (نون) بالاقتصار على الحرف المفرد الذي افتتحت به ...، وفي بعض المصاحف سمِّيت سورة (القلم)"[١].

ثمة اختلاف كبير في تفسير (نون) والمراد به. وذكر الألوسي أن الذي اختاره المفسرون والعلماء من السلف أن المراد به حرف الهجاء. ثم نقل بعد ذلك الأقوال الأخرى في تفسير (نون والقلم)، ومن ذلك ما قيل من أنه اسم حوت وضع الله الأرض على ظهره، وأنه روي عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك أنه اسم للدواة. أما القلم فمن الأوَّلين من فسره بأنه الذي خَطَّ في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، ومنهم من فسره بأنه قلم الملائكة الكرام الكاتبين، ومنهم من قال: إن (نون) لوح من نور، والقلم قلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة، ومن قال: إنه نهر من أنهار الجنة.[٢] ويقول الشوكاني: "أقسم الله بالقلم لما فيه من البيان، وهو واقع على كل قلم يُكتب به"[٣] . ويرى أبو حيان أنه قد لا يصحُّ شيء مما فُسِّر به النون غير حرف الهجاء، إذ يقول: " لعله لا يصحُ شيء من ذلك، وقال أبو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره: (نون) حرف من حروف الهجاء، فلو كان كلمة تامَة لأعرب كما أعرب القلم، فهو إذن حرف هجاء كما في سائر مفاتيح السور"[٤] .

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٧/٢٩.

(٢) انظر: الألوسي، مرجع سابق، ٣٢٩/٢٧-٣٣٠.

(٣) الشوكاني، مُحَمَّد بن علي، فتح القدير، (الكويت، شركة دار النوادر الكويتية، ٢٠١٠م)، ٢٦٧/٥.

(٤) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٠١/٨-٣٠٢.

وأما عن مقصود سورة القلم فيقول البقاعي: "مقصودها إظهار ما استتر وبيان ما أبهم في آية: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الملك: ٢٩)، بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته حيازته العلم الذي هو النور الأعظم الذي لا يُضلُّ بمصاحبته بتقبُّل القرآن"[١] . وفي هذا إشارة إلى أن الهداية رهينة بحيازة العلم الذي هو النور الكاشف عن مزالق الضلالة. ويقول ابن عاشور في معرض حديثه عن أن من أغراض السورة إثبات كمالات النبي ﷺ: "وأكَّد ذلك بالقسم بما هو من مظاهر حكمة الله تعالى في تعليم الإنسان فتضمَّن تشريف حروف الهجاء والكتابة والعلم لتهيئة الأمة لخلع دثار الأمية عنهم وإقبالهم على الكتابة والعلم لتكون الكتابة والعلم سبباً لحفظ القرآن"[٢] . وبهذا تصبح العلاقة بيّنة واضحة بين اسم السورة (القلم) أو (نون والقلم) ومقصودها في حيازة العلم كما قال البقاعي، وفي خلع دثار الأمية والإقبال على الكتابة، كما قال ابن عاشور. وسواء في ذلك أن يكون المراد بنون (نون) حرف الهجاء أو الدواة؛ لأن كلتا الكلمتين ذواتا علاقة بالكتابة، والله أعلم.

علاقة اسم سورة الحاقة بمقصودها:

الحاقة هو الاسم الأشيع، بل التوقيفي لهذه السورة، وبه عُنونت في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة، وقد أطلق عليها هذا الاسم على عهد النبي ﷺ. يقول ابن عاشور: "سميت سورة الحاقة على عهد النبي ﷺ، وروى أحمد بن حنبل أن عمر بن الخطاب قال: "خرجت يوماً بمكة أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم، وجدته قد سبقني إلى المسجد الحرام فوقفت خلفه فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر (أي قلت في خاطري) فقرأ: ﴿ وَمَا

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٧٢/٢٠.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٨/٢٩-٥٩.

﴿ هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴾ (الحاقة ٤١)، قلت: كاهن، فقرأ: ﴿ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الحاقة: ٤٢)، إلى آخر السورة فوقع الإسلام في قلبي كل موقع"[١] .

ومن أسمائها الاجتهادية (السلسلة) و(الواعية)، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "وقال الفيروزابادي في بصائر ذوي التمييز: إنها تسمي أيضاً: (سورة السلسلة) لقوله: ﴿ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ وسماها الجعبري في منظومته قي ترتيب نزول السور: (الواعية)، ولعله أخذه من وقوع قوله: ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴾ (الحاقة ١٢)، ولم أرَ له سلفاً في هذه التسمية"[٢] .

يكاد المفسرون يجمعون على معنى كلمة (الحاقة) وعلى المراد من القسم بها. يقول الألوسي: "﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ (الحاقة ١)؛ أي الساعة، أو الحالة التي يحقُّ ويجب وقوعها، أو التي تُحقَّق وتُثبت فيها الأمور الحقَّة من الحساب والثواب والعقاب، أو التي تُحقُّ فيها الأمور؛ أي تُعرف على الحقيقة من حقَّه يحقّه إذا عرف حقيقته، وروي هذا عن ابن عباس وغيره"[٣] .

وأما عن مقصود سورة الحاقة فيقول البقاعي: "مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلائق لإحقاق الحق وإزهاق الباطل"[٤] . أي إحقاق الحقَّ وإبطال الباطل في يوم القيامة. ويورد المراغي أن من مقاصدها:"عذاب الآخرة جزاءً

(١) الإمام أحمد بن حنبل ، المسند ، شرحه وصنع فهارسه أحمد محمد شاكر، ط١، دار الحديث ، القاهرة، ١٩٩٥م.
(٢) ابن عاشور، المرجع السابق، ١١٠/٢٩.
(٣) الألوسي، مرجع سابق، ٣٧١/٢٧.
(٤) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٣٧/٢٠.

على التكذيب في الدنيا"[١]، أي أنه يقع في الآخرة معرفة الأمور على حقيقتها، فيكون جزاء المكذبين عذاباً إحقاقاً للحق، وبسطاً للعدل. ويقول ابن عاشور عن أغراضها: "اشتملت هذه السورة على تهويل يوم القيامة، وتهديد المكذبين بوقوعه"[٢] . أي تخويف المكذبين بتأكيد وقوع القيامة.

وهكذا يتضح اشتمال معنى الحاقة على ما جاء من معانٍ في بيان مقصودها من إحقاق الحق وإبطال الباطل، ومعرفة الأمور على حقيقتها في يوم القيامة، وتأكيد وقوعها.

علاقة اسم سورة المعارج بمقصودها:

(سورة المعارج) هو الاسم الأكثر وروداً لهذه السورة في معظم المصاحف، وكتب السنة، وكتب التفاسير. وتسمّى أيضاً (سورة سأل سائل)، وفي ذلك يقول ابن عاشور: "سميت هذه السورة في كتب السنة وجامع الترمذي وصحيح البخاري وفي تفسير الطبري وابن عطية وابن كثير: (سورة سأل سائل) ... وسميت في معظم المصاحف المشرقية والمغربية، وفي معظم التفاسير (سورة المعارج)"[٣] . وثمة اسم آخر ذكره السخاوي، إذ يقول: "ثم (سأل سائل) ويقال لها: (سورة الواقع) و(سورة المعارج)"[٤] ، وكذلك أورده السيوطي في الإتقان، إذ يقول: "سأل: تسمى المعارج والواقع"[٥] . وعنه أخذ الألوسي اسم (الواقع)، فقال:"سورة المعارج وتسمّى الواقع وسأل سائل"[٦] .

---

(١) المراغي، مرجع سابق، ٦٤/٢٩.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١١/٢٩.

(٣) المرجع السابق، ١٥٢/٢٩.

(٤) السخاوي، علي بن مُحَمَّد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: علي حسين البواب، (مكة المكرمة، مكتبة التراث، ١٩٨٧م). ٣٨/١.

(٥) السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ص١٢٥.

(٦) الألوسي، مرجع سابق، ٤١٣/٢٧.

وبالنظر إلى هذه الأسماء يتَّضح أنها مأخوذة من بعض الألفاظ الواردة في مطلع السورة، فالاسم (المعارج) لا شك أنه مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَـٰرِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ ﴾ (المعارج ٣ – ٤)، والاسم (سأل سائل) مأخوذ مما افتُتحت به السورة: ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج: ١)، والاسم الذي ذكره السخاوي: (الواقع) لا شك أنه مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج ١).

أما عن معنى (المعارج) فيقول مقاتل بن سليمان: "ذي المعارج يعني ذا الدرجات، يعني السموات والعرش فوقهم، والله تعالى على العرش ...، تعرج يعني تصعد الملائكة من سماء إلى سماء العرش"[(١)] . ولعل المعنى المراد من هذا الوصف إثبات عظمته وجلال ملكوته سبحانه وتعالى. ويقول الألوسي في تفسير ذي المعارج: "هي لغة الدرجات، والمراد بها على ما روي عن ابن عباس: السموات تعرج فيها الملائكة من سماء إلى سماء، ولم يعينها بعضهم فقال: أي: ذي المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالأوامر والنواهي"[(٢)] . ويحمل هذا التفسير الإشارة نفسها إلى سعة القدرة وعلو المكان وعظمة الذات وجلالها.

وفي إطار الحديث عن مقصود السورة يقول البقاعي عن اختيار تعبير ﴿ ذِى ٱلْمَعَـٰرِجِ ﴾: "ولما كان القادر يوصف بالعلو، والعاجز يوصف بالسفول والدنو، وكان ما يُصعد فيه إلى العالي يسمى درجاً، وما يهبط فيه إلى السافل يسمى دركاً ... اختير التعبير بما يدلُّ على العلو الذي يكنى به عن القدرة والعظمة، فقال واصفاً بما يصلح كونه مشيراً إلى التعليل: ﴿ ذِى

(١) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان. دراسة وتحقيق: عبد الله شحاتة، ط١، (بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ٢٠٠٢م)، ٤٣٨/٤.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٤١٧/٢٧.

﴿ٱلْمَعَارِجِ﴾ ؛ أي الدرج التي لا انتهاء لها أصلاً"[١] . وفي هذا ربط في غاية من الوضوح بين اسم السورة (المعارج) ومقصودها في بيان عظمة الله ﷻ.

علاقة اسم سورة نوح بمقصودها:

(سورة نوح) هو الاسم الذي اشتهرت به هذه السورة، وبه كتبت في المصاحف وكتب التفسير. يقول ابن عاشور: "بهذا الاسم سميت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير، وترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه بترجمة سورة (إنا أرسلنا نوحاً)، ولعل ذلك كان الشائع في كلام السلف، ولم يترجم لها الترمذي في جامعه"[٢]. وعن اسم سورة (إنا أرسلنا نوحاً) يقول الشوكاني: "وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن عبد الله بن الزبير، قال: "نزلت سورة (إنا أرسلنا نوحاً) بمكة"."[٣] .

يقول الألوسي عن الآية التي افتتحت بها السورة، وأوردها بعضهم على أنها اسم للسورة: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ (نوح ١)، هو اسم أعجمي، زاد الجواليقي معرَّب، والكرماني معناه بالسريانية الساكن"[٤] . واختُلف في نوح: أهو قبل إدريس أم بعده، ولكن الراجح أنه قبله وليس بينه وبين آدم نبي. يقول الحاكم: "اختلفوا في نوح وإدريس فقالوا: إن إدريس قبله، وأكثر الصحابة على أن نوحاً قبل إدريس صلى الله عليهما وسلم"[٥] . وقصة نوح

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٨٩/٢٠-٣٩٠.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٨٥/٢٩.
(٣) الشوكاني، مرجع سابق، ٢٩٦/٥.
(٤) الألوسي، مرجع سابق، ٤٤٦/٢٧.
(٥) النيسابوري، مُحَّد بن عبد الله، المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢م)، ٥٩٥/٢.

مع قومه مشهورة، وقد أشار إليها القرآن في أكثر من موضع، إلا أنها جاءت مفصلة في سورة نوح. يقول الطبري عن قوم نوح: "أنهم كانوا أهل أوثان ... فبعث الله إليهم نوحاً مخوّفهم بأسه، ومحذِّرهم سطوته، وداعياً بهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق، والعمل بما أمر الله به رسله"[١] ثم ذكر بعد ذلك حديث ابن عباس، فقال: "بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة، وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة"[٢] .

أما عن مقصود سورة نوح فيقول البقاعي: "مقصودها الدلالة على تمام القدرة على آخر ما أنذر به آخر (سأل) من إهلاك المنذرين، وتبديل خير منهم، ومن القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به، وهم عنه معرضون"[٣] . ويواصل البقاعي فيتحدث عن العلاقة بين اسم السورة ومقصودها، فيقول: "وتسميتها بنوح أدل ما فيها على ذلك؛ فإن أمره في إهلاك قومه بسبب تكذيبهم له في ذلك مشهور"[٤] .

علاقة اسم سورة الجنّ بمقصودها:

اشتهرت هذه السورة باسم (سورة الجن)، ويطلق عليها أيضاً اسم (سورة قل أوحي إلي). يقول عنها ابن عاشور: "سميت في كتب التفسير والمصاحف التي رأيناها، ومنها الكوفي المكتوب بالقيروان في القرن الخامس: (سورة الجنّ)، وكذلك ترجمها الترمذي في كتاب التفسير من جامعه، وترجمها البخاري في كتاب التفسير: (سورة قل أوحي إليَّ). واشتهرت على ألسنة

(١) الطبري، مُحَمَّد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق: مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، ط٢،القاهرة: دار المعارف بمصر، د ت.)، ١٧٨/١.
(٢) المرجع السابق، ١٧٩/١-١٨٠.
(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٤٢٢/٢٠-٤٢٣.
(٤) المرجع السابق.

المكتّبين والمتعلّمين في الكتاتيب القرآنية باسم (قل أوحي)"[١] . وثمة اسم آخر هو (سورة الوحي) أورده السخاوي، إذ يقول: "(قل أوحي) وتسمى (سورة الجن) و(سورة الوحي)"[٢] . ووجه التسمية في كل هذه الأسماء واضح أنه مأخوذ من ألفاظ الآيات في مطلع السورة.

وقصة استماع الجن للقرآن جاءت في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: [ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ولكنه انطلق مع طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فذهبوا إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا: ما هذا إلا شيء قد حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا هذا الذي قد حدث، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾ (الجن: ١ – ٢)، فأنزل الله عز وجل: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾"[٣] (الجن: ١).

وعن العلاقة بين اسم سورة الجن ومقصودها يقول البقاعي: "مقصودها إظهار الشرف لهذا النبي الكريم الفاتح الخاتم ﷺ ... حين ليَّن له قلوب الإنس والجن وغيرهما فصار مالكاً لقلوب المجانس وغيره، وذلك لعظمة

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٤١٦/٢٩.

(٢) السخاوي، مرجع سابق، ٣٨/١.

(٣) النيسابوري، المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة الجن، ٥٤٦/٢.

هذا القرآن، ولطف ما له من غريب الشأن ... وعلى ذلك دلَّت تسميتها بالجن"*. وذكر ابن عاشور فيما ذكر من أغراض سورة الجن إلى جانب إثبات الكرامة للرسول ﷺ، الإخبار عن حقيقة الجن وأصنافهم، فقال:"وإثبات أن لله خلقاً يدعون الجن، وأنهم أصناف منهم الصالحون ومنهم دون ذلك بمراتب، وتضليل الذين يتقوَّلون على الله ما لم يقله، والذين يعبدون الجن، والذين ينكرون البعث، وأن الجن لا يفلتون من سلطان الله تعالى"(١) . وهكذا فإن جلَّ آيات السورة تخبر عن الجن وحقيقتهم وأصنافهم وخضوعهم لسلطان الله تبارك وتعالى، وأنهم كالبشر تماماً إزاء الإيمان والكفر، والتأثُّر بالقرآن أو إنكار حقيقته. ولما كان أمر السورة كذلك كان حقيقاً باسمها أن يكون (سورة الجن).

علاقة اسم سورة المزَّمِّل بمقصودها:

عُرفت هذه السورة باسم (سورة المزَّمِّل) ولم تُعرف بغيره، وكُتبت به في المصاحف وكتب التفسير. يقول ابن عاشور: "ليس لهذه السورة إلا اسم (سورة المزَّمِّل) عُرفت بالإضافة لهذا اللفظ الواقع في أولها، فيجوز أن يراد به حكاية اللفظ، ويجوز أن يراد به النبي ﷺ موصوفاً بالحال الذي نودي به في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ "(٢) . (المزَّمِّل ١). واختلف المفسرون في المراد من وصف المزَّمِّل، غير أن معظمهم يرون أنه وصف للنبي ﷺ على إحدى حالتين: إما تزمُّل حقيقي بالثياب، وإما تزمُّل معنوي يُراد به الاستعداد للنبوة وأعبائها. يقول أبوحيان: "وسبب نزولها فيما ذكر الجمهور، أنه ﷺ لما جاءه الملك في غار حراء، وحاوره فيما حاوره، رجع إلى خديجة فقال: زملوني

* سبق ذكره في الحديث عن علاقة مقصود سورة الجن بمقصود سورة نوح في الفصل الأول، ص ٣٥.

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢١٧/٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٢٥٢/٨.

زملوني، فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ وعلى هذا نزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾. قالت عائشة والنخعي وجماعة: ونودي بذلك، لأنه كان في وقت نزول الآية متزمّلاً بكساء، وقال قتادة: كان تزمَّل في ثيابه للصلاة واستعد فنودي على معنى، يأيها المستعدُّ للعبادة، وقال عكرمة: معناه للنبوة وأعبائها؛ أي المشمِّر المجدّ، فعلى هذا يكون التزمُّل مجازاً، وعلى ما سبق يكون حقيقة"[١] .

وعن أغراض السورة ومقصودها يقول ابن عاشور: "الإشعار بملاطفة الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بندائه بوصفه بصفة تزمُّله، واشتملت على الأمر بقيام النبي ﷺ غالب الليل والثناء على طائفة من المؤمنين حملوا أنفسهم على قيام الليل"[٢] . ويصلح قول ابن عاشور هذا لأن يكون المراد من تزمُّله ﷺ تزمُّلاً حقيقيًّا، إذ أراد الله سبحانه ملاطفة رسوله ﷺ بصفته ساعة نزول الآية. كما يصلح لأن يكون المراد من تزمُّله ﷺ تزمُّلاً مجازيًّا عند اقترانه بأمره ﷺ بقيام غالب الليل. وعلى هذا تكون العلاقة وثيقة بين اسم السورة (سورة المزَّمِّل) ومقصودها على كلا التفسيرين لكلمة (المزَّمِّل).

علاقة اسم سورة المدَّثِّر بمقصودها:

المدَّثِّر هو الاسم الوحيد لهذه السورة ولم ترد لها تسمية بغيره. يقول ابن عاشور: "تسمى في كتب التفسير (سورة المدَّثِّر)، وكذلك سميت في المصاحف التي رأيناها، ومنها كتب في القيروان في القرن الخامس"[٣] . ويراد بالمدَّثِّر وصف حال النبي ﷺ ساعة نزول السورة، وسبب التسمية (المدَّثِّر) يورده مقاتل بن سليمان، فيقول:

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٥٢/٨.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٥٤/٢٩-٢٥٥.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩١/٢٩.

" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾، يعني النبي ﷺ، وذلك أن كفار مكة آذوه فانطلق إلى جبل حراء ليتوارى عنهم، فبينما هو يمشي إذ سمع منادياً يقول: يا مُحَمَّد، فنظر يميناً وشمالاً وإلى السماء فلم يرَ شيئاً، فنودي الثانية ... فلم يرَ شيئاً إلا السماء ففزع، فنودي في قفاه: يا مُحَمَّد يا مُحَمَّد، فنظر خلفه وعن يمينه وعن شماله، ثم نظر إلى السماء فرأى مثل السرير بين السماء والأرض... وعليه جبريل عليه السلام مثل النور المتوقَّد يتلألأ حتى كاد أن يغشى البصر، ففزع فزعاً شديداً، ثم وقع مغشيًّا عليه ولبث ساعة، ثم أفاق فقام يمشي وبه رعدة شديدة، ورجلاه تصطكان راجعاً حتى دخل على خديجة فدعا بماء فصبَّه عليه، فقال دثِّروني دثِّروني، فدثَّروه بقطيفة حتى استدفأ، فأتاه جبريل عليه السلام وهو متقنِّع بالقطيفة فقال: يأيها المتدثِّر بقطيفته المتقنِّع فيها: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ (المدَّثِّر ٢)، كفار مكة العذاب إن لم يوحِّدوا الله تعالى "[١] .

وعن مقصود سورة المدَّثِّر يقول ابن عاشور: "جاء فيها من الأغراض تكريم النبي ﷺ، والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة"[٢] . وتمثَّل تكريم الله سبحانه نبيه ﷺ في خطاب الترفُّق والملاطفة الذي تكرر في كلا سورتي المزَّمِّل والمدَّثِّر بمناداته عليه الصلاة والسلام بوصف الحالة التي كان عليها ساعة نزول كل من السورتين. كما أن خطاب الترفُّق في سورة المدَّثِّر سبق الأمر بإبلاغ دعوة الرسالة ملاطفة له ﷺ قبل التكليف بهذا الأمر الشاقِّ الثقيل. كما أن قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ يناسب أيضاً تفسير الذين قالوا: إنما كان الأمر بالقيام يعني الشروع والمبادرة إلى الدعوة، وكأنما كان الخطاب: يأيها المتلفِّف بثيابه، اترك عنك هذا الدثار وانهض وبادر إلى دعوة أهل

(١) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، ٤/٤٨٩-٤٩٠.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/٢٩٣.

مكة للتوحيد وترك الشرك. وكل هذا من مقاصد سورة المدَّثِّر يسوّغ بوضوح إطلاق اسم (المدَّثِّر) على هذه السورة، ويبيّن العلاقة الوثيقة بين الاسم والمقصود.

علاقة اسم سورة القيامة بمقصودها:

تعرف هذه السورة باسم (سورة القيامة)، ولها اسمان كما ذكر بعض المفسرّين، كما أورده الشوكاني في قوله: "وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: نزلت (سورة القيامة)، وفي لفظٍ: (سورة لا أقسم) بمكة"[١]، يقول السخاوي وقد جعل اسم (سورة لا أقسم) هو الأصل: "ثم (سورة لا أقسم) وتسمّى (سورة القيامة)"[٢] ، واسمها الآخر هو (سورة لا أقسم).. والاسم (سورة لا أقسم) أورده الألوسي فقال: "(سورة القيامة) ويقال لها: (سورة لا أقسم)"[٣] يقول ابن عاشور:"عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ(سورة القيامة)؛ لوقوع القسم بيوم القيامة في أوَّلها، ولم يُقسم به فيما نزل قبلها من السور"[٤] .

وعن مقاصد السورة وأغراضها يذكر ابن عاشور عدداً منها فيقول: "اشتملت على ذكر البعث والتذكير بيوم القيامة وذكر أشراطه، واختلاف أهل السعادة وأهل الشقاء، وتكريم أهل السعادة، والتذكير بالموت وأنه أول مراحل الآخرة، والزجر عن إيثار منافع الحياة العاجلة على ما أعدَّ لأهل الخير من نعيم الآخرة"[٥] . وتحقق كل

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٣٤/٥.
(٢) السخاوي، مرجع سابق، ٣٨/١.
(٣) الألوسي، مرجع سابق، ٨٩/٢٨.
(٤) ابن عاشور، المرجع السابق، ٣٣٦/٢٩.
(٥) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٣٧/٢٩.

ذلك بلا شك مناطه الحساب، وموعده اليوم الآخر، فلما كان مدار معظم آيات السورة في هذه المعاني، كان حقيقاً بها أن تسمى: (سورة القيامة)، فتكون قد انعقدت بذلك صلة وثيقة بين اسمها ومقصودها. وعن دلالة اسم (سورة القيامة) عن مقاصدها يقول البقاعي: "وليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤمِّلت الآية مع ما أشارت إليه (لا) النافية للقسم أو المؤكِّدة مع أنها في الوضوح في حدٍ لا يحتاج إلى الإقسام عليه؛ لانه لا يوجد أحد يَدَعُ مَن تحت يده يعدو بعضهم على بعض، ويتصرَّفون فيما خوَّلهم فيه من غير حساب"[١] .

علاقة اسم سورة الإنسان بمقصودها:

يغلب على هذه السورة اسم (سورة الإنسان)، بيد أنه ذكرت لها خمسة أسماء على ما أورد ابن عاشور من أنها سمِّيت في زمن صحابة رسول الله ﷺ (سورة هل أتى على الإنسان)، كما ذكر أن السيوطي لم يورد لها اسماً غير (سورة الإنسان)، وإنها تسمى (سورة الدهر) في كثير من المصاحف. أما الاسم الرابع وهو: (سورة الأمشاج) فقد ذكر أنه أورده الخفاجي لوقوع لفظ الأمشاج فيها، وأنه لم يقع في غيرها. ثم أورد بعد ذلك الاسم الخامس الذي انفرد بذكره الطبري، وهو: (سورة الأبرار)[٢] . والأسماء الخمسة ذكرها كذلك الألوسي، فقال: "(سورة الإنسان)، وتسمى (سورة الدهر)، و(الأبرار)، و(الأمشاج)، و(هل أتى)"[٣] .

ووجه هذه التسميات كلها أنها مأخوذة من ألفاظ واردة في مطلع السورة تضمَّنتها الآيتان الأوليان: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٨٣/٢١.
(٢) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٦٩/٢٩.
(٣) الألوسي، مرجع سابق، ١٢٥/٢٨.

سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ (الإنسان: ١ – ٢)، إضافة إلى لفظة الأبرار التي تضمنتها الآية الخامسة من السورة ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (الإنسان: ٥).

ويربط البقاعي بين مقصود السورة واسمها بقوله: "مقصودها ترهيب الإنسان بما دل عليه آخر القيامة من العرض على الملك الديان بتعذيب العاصي في النيران، وتنعيم المطيع في الجنان ... وأدلُّ ما فيها على ذلك الإنسان بتأمُّل آيته، وتدبُّر مبدئه وغايته، وكذا تسميتها بـ(هل أتى) و(الدهر) و(الأمشاج) من غير ميل ولا اعوجاج"[١] . والبقاعي يرى أن هذه الأسماء الثلاثة كلها مناسبة تماماً لمقصود السورة من حيث إنها تخاطب الإنسان بأنه قد مضى عليه زمان لم يكن فيه شيئاً مذكوراً، وأن مبدأ خلقه كان من الأمشاج. وفي معنى: ﴿ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ يقول القرطبي: "قال الضحاك عن ابن عباس لا في السماء ولا في الأرض. وقيل: أي كان جسداً مصوَّراً تراباً لا يُذكر ولا يُعرف ولا يُدرى ما اسمه ولا ما يُراد به، ثم نُفخ فيه الروح فصار مذكوراً.[٢] " وفي هذا تذكير للإنسان بمبدأ خلقه حتى لايتكبَّر ويتجبَّر وينكر البعث ويطعن في القرآن ويمارس شتى ألوان الكفر والشرك. ووفقاً لهذا المقصود يصبح الاسم (سورة الإنسان) في غاية المناسبة، وذا علاقة وثيقة به.

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٢٠/٢١.

(٢) القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦م)، ١٤٤/٢١.

علاقة اسم سورة المرسلات بمقصودها:

لم يرد لهذه السورة اسم عن النبي ﷺ كما ورد في سور أخرى أنه ﷺ يضيف لفظ سورة إلى جملتها الأولى، كما يقول ابن عاشور، وذكر أنها كانت تسمَّى على عهد الصحابة: (سورة والمرسلات عرفا)، وأنها اشتهرت في المصاحف باسم (المرسلات)، وكذلك في التفاسير وفي صحيح البخاري[١]. كما ذكر لها اسماً آخر هو (العرف)، إذ يقول: "وذكر الخفاجي وسعد الله الشهير بسعدي في حاشيتيهما على البيضاوي أنها تسمى (سورة العرف) ولم يسنداه"[٢]. وجاء اسمها (والمرسلات) في حديث عبد الله بن مسعود، إذ يقول: [**كنا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه (والمرسلات)، وإنا لنتلقَّاها من فيه، فخرجت حيَّة فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها فقال رسول الله ﷺ: وُقيتْ شرَّكم كما وُقيتم شرَّها**][٣].

أما عن معنى المرسلات المقسم بها، وعن المراد بها، فقد اختلفت أقوال المفسرين. يقول مقاتل بن سليمان:" ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾ (المرسلات ١)، يقول: الملائكة وأرسلوا بالمعروف، ثم قال: ﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾ (المرسلات ٢)، وهي الرياح، وأما قوله: ﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾ (المرسلات ٣)، فهي أعمال بني آدم تنشر يوم القيامة، وأما قوله: ﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾ (المرسلات ٤)، فهو القرآن فرَّق بين الحق والباطل، وأما قوله: ﴿ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾ (المرسلات ٥)، فهو جبريل عليه السلام وحده يلقي الذكر على ألسنة الأنبياء والرسل"[٤]. وفي تفسير فيه شيء من التفصيل

---

(١) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٤١٧/٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٤١٨/٢٩.

(٣) البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المرسلات، ص١٢٥٢.

(٤) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، ٥٤٣/٤.

لمهامِّ الملائكة المرسلة، يقول الألوسي: "قيل: أقسم سبحانه بمن اختاره من الملائكة عليهم السلام على ما أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد، فقيل: المرسلات والعاصفات طوائف، والناشرات والفارقات والملقيات طوائف أخرى، فالأولى طوائف أرسلن بأمره تعالى، وأمرن بإنفاذه، فعصفن في المضي وأسرعن كما تعصف الريح تخفُّفاً في امتثال الأمر ... والثانية طوائف نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي ففرقن بين الحق والباطل، فألقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام"(١).

وعن مقصود السورة يقول البقاعي: "مقصودها الدلالة على آخر الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وإحياء العباد بعد طيِّ هذا الوجود وتغيير العالم المعهود"(٢). ولما كان كل ذلك مُتضمَّن فيما جاء به القرآن من وعد ووعيد، فقد أقسم الله سبحانه بملائكته أن هذا الوعد واقع لا محالة، فقال في جواب القسم: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (المرسلات ٧). ويعظِّم الله بعضاً من مخلوقاته فيقسم بها لإثبات أمر ما، فأقسم هنا بالملائكة المرسلة بالوحي على أن ما تضمَّنه هذا الوحي من أمور بينها الوعد بالنعيم للمؤمنين والوعيد بالجحيم للكافرين أمر محتوم، فناسب الاسم مقصود السورة، وارتبط به بعلاقة متينة.

وبعد، فهذا ما فتح الله به على الباحثة من تلمُّس لأوجه العلاقة بين أسماء السور ومقاصدها في جزء تبارك. وقد استعانت في ذلك – بعد عون الله سبحانه – بما أورده بعض المفسرين من إيضاح لمعاني الآيات والألفاظ التي أخذت منها أسماء السور، ثم ربطت ذلك بما ذكره بعضهم من مقاصد السور فاتَّضحت لها بعض أوجه العلاقة التي ذكرتها فيما سبق. ولم

(١) الألوسي، مرجع سابق، ١٧٣/٢٨.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٦٤/٢١.

تشأ أن تستقصي ما ورد في التفاسير من معانٍ للألفاظ والعبارات والجمل؛ لأن التفسير نفسه لم يكن من أهدافها، وإنما كانت تريد منه ما يساعدها على الربط بين اسم السورة ومقصودها؛ ولذا فقد تخيَّرت من تفاسير معاني الألفاظ والعبارات وإيضاحاتها ما رأت فيه شبه إجماع، واستبعدت تماماً ما وُصف بالشذوذ والغرابة.

المبحث الثاني
علاقة مطلع السورة بمقصودها

سبقت الإشارة في المبحث الثاني من الفصل الأول إلى أن العلماء عندما يطلقون كلمة مطلع لا يريدون بها الآية الأولى من السورة فحسب، وإنما يريدون بذلك جملة الآيات التي تأتي في صدر السورة وتتضمَّن موضوعاً واحداً. وستعتمد الباحثة هذا المفهوم نفسه للمطلع في معالجة هذا المبحث. كما أنها ستأخذ من المراجع ما تحدَّث عنه العلماء والمفسرون تحت عناوين: (مقصود السورة) أو (أغراض السورة) أو (أهم موضوعات السورة)، ونحو ذلك. أما العلاقة فهي ربط معنوي بين المطلع والمقصود، وسيعتمد البحث تفسير آيات المطلع الذي اشترك في إيراده العدد الأكبر من أئمة التفسير من المتقدِّمين والمتأخِّرين، ومن ثم تدوين الملاحظات التي تكشف عن الصلات والوشائج بين المطلع والمقصود.

علاقة مطلع سورة الملك بمقصودها:

بدئت سورة الملك بقوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك: ١)، يقول الزمخشري في نفسير هذه الآية: "﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ على كل موجود ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة ﴿ قَدِيرٌ ﴾"[١] . ويمكن تلخيص التفسير هذا في نقطتين هما: إثبات تعالي الله سبحانه عن صفات المخلوقين، وقدرته المحيطة. ويقول الشوكاني في تفسير الآية نفسها: "قيل: تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين، وقيل دام، فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه. وقال الحسن: تبارك تقدَّس، وصيغة التفاعل

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٢٤.

للمبالغة، والملك هو ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة"[١]. ويُلاحظ أن الشوكاني أضاف مفهوم ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ معاني الدوام والقدسية التي لا تخرج كثيراً عن معنى الإنفراد بصفات ليست من صفات المخلوقين. ثم توسَّع فشرح ﴿ ٱلْمُلْكُ ﴾ بأنه ملك الدنيا والآخرة. وهو ما يعني سعة الملك وإحاطته.

وعن مقصود سورة الملك يقول البقاعي: "مقصودها الخضوع لله لاتِّصافه بكمال الملك الدالِّ عليه تمام القدرة الدالِّ عليه قطعاً إحكام المكونات"[٢] . وكمال الملك هو ما قال عنه المفسرون: ملك الدنيا والآخرة، وتمام القدرة هو ما قالوا عنه القدرة والإحاطة والاستيلاء. أما إحكام المكونات فيظهر في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ (الملك: ٣)، والآيات التي شملت هذه المعاني كلها في مطلع السورة. ويقول ابن عاشور عن أغراض السورة: " والأغراض التي في هذه السورة جارية على سنن الأغراض في السور المكية. ابتدئت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله تعالى وتفرُّده بالملك الحقِّ، والنظر في إتقان ملكه الدال على تفرُّده بالإلهية، فبذلك يكون في تلك الآيات حظٌّ لعظة المشركين ... وانفراده بخلق العوالم العليا خلقاً بالغاً غاية الإتقان فيما تراد له"[٣] . ولعله يريد بقوله: (انفراده بخلق العوالم العليا) ما جاء في الآية الثالثة، وهو قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ ﴾ (الملك: ٣)، وبقوله: (فيما تراد له) قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ ﴾ (الملك: ٥)، والآيتان كلتاهما من آيات المطلع، وهو ما يؤكِّد علاقة الارتباط في المعنى بين مطلع السورة ومقصودها.

---

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٢٥٨/٥.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢١٥/٢٠.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٧/٢٩.

علاقة مطلع سورة القلم بمقصودها:

اختُلف في تفسير قوله سبحانه: ﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ ﴾ (القلم: ١)، فقال مقاتل: "يعني بنون الحوت، وهو في بحر تحت الأرض السفلى، والقلم قلم من نور يُكتب به، طوله ما بين السماء والأرض كُتب به اللوح المحفوظ"[١] . وعن تفسير النون يقول القرطبي: "واختلف في تأويله، فروى معاوية عن قرة عن أبيه يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: **[نون لوح من نور]**. وروى ثابت البناني: أن ﴿ نٓۚ ﴾ الدواة. وقاله الحسن وقتادة"[٢] . وثمة تفسيرات أخرى للنون أوردها البغوي فقال: "وقال بعضهم: نون آخر حروف الرحمن، وهي رواية عكرمة عن ابن عباس. وقيل: هو قسم أقسم الله به. وقيل: فاتحة السورة. وقال عطاء: افتتاح اسميه نور وناصر"[٣] . وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: **[إن أول شيء خلقه الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: وما أكتب؟ فقال: القدر فجرى من ذلك اليوم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال: وكان عرشه على الماء فارتفع بخار الماء ففتقت منه السموات، ثم خلق النون فبسطت الأرض عليه، والأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال تفخر على الأرض]**[٤] . ويقول أبو حيان عن هذه الأقوال جميعها: "لعله لا يصحُّ شيء من ذلك، وقال أبو نصر عبد الرحيم القشيري في تفسيره: "﴿ نٓۚ ﴾ حرف من حروف المعجم، فلو كان كلمة تامة أعرب كما أعرب القلم، فهو إذن حرف هجاء كما في سائر مفاتيح السور"[٥] . ولعله يحسن الأخذ من هذه التفسيرات للنون بأنه حرف الهجاء، فإن ذلك أدعى إلى عطف القلم

---

(١) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، ٤٠٣/٤.

(٢) القرطبي، مرجع سابق، ١٣٦/٢١.

(٣) البغوي، أبو مُحَمَّد الحسين، معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه: مُحَمَّد عبد الله النمر وآخرون، (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٢هـ)، ١٨٧/٨.

(٤) المستدرك، كتاب التفسير، تفسير نون والقلم، ٥٤١/٢.

(٥) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٠١/٨-٣٠٢.

عليه بوصفه أداة الكتابة سواء أكان القلم على إطلاقه، أو ذلك القلم المخصوص الذي كتب به في اللوح المحفوظ. ولما كان الله سبحانه يقسم ببعض مخلوقاته تعظيماً لها، وللمُقسم عليه كذلك: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (القلم: ٢ – ٤)، فإنه يكون قد عظَّم القلم، ونفى الجنون عن رسوله ﷺ. وفي هذا المعنى يقول الزمخشري: "وأقسم بالقلم تعظيماً له لما في خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة، ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف. ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ وما يكتب من كتب، وقيل: ما يسطره الحفظة"(١).

وعما تضمَّنه المطلع من معانٍ يقول أبو حيان: "وكان ما أخبر تعالى به هو ما تلقَّفه رسول الله ﷺ بالوحي، وكان الكفار ينسبونه مرة إلى الشعر، ومرة إلى السحر، ومرة إلى الجنون. فبدأ سبحانه وتعالى هذه السورة ببراءته مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون وتعظيم أجره على صبره على أذاهم وبالثناء على خلقه العظيم"(٢) . واشتمال المطلع على هذه المعاني يبيّن وجه الارتباط الوثيق بينه وبين مقصود السورة وأغراضها، فقد جاء في بيان أغراض السورة عند ابن عاشور: "ابتُدِئت بخطاب النبي ﷺ تأنيساً له وتسلية عما لقيه من أذى المشركين، وإبطال مطاعن المشركين في النبي ﷺ، وإثبات كمالاته في الدنيا والآخرة"(٣) ، ويورد ابن عاشور كذلك نقطة أخرى تتعلق بتحدِّي المنكرين لحقيقة القرآن وتنزيله من عند الله سبحانه، وتعجيزهم عن الإتيان بمثله، والتحدِّي كذلك بمعجزة

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٢٨.
(٢) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٠١/٤.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٨/٢٩.

الأمية. وهذا التحدّي تمثّله الآية الأولى من السورة: ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾[١] . وهكذا يتحدَّد وجه الارتباط بين مطلع السورة ومقصودها في نقطتين هما: تأنيس الرسول ﷺ وتسليته، وتحدّي المشركين وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن.

علاقة مطلع سورة الحاقَّة بمقصودها:

بُدئت سورة الحاقَّة بكلمة الحاقَّة، وتكررت في الآيات الثلاث الأولى. ويُراد بالحاقَّة القيامة. وذكر المفسِّرون عدة أوجه في تأويلها، يؤكِّد الزمخشري أن المراد بها القيامة فيقول: "﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها"[٢] وذكر القرطبي: "قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ ﴾ (الحاقَّة: ١ – ٢)، يريد القيامة، سمِّيت بذلك؛ لأن الأمور تحقُّ فيها. وقيل: سمِّيت حاقَّة لأنها تكون من غير شكٍّ. وقيل: سمِّيت بذلك؛ لأنها أحقَّت لأقوام الجنَّة وأحقَّت لأقوام النار. وقيل: سمِّيت بذلك؛ لأن فيها يصير كل إنسان حقيقاً بجزاء عمله"[٣]. وغير ذلك من الأقوال، إلا أنها جميعها تدور حول معنى الحقّ والإحقاق في نفسها أو على الخلائق. ويقول الشوكاني: "قوله: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ﴾ هي القيامة؛ لأن الأمر يحقُّ فيها، وهي تحقُّ في نفسها من غير شكٍّ"[٤] . أما عن المعنى الإجمالي لآيات المطلع فقد أورده أبو حيان على النحو التالي: "ذكر حديث القيامة وما أعدَّ الله لأهل

(١) انظر: ابن عاشور، المرجع السابق.
(٢) الزمخشري،مرجع سابق، ص١١٣٤.
(٣) القرطبي، مرجع سابق، ١٨٨/٢١.
(٤) الشوكاني/ مرجع سابق، ٢٧٩/٥.

السعادة وأهل الشقاوة، وأدرج بينهما شيئاً من أحوال الذين كذَّبوا الرسل كعاد وثمود وفرعون ليزدجر بذكرهم وما جرى عليهم الكفار الذين عاصروا رسول الله ﷺ، وكانت العرب عالمة بهلاك عاد وثمود وفرعون فقصَّ عليهم ذلك"[١] . ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ ﴾ (الحاقَّة: ٤ – ١٠)، ومن هذا التفسير وغالب التفاسير يمكن استخلاص معانٍ أساسية تضمَّنتها آيات المطلع، هي: ذكر القيامة في صيغة تحمل معنى التخويف والترهيب، وتحمل معنى إحقاق الجنة لقوم، وإحقاق النار لآخرين، وذكر بعضٍ من قصص الأقوام السابقة التي نالها العذاب، بغرض العظة والازدجار.

يقول البقاعي عن مقصود سورة (الحاقَّة): "مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلائق؛ لإحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل، بالكشف التامِّ لشمول العلم للكليات والجزئيات، وكمال القدرة على العلويات والسفليات، وإظهار العدل بين سائر المخلوقات؛ ليميز المسلم من المجرم بالملذذ والمؤلم"[٢] . ويرتبط هذا المقصود بالمعاني التي ذكرنا أن المطلع تضمَّنها باستثناء ذكر قصص بعض الأقوام السابقة ممن حق عليهم العذاب. ويقول ابن عاشور عن بعض أغراض سورة الحاقَّة في مخاطبة المكذبين بيوم القيامة: "تذكيرهم بما حلَّ بالأمم التي كذبت به من عذاب في الدنيا، ثم

(١) أبو حيان، مرجع سابق،٣١٥/٨.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سايق، ٣٣٧/٢٠.

عذاب الآخرة، وتهديد المكذبين لرسل الله تعالى بالأمم التي أشركت وكذبت"[١] . وهذا الغرض أو المقصد له علاقة متينة بما تضمنته آيات المطلع التي تحدَّثت عن عاد وثمود وفرعون وقومه وما أصابهم من الهلاك بالطاغية، والريح الصرصر العاتية، والأخذة الرابية.

علاقة مطلع سورة المعارج بمقصودها:

افتُتحت السورة بالإخبار عن وقوع سؤال من أحد المشركين عن عذاب يقع عليهم كان الرسول ﷺ قد خوَّفهم منه: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج: ١)، يقول البغوي في تفسير الآية: "ومعنى الآية: سأل سائل عن عذاب ﴿ وَاقِعٍ ﴾ ، نازل كائن على من ينزل، ولمن ذلك العذاب؟ فقال الله مبيّناً مجيباً لذلك السائل: ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ وذلك أن أهل مكة لما خوَّفهم النبي ﷺ بالعذاب قال بعضهم لبعض: من أهل هذا العذاب؟ ولمن هو؟ سلوا عنه مُحَمَّداً فسألوه فأنزل الله:

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾، أي هو للكافرين"[٢] . وعن قوله سبحانه: ﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ يقول الزمخشري: "فإن قلت: بم يتَّصل؟ قلت: يتَّصل بواقع من عنده، أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته إذا جاء وقته، وأوجبت الحكمة وقوعه"[٣] . وأما قوله: ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ فيقول البغوي في تفسيره: "قال ابن عباس:أي ذي السموات، سمَّاها

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ١١١/٢٩.
(٢) البغوي، مرجع سابق، ٢١٩/٨.
(٣) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٣٨.

معارج لأن الملائكة تعرج فيها. وقال سعيد بن جبير: ذي الدرجات. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم، ومعارج الملائكة"[١] .

ويقول الطبري عن قوله سبحانه: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾: "يقول تعالى ذكره: تصعد الملائكة والروح وهو جبريل عليه السلام إليه؛ يعني إلى الله عز وجل ... يقول كان مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة، وذلك أنها تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة إلى منتهى أمره من فوق السماء السابعة"[٢] . وبالنظر إلى تفسير هذه الآيات من المطلع يمكن تلخيصه في معانٍ، هي: تخويف الكافرين بأن العذاب واقع بهم لا محالة، وأنه من الله، ولا دافع له ولا حائل دون إرادة الله في إنزاله بهم. ثم تعظيم لله تعالى ببيان رفعة الدرجات التي تصعد فيها الملائكة إليه سبحانه.

يقول البقاعي عن سورة المعارج: "مقصودها إثبات القيامة وإنذار من كفر بها، وتصوير عظمتها بعظمة ملكها وطول يومها وتسلية المنذِر بها"[٣] . وواضح أن المعاني التي استخلصتها من تفسير المفسرين لآيات مطلع السورة ترتبط بعلاقة وثيقة مع هذا المقصود الذي أورده البقاعي. ولعل من المقاصد أيضاً بيان عظمة الملكوت والعظمة غير المتناهية لله سبحانه ببعد مكانه عن البشر، وهذا أيضاً مما يتَّصل فيه المطلع بالمقصود. والله أعلم.

علاقة مطلع سورة نوح بمقصودها:

افتُتحت سورة نوح بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (نوح: ١)، وهو افتتاح لقصة نوح مع قومه التي جاءت مفصَّلة في هذه السورة. وأقرَّ أكثر الصحابة على أن نوحاً سبق

(١) البغوي، مرجع سابق، ٢٢٠/٨.

(٢) الطبري، مُحَمَّد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر، ط٢، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، د.ت.)، ٣٦٧/٧-٣٦٨.

(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٨٥/٢٠-٣٨٦.

الأنبياء والمرسلين جميعاً بالنبوة والرسالة. يقول أبو حيان: "ونوح عليه السلام أول نبي أرسل، ويقال له: شيخ المرسلين، وآدم الثاني"[١] . ووقع اختلاف في قوله سبحانه: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ بين قائل أن قومه كانوا جميع الخلق، ومن قال: إنهم قوم محددون لأنه لم يُرسل إلى الناس كافة إلا رسول الله مُحَمَّد ﷺ. ويقول ابن عاشور مشيراً إلى أنه أرسل لجميع الناس في الأرض في زمن رسالته عليه السلام: "وقوم نوح هم الناس الذين كانوا عامرين الأرض يومئذٍ، إذ لا يوجد غيرهم على الأرض كما هو ظاهر في حديث الشفاعة، وذلك صريح ما في التوراة"[٢] . ويورد الألوسي ما يعضِّد الرأي الآخر فيقول: "﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ ، قيل: هم سكان جزيرة العرب ومن قرب منهم لا أهل الأرض كافة؛ لاختصاص نبينا مُحَمَّد ﷺ بعموم البعثة بين المرسلين عليهم السلام، وما كان لنوح بعد قصة الغرق على القول بعمومه أمر اتِّفاقي، واشتهر عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يسكن أرض الكوفة وهناك أرسل"[٣] . ولعل أبرز ما ورد في المطلع من معانٍ بحسب هذه التفسيرات، الإخبار بأن نوحاً كان أول المرسلين، وأنه أول من أنذر البشر ممثَّلين في قومه بمغبَّة الإعراض عن الإيمان بالله وترك عبادته وتقواه، وهو أمر يجعلهم عرضة لأن ينزل بهم عذاب الله الأليم ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣﴾ (نوح: ١ – ٣).

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٣٢/٨.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٨٧/٢٩.
(٣) الألوسي، مرجع سابف، ٤٤٨/٢٧.

وعن مقصود السورة يقول البقاعي: "مقصودها تمام القدرة على ما أنذر به آخر ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌ ﴾ من إهلاك المنذرين وتبديل خير منهم، ومن القدرة على إيجاد يوم القيامة الذي طال إنذارهم به، وهم عنه معرضون، وبه مكذِّبون"(١). وهذا يعني أن مقصود السورة سرد قصة نوح مع قومه، ودعوته لهم، وإنذارهم من عذاب الله، وبيان شدة إعراضهم، وإصرارهم على الشرك. وهذه المعاني تضمَّنها مطلع السورة، وارتبط بذلك مع مقصودها بعلاقة قوية. وأورد ابن عاشور في أغراض السورة المعاني التي ذكرها البقاعي نفسها، فقال: "أعظم مقاصد السورة ضرب المثل للمشركين بقوم نوح، وهم أول المشركين الذين سُلِّط عليهم عقاب في الدنيا، وهو أعظم عقاب؛ أعني الطوفان ... وتصميم قومه على شركهم، وتصلُّبهم في شركهم"(٢) . وهذا المعنى الأخير يمثِّله من آيات المطلع قوله سبحانه: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح ٧).

علاقة مطلع سورة الجن بمقصودها:

بُدئت سورة الجن بطلب الله سبحانه من نبيه ﷺ الإخبار عما أوحي إليه من خبر الجن: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجن: ١)، وفي تفسير هذه الآية وما فيها من أوجه الفائدة يورد الفخر الرازي أن في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ ﴾ أمراً منه سبحانه لنبيه أن يُعلم أصحابه بما علمه وحياً من واقعة الجن؛ ليكون في ذلك

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٤٢٢/٢٠-٤٢٣.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٨٥/٢٩-١٨٦.

تعريف قريش أنه ﷺ كما أرسل للأنس فقد أرسل للجن كذلك، وأن الجن أدركوا إعجاز القرآن فآمنوا بالرسول ﷺ، وأن الجن مكلَّفون مثل الإنس، وأنهم يسمعون كلامنا ويفهمون لغاتنا، وأن المؤمن منهم يدعو قبيلته للإيمان.(١)

اهتمَّ معظم المفسِّرين في تفسير مطلع سورة الجن ببيان تكريم الله سبحانه لنبيِّه ﷺ بتسخير الجن لتلبية دعوته بعد سماعهم شيئاً من القرآن، وعقدوا في ذلك المقارنة بين الجنِّ المخالفين له ﷺ عنصراً ولساناً، وقومه الموافقين له عنصراً ولساناً، والعارفين والمقِرِّين له فوق ذلك بالفضل وحسن الخلق والأمانة والصدق بين إيمان الجن وكفر أهل مكة. يقول الغرناطي:"كانت استجابة قريش ومعاندي العرب أقرب في ظاهر الأمر لنبي من أنفسهم ومن جنسهم، فقد تقدمت لهم معرفة صدقه وأمانته، ثم جاءهم بكتاب بلسانهم الذي به يتحاورون ... ومع ذلك عموا وصمُّوا، وسبق إلى الإيمان من ليس من جنسهم، ولا سبقت له مزية تكريمهم، وهم الجن"(٢).

يقول البقاعي عن مقصود سورة الجن: "مقصودها إظهار الشرف لهذا النبي الكريم الفاتح ﷺ حيث ليَّن له قلوب الإنس والجنّ وغيرهما، فصار مالكاً لقلوب المجانس وغيره"(٣). ويتجلَّى هذا التكريم والتشريف في أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يُظهر لمشركي مكة ما علمه وحياً من واقعة استماع الجن للقرآن وإيمانهم به؛ ليكون في ذلك تبكيتاً لهم، وإعلاماً بنصرة الله لنبيه بعد أن خذلوه بكفرهم وعنادهم، نصرة من غيرهم ممن هم ليسوا أهله وعشيرته، بل هم مخالفون له عنصراً وطبيعة ولساناً. ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١﴾ (الجن:١)، ويورد ابن عاشور المقصد نفسه

(١) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٥٣/٣٠.
(٢) الغرناطي، مرجع سابق، ص١٨٥.
(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٤٦٠/٢٠.

في حديثه عن أغراض سورة الجن مع شيء من التوسُّع والزيادة فيقول: "إثبات كرامة للنبي ﷺ بأن دعوته قد بلغت إلى جنس الجن، وإفهامهم معانٍ من القرآن الذي استمعوه من النبي ﷺ، وفهم ما يدعو إليه من التوحيد والهدى، وعلمهم بعظمة الله، وتنزيهه عن الشريك والصاحبة والولد"(١) ، ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ ﴾ (الجن: ٢ – ٣)، وفي هذا زيادة على مقصود تكريم النبي ﷺ، بترك الشرك، ونفي الصاحبة والولد عنه سبحانه. ويستطيع المتأمِّل أن يلحظ العلاقة القوية بين مطلع السورة ومقصودها.

علاقة مطلع سورة المزمل بمقصودها:

بُدئت سورة المزمل بجملة من الآيات المتَّصلة في معنى خطاب الله سبحانه رسوله ﷺ بحاله ساعة نزول السورة عليه، ثم أمره إياه بقيام الليل، وتخييره بين عدد من مدد القيام؛ تهيئة له ﷺ لنزول القرآن الكريم، وحمل الرسالة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ (المزمل: ١ – ٥)، وقد اختلف المفسِّرون في تفسير قوله سبحانه: " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ بين تزمُّل حقيقي، وآخر مجازي. يقول مقاتل: "يعني الذي ضمَّ عليه ثيابه؛ يعني النبي ﷺ، وذلك أن النبي ﷺ خرج من البيت، وقد لبس ثيابه، فناداه جبريل عليه السلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ الذي قد تزمّل بالثياب وقد ضمَّها عليه"(٢) . وهذا تأويل من قال بالتزمُّل الحسي. ويقول الطبري: "واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه ﷺ في هذه الآية من التزمُّل، فقال بعضهم:

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/ ٢١٧.

(٢) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، ٤/٤٧٥.

وصفه بأنه متزمل في ثيابه متأهِّب للصلاة، وذلك قول قتادة. وقال آخرون: وصفه بأنه متزمل النبوة والرسالة، وذلك قول عكرمة. والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك ما قاله قتادة؛ لأنه أعقبه بقوله: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ ، فكان ذلك بياناً عن أن وصفه بالتزمل بالثياب للصلاة"[١] . ويورد الشوكاني رأياً آخر في مخاطبة الله سبحانه نبيه ﷺ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ بأنه ﷺ خوطب بها قبل أن يخاطب بيا أيها النبي. يقول الشوكاني: "وكان خطابه ﷺ بهذا الخطاب في أول نزول الوحي، ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة"[٢] . ويظن بعض الناس أن المزمل اسم من أسماء النبي ﷺ، ولكن القرطبي أورد قولاً للسهلي ينفي فيه ذلك، إذ يقول: "وقال السهلي:"ليس المزمل باسم من أسماء النبي ﷺ، ولم يعرف به كما ذهب إليه الناس وعدوه في أسمائه عليه الصلاة والسلام، وإنما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب، وكذلك المدثر"[٣] .

وعن مقصود سورة المزمل يقول البقاعي: "مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال الثقال، ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليال"[٤] . ويرتبط مطلع السورة بهذا المقصود بعلاقة متينة. ففي قوله: (محاسن الأعمال) إشارة إلى قيام الليل، وفي قوله: تخفف الأحمال الثقال إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ ، وفي قوله: (ظلمات الليال) إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ ، وكل هذا وارد في مطلع السورة. ويقول ابن عاشور عن أغراض سورة المزمل: "الإشعار بملاطفة الله تعالى رسوله ﷺ بندائه بوصفه بصفة

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٩٣/٧.
(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٣١٥/٥.
(٣) القرطبي، مرجع سابق، ٣١٦/٢١.
(٤) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١/٢١.

تزمله"[١] . ومخاطبة المرء بحالته ساعة الخطاب من أسباب الملاطفة وترك العتاب. يقول القرطبي: "إن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب، وترك المعاتبة سموه باسم مشتقٍ من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي حين غاضب فاطمة ﵂، فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب: "قم يا أبا تراب"؛ إشعاراً له بأنه غير عاتب عليه، وملاطفة له"[٢] . ويرتبط بهذا المعنى قوله سبحانه في مفتتح السورة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾.

علاقة مطلع سورة المدثر بمقصودها:

بدئت سورة المدَّثِّر بخطاب الله رسوله بالمعنى نفسه الذي بدئت به سورة المزَّمِّل؛ أي خطاب الملاطفة بوصف الحال التي كان عليها ﷺ ساعة الخطاب. والمدثر المتلفف بثيابه؛ ذلك أنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام بين السماء والأرض على كرسي، ففزع وسقط مغشيًّا عليه، فلما أفاق رجع إلى خديجة ﵂ وقال: دثروني دثروني. يروي ذلك الشوكاني فيقول: "لما بدئ رسول الله ﷺ بالوحي أتاه جبريل، فرآه ﷺ على سرير بين السماء والأرض كالنور المتلألئ، ففزع وسقط مغشيًّا عليه، فلما أفاق دخل على خديجة ﵂، ودعا بماء فصبَّه عليه، وقال: دثِّروني دثِّروني، فدثَّروه بقطيفة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ (المدَّثِّر ١)"[٣] . وكما قيل عن المزَّمِّل: إنه تزمُّل معنوي؛ أي أنه تزمُّل بالنبوة وأثقالها، فقد قيل عن التدثُّر: إنه تدثُّر معنوي بالنبوة وأثقالها. ويورد الشوكاني رأياً ينقض ذلك، إذ يقول: "وقال ابن العربي: هذا مجاز بعيد؛ لأنه لم يكن نبيًّا إذ ذاك"[٤] .

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٥٤/٢٩.
(٢) القرطبي، مرجع سابق، ٣١٦/٢١.
(٣) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٢٤/٥.
(٤) المرجع نفسه.

وتأخذ الباحثة بالمعنى المباشر للتدثُّر الذي عليه أكثر المفسرين لتتلمَّس في ضوئه العلاقة بين مطلع السورة ومقصودها. وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (المدَّثِّر ٢) ، يقول الزمخشري: "قم قيام عزم وتصميم، فحذّر قومك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، والصحيح أن المعنى فافعل الإنذار من غير تخصيص له بأحد"[١] . وقد كانت هذه الآية في السورة بداية لسلسلة من الأوامر للنبي ﷺ تتعلَّق في جملتها بتوجيه لسلوك محدد مع بدء الرسالة تتمثل في الآيات ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ (المدَّثِّر ٣ – ٧)، والله أعلم. ويقول الزمخشري في تفسير هذه الآيات: "واختص ربك بالتكبير، وهو الوصف بالكبرياء، وأن يقال (الله أكبر)، وقد يُحمل على تكبير الصلاة ...، ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (المدَّثِّر ٤)، أُمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات؛ لأن طهارة الثياب شرط في الصلاة، وقيل: هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال، ويستهجن من العادات ...، ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ (المدَّثِّر ٥)، وهو العذاب. ومعناه: اهجر ما تؤدي إليه عبادة الأوثان، وغيرها من المآثم، والمعنى الثبات على هجره؛ لأنه كان بريئاً منه ...، ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ (المدَّثِّر ٦)؛ أي لا تعطِ مستكثراً رائياً لما تعطيه كثيراً، أو طالباً للكثير ...، ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (المدَّثِّر ٧)، ولوجه الله فاستعمل الصبر، وقيل: على أذى المشركين، وقيل: على أداء الفرائض"[٢] . ووفقاً لهذا التفسير يكون المطلع مشتملاً معاني الخطاب الملاطف المسلّي للنبي ﷺ، ثم إلقاء بعض الأوامر عليه ﷺ تدعوه إلى النهوض بأحمال الرسالة، وأن يكبر ربه وينزهه عما يقول المشركون، وأن يطهّر ثيابه ويصونها عما ينجّسها، وأن يثبت على ما هو عليه من ترك الشرك والبعد عن كل ما

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٥٤.
(٢) المرجع السابق.

من شانه أن يوجب العذاب على صاحبه، وأن يبعد عن الاستكثار والطمع، وأن يصبر على أذى المشركين وعلى أداء العبادة والتكاليف.

يقول البقاعي عن مقصود سورة المدثر:" مقصودها الجدُّ والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار"[١] .

ولهذا المعنى علاقة وثيقة بما جاء في المطلع من قوله سبحانه: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴾ (المدَّثِّر: ٢)، ويقول ابن عاشور عن أغراض السورة: "جاء فيها من الأغراض: تكريم النبي ﷺ، والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة، والأمر بالتطهُّر الحسي والمعنوي، ونبذ الأصنام والإكثار من الصدقات، والأمر بالصبر"[٢] . وما جاء في هذا النص هو عين ما سبق ذكره مما تم استخلاصه من التفاسير، وبه تنعقد العلاقة المتينة بين مطلع السورة ومقصودها.

علاقة مطلع سورة القيامة بمقصودها:

افتُتحت السورة بقسم بيوم القيامة: ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ (القيامة: ١)، ثم أعقبه قسم بالنفس اللوامة على اختلاف بين المفسرين في أن يكون قسماً أو لا يكون: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة: ٢)، واختُلف في لا السابقة لفعل القسم على أقوال. يقول الزمخشري مفصِّلاً ذلك: "إدخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم، وفائدتها توكيد القسم، وقيل: إنها صلة ...، وقُرئ: (لأقسم) على أن اللام للابتداء و(أقسم) خبر مبتدأ محذوف"[٣] .

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٩/٢١.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩٣/٢٩.

(٣) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٦٠.

ويورد الفخر الرازي تفسيراً آخر فيقول: "إنها وردت نفياً لكلام ذكر قبل القسم، كأنهم أنكروا البعث فقيل: لا ليس الأمر على ما ذكرتم، ثم قيل: أقسم بيوم القيامة"(١) .

ومعلوم أن الله سبحانه افتتح بعضاً من سور القرآن بالقسم ببعض مخلوقاته تعظيماً لها، ومن ذلك هذه السورة تفخيماً ليوم القيامة، وإجلالاً للمقسم عليه، وهو هنا ما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣)، أي (لتبعثنَّ). ويفسِّر الزمخشري قوله سبحانه: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة: ٢)، فيقول: "بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه؛ أي في يوم القيامة على تقصيرهن في التقوى، أو بالتي لا تزال تلوم نفسها، واجتهدت في الإحسان. وعن الحسن أن المؤمن لا تراه إلا لائماً نفسه، وأن الكافر يمضي قدماً لا يعاتب نفسه"(٢) . وهو يريد بذلك أن القسم تواصل بعد يوم القيامة ليشمل النفس اللوامة أيضاً، ولكن بعض المفسرين لا يرون أن في الآية قسماً. يقول أبو حيان: "﴿ وَلَآ أُقْسِمُ ﴾لا نافية، نفى أن يقسم بالنفس اللوامة، وأقسم بيوم القيامة. نص على هذا الحسن، والجمهور على أن الله سبحانه أقسم بالأمرين"(٣) .

وأما عن تفسير اللوامة ففيه قولان. يقول الماوردي: "أحدهما: أنها صفة مدح، وهو قول من جعلها قسماً، والثاني: أنها صفة ذم وهو قول من نفى أن يكون قسماً"(٤) . ويقول الشوكاني في أنها صفة ذم: "وقيل: اللوامة هي الملومة المذمومة، فهي

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢١٥/٣٠.
(٢) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٦٠.
(٣) أبو حيان، مرجع سابق، ٤٠٥/٨.
(٤) أبو الحسن الماوردي، النكت والعيون، راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د ت)، ج٦، ص ١٥١.

صفة ذم، وبهذا احتجَّ من نفى أن يكون قسما، إذ ليس لنفس العاصي خطراً يقسم به"[١] . ويمكن استخلاص بعض المعاني من تفسير هذه الآيات، كالجزم بوقوع القيامة وهولها وعظمتها، إذ إن الله سبحانه قد أقسم بها، والقسم بالنفس التي تلوم صاحبها يوم القيامة على ما فرط في جنب الله. وهو أيضاً تهويل ليوم القيامة بما يقع فيه من الندامة على الكفر والعناد.

ومقصود السورة يمكن استخلاصه مما قاله ابن عاشور عن أغراضها التي يقول عنها: "اشتملت على إثبات البعث، والتذكير بيوم القيامة"[٢] . وتوسَّع في ذلك الغرناطي فقال: "بسط القول في هذه السورة في بيان ذكر ذلك اليوم (يوم القيامة) وأهواله، وأشير إلى حال من كذب به في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ (القيامة: ٦)، وفي قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣)، ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق في ذلك اليوم"[٣] . ويُلاحظ أن جملة هذه المقاصد والأغراض التي اشتملت عليها السورة تتطابق تماماً مع المعاني المستخلصة من تفسير آيات المطلع المذكور سابقاً.

علاقة مطلع سورة الإنسان بمقصودها:

افتُتحت السورة بقوله سبحانه: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ (الإنسان: ١)، وأوَّل المفسرون كلمة (هل) على أوجه مختلفة. يقول الزمخشري: "﴿ هَلْ ﴾ بمعنى (قد) في الاستفهام خاصة والأصل (أهل) على التقدير والتقريب جميعاً؛ أي أتى على الإنسان قبل زمان قريب"[٤]. ويقول القرطبي مبيناً معنى ﴿ هَلْ ﴾ في الآية: "قال

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٣٥/٥.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٣٧/٢٩.
(٣) الغرناطي، مرجع سابق، ص١٩٨.
(٤) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٦٣.

الفراء: (هل) تكون جحداً وتكون خبراً، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل أعطيتك؟ تقرّره بأنك أعطيته. والجحد أن تقول: هل يقدر أحد على مثل هذا؟ وقيل هي بمعنى الاستفهام، والمعنى: أتى"[١] . وأكثر المفسرين على أن (هل) هنا جاءت بمعنى (قد) للتقرير. أما عن الإنسان المراد في قوله سبحانه: ﴿ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾، فيقول القرطبي: " الإنسان هنا آدم عليه السلام، قاله قتادة والثوري وعكرمة والسُّدِّي. وروي عن ابن عباس"[٢] . وعلى غير ذلك يرى الزمخشري أن المراد بالإنسان هو جنس الإنسان على عمومه، إذ يقول: "والمراد بالإنسان جنس بني آدم بدليل قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (الإنسان: ٢)، وعن قوله سبحانه: ﴿ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾، يرى بعض المفسرين أنه طائفة من الزمان الطويل الممتد غير المحدد، في حين يرى آخرون أنه زمان محدد معلوم. يقول أبو حيان: "وعن ابن عباس بقي طيناً أربعين سنة، وصلصالاً أربعين، ثم حمأ مسنوناً أربعين، فتم خلقه في مائة وعشرين سنة، وسمي إنساناً باعتبار ما آل إليه"[٣] . المعنى الشامل للآية كما يراه ابن عاشور هو: "هل يقرُّ كل إنسان موجود أنه كان معدوماً زماناً طويلاً، فلم يكن شيئاً يذكر؛ أي لم يكن يسمّى أو يُتحدث عنه بذاته"[٤] .

يقول البقاعي عن مقصود السورة: " مقصودها ترهيب الإنسان بما دلَّ عليه آخر القيامة من العرض على الملك الديان بتعذيب العاصي في النيران، وتنعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلائق"[٥]. والترهيب الذي يريده البقاعي واقع في قسمه سبحانه

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٤٤٤/٢١.
(٢) المرجع السابق.
(٣) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٨٦/٨.
(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٧٢/٢٩.
(٥) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٢٠/٢١.

بيوم القيامة والنفس اللوامة، وتعذيب العاصي وتنعيم المطيع واقع في قوله سبحانه في آيتين من آيات المطلع هما قوله سبحانه: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥﴾ (الإنسان: ٤ – ٥)، وبهذا تتَّضح العلاقة بين المطلع والمقصود في السورة. وعن أغراض السورة يقول ابن عاشور: "التذكير بأن كل إنسان كُوِّن بعد إذ لم يكن، فكيف يقضي باستحالة إعادة تكوينه بعد عدمه"[١] . وهذا المعنى متضمَّن في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ (الإنسان: ٢)، والآية كما هو واضح من آيات المطلع مما يدلُّ على العلاقة القوية بين مطلع السورة ومقصودها.

علاقة مطلع سورة المرسلات بمقصودها:

افتُتحت سورة المرسلات بقسم تكرر في خمس آيات قبل أن يأتي جوابه: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ (المرسلات: ١)، ويقول في تفسيرها مقاتل: "الملائكة وأرسلوا بالمعروف، ﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا﴾ (المرسلات: ٢)، وهي الرياح، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا﴾ (المرسلات ٣)، وهي أعمال بني آدم تنشر يوم القيامة، ﴿فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا﴾ (المرسلات ٤)، فهو القرآن فرق بين الحقِّ والباطل، ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ (المرسلات: ٥)، فهو جبريل عليه السلام يلقي الذكر على ألسنة الأنبياء والرسل، ﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ (المرسلات: ٦)، عذراً من الله ونذراً إلى خلقه، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ﴾ من أمر الله ﴿لَوَٰقِعٞ﴾ (المرسلات: ٧)، يعني لكائن، ثم ما يكون في ذلك اليوم أنه لكائن"[٢] . وأورد الحاكم حديثاً عن معنى: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ جاء فيه: [**عن أبي هريرة ﷺ في قوله عز وجل: ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا﴾ قال: هي الملائكة أرسلت**

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٧١/٢٩.

(٢) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، ٥٤٣/٤.

بالمعروف][١]. وعن خالد بن عرعرة قال: **[قام رجل إلى علي بن طالب ﷺ، فقال: ما** ﴿ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴾ **؟ قال: الرياح]**[٢].

وجعل الزمخشري الموصوفات في القسم كلها ملائكة وصفت بحسب ما تؤدّيه من مهام، فالمرسلات عرفاً هي التي أرسلها الله متتابعة كشعر عرف الفرس، والعاصفات هي التي تعصف في مضيّها كما تعصف الرياح، والناشرات هي التي تنشر أجنحتها حين تنحط بالوحي، والفارقات هي التي تفرّق بين الحق والباطل، فالملقيات ذكراً للأنبياء، عذراً لمن يشكر الله من خلقه، أو إنذاراً للذين يغفلون عن الشكر، وأن الذي توعدون به من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه، وهو جواب القسم المتكرر في الآيات الأولى الذي جاء في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾[٣].

أما مقصود السورة فيقول عنه البقاعي: "مقصودها الدلالة على آخر الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم"[٤]. ويستطيع المتأمّل أن يرى علاقة بيّنة بين قوله سبحانه في الآية الكريمة رقم ٧ من آيات المطلع: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾، والمعنى الذي ذكره البقاعي من الوعد بإثابة الشاكرين بالنعيم، والوعيد بإصابة الكافرين بالجحيم. والوعد والوعيد هذان متكرران كثيراً في سور جزء تبارك، بل في كامل القرآن.

هذا ما قيض الله للباحثة تلمُّسه من أوجه العلاقة بين مطالع سور جزء تبارك ومقاصدها. ولا شك أن المطالع تمثّل علاقة جزئية بالمقاصد، إذ إن هناك مقاصد ذات علاقة بأجزاء أخرى من السور مثل أواسطها وخواتمها.

---

(١) المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة المرسلات، ٢/٥٥٥.

(٢) المستدرك، مرجع سابق، ٢/٥٥٥.

(٣) انظر: الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٦٨.

(٤) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢١/ ١٦٤.

المبحث الثالث

علاقة خاتمة السورة بمقصودها

تلمَّس المفسرون والعلماء الذين اهتموا بالتناسب في القرآن الكريم، التناسبَ داخل السورة الواحدة، فبحثوا التناسب والعلاقات بين الأجزاء المختلفة فيها من مطلع وخاتمة واسم ومقصود وآيات متتابعة وفواصل ونحو ذلك، ومما بحثوه العلاقة بين خاتمة السورة ومقصودها. والواقع أنهم يبنون إقامة العلاقات هذه بإمعان النظر في جملة الآيات التي تشمل موضوعاً واحداً تناقشه آية أو عدد من الآيات ليستنبطوا منه مقصداً من مقاصد السورة. ولما كانت الخاتمة تشتمل على عدد من الآيات التي قد تتناول عدداً من الموضوعات، فقد تتعدد المقاصد فى الخاتمة تبعاً لذلك. وستنظر الباحثة إلى الموضوع في ضوء هذا الفهم إن شاء الله.

علاقة خاتمة سورة الملك بمقصودها:

جاء في تفسير الآية ٢٨ من السورة: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الملك ٢٨)، بحسب ما أورد الفخر الرازي: "قل لهم: إن الله تعالى سواء أهلكني بالإماتة أو بتأخير الأجل، فأي راحة لكم في ذلك، وأي منفعة لكم فيه، ومن الذي يجيركم من عذاب الله إذا نزل بكم، أتظنون أن الأصنام تجيركم أو غيرها؟ فإذا علمتم ألا مجير لكم فهلا تمسَّكتم بما يخلّصكم من العذاب، وهو العلم بالتوحيد والنبوة والبعث"[(١)] . وفي هذا رد على كفار مكة الذين كانوا يتمنون هلاك الرسول ﷺ وهلاك المؤمنين معه، ويدعون عليهم. وفيه تسفيه كذلك لسذاجة فكرتهم في الفرح بهلاك الرسول ﷺ والمؤمنين، وغفلتهم عما هم فيه من الضلال، وعن الأسباب التي تمنع عنهم العذاب. وفي تفسير قوله

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٧٦/٣٠.

سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الملك ٢٩)، يقول ابن عاشور: "وجاء هذا الأمر بقول يقوله لهم بمناسبة قوله: ﴿ أَوْ رَحِمَنَا ﴾... بأن المسلمين آمنوا بالرحمن فهم مظنَّة أن تتعلق بهم هذه الصفة، فيرحمهم الله في الدنيا والآخرة، فيعلم المشركون علم اليقين، أي الفريقين في ضلال حين يرون أثر الرحمة على المسلمين وانتفاءه عن المشركين في الدنيا، وخاصة في الآخرة"(١).

ولعل الناظر في الآية السابقة يلحظ تسوية بين فرضي الإهلاك والرحمة، ولكنه حين ينظر في هذه يلحظ ما يشبه القطع برحمة الله للمؤمنين في مقابل إيمانهم به وتوكُّلهم عليه، وعندها تتمايز الصفوف بين مؤمن وضال. ويقول الفخر الرازي في تفسير الآية الأخيرة من السورة: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الملك: ٣٠)، "والمقصود أن يجعلهم مقرّين ببعض نعمه ليريهم قبح ما هم عليه من الكفر؛ أي أخبروني إن أصبح ماؤكم ذاهباً في الأرض، فمن يأتيكم بماء معين؟ فلا بد أن يقولوا: هو الله، فيقال لهم حينئذٍ فلم تجعلون من لا يقدر على شيءٍ أصلاً شريكاً له في المعبودية؟(٢)"وفي هذه الآية ما يشبه التقريع على الكفر والإعراض عن دعوة الرسول ﷺ، مع الإقرار بمن أنعم عليهم بنعمة الماء الذي هو أصل الحياة.

يقول البقاعي عن مقصود سورة الملك: "مقصودها الخضوع لله لاتِّصافه بكمال الملك الدال عليه تمام القدرة الدال عليه قطعاً إحكام المكونات"(٣). ويستطيع المتأمِّل في هذه المعاني ان يلحظ وجودها في آيات خاتمة السورة، فقول البقاعي: (الخضوع لله) مشمول في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ ﴾، وقوله:

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٤/٢٩.

(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٧٦/٣٠.

(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣١٥/٢٠.

(تمام القدرة الدال عليه قطعاً إحكام المكونات) مشمول في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾. يقول ابن عاشور عن أغراض سورة الملك: "وبخهم على استعجالهم موت النبي ﷺ ليستريحوا منه. وأوعدهم بأنهم سيعلمون ضلالهم حين لا ينفعهم العلم. وأنذرهم بما قد يحلُّ بهم من قحط وغيره"[١]. وواضح تماماً علاقة كلام ابن عاشور بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ وفي قوله: (وأنذرهم بما قد يحلُّ بهم من قحط) علاقة واضحة بالآية الأخيرة: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

علاقة خاتمة سورة القلم بمقصودها:

جاء في تفسير الآية قبل الأخيرة: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ (القلم: ٥١)، "إنهم لشدة عداوتهم ينظرون إليك شزراً، بحيث يكادون يزلُّون قدمك فيرمونك ... وجعل مبالغة في عداوتهم، حتى كأنها سرت من القلب والجوارح إلى النظر، فعاد يعمل عمل الجوارح"[٢] . وثمة تفسير آخر يرى أصحابه أن مشركي مكة حاولوا أن يصيبوا رسول الله ﷺ بالعين ولكن الله عصمه منهم. يقول الزمخشري: "وقيل: كانت العين في بني أسد، فكان الرجل منهم يتجوَّع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء يقول فيه: لم أرَ كاليوم مثله إلا عانه، فأريد بعض العيّانين على أن يقول في رسول الله

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٤/٢٩.
(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٣٦٧/٢٧.

ﷺ مثل ذلك، فقال: لم أرَ كاليوم رجلاً، فعصمه الله"[١] . وقد أنكر بعض المفسرين ذلك بحجة أن العائن إنما يرمي بالعين عن إعجاب لا عن بغض وكراهة، قال ذلك القشيري، ولكن القرطبي يرى أن الكراهة والبغض لا يمنعان أن تصيب العين عداوة[٢] .

ويقول الألوسي في تفسير قوله سبحانه: ﴿ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾: "أي وقت سماعهم القرآن، وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه، ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ لغاية حيرتهم في أمره ﷺ، ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من عجائب الحكم وبدائع العلوم، ولتنفير الناس عنه"[٣] . وما رميهم إياه ﷺ بالجنون إلا إمعاناً في الافتراء، ومحاولة تسفيه دعوته، إذ إنهم يعلمون عنه كل فضل واتزان ورجاحة عقل، وحتى عن القرآن فإنهم ينكرون كونه من عند الله مع ما رأوا فيه من أوجه البلاغة والإعجاز مما لا يتاح لبشر.

وعن قوله سبحانه: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ ، يقول الفخر الرازي: "﴿ وَمَا هُوَ ﴾؛ أي وما هذا القرآن الذي يزعمون أنه دلالة جنونه ﴿ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فإنه تذكير لهم، وبيان لهم، وأدلة لهم، وتنبيه لهم على ما في عقولهم من أدلة التوحيد، وفيه من الآداب والحكم وسائر العلوم ما لا حدَّ له ولا حصر، فكيف يُدعى من يتلوه مجنوناً"[٤] . ومجمل المعاني التي تضمَّنتها الآيتان، هي: تعمُّد المشركين الرسول ﷺ بالأذى عن طريق محاولة رميه بالعين التي عصمه الله منها، وعن طريق التشكيك في سلامة عقله لما يتلوه عليهم من القرآن. ثم أثبتت الآية الأخيرة بعد ذلك حقيقة القرآن.

---

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٣٣.
(٢) انظر: أبا حيان، مرجع سابق، ٣١١/٨.
(٣) الألوسي، مرجع سابق، ٣٧٠/٢٧.
(٤) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٠١/٣٠.

وعن مقصود سورة القلم يقول البقاعي: "مقصودها إظهار ما استتر وبيان ما أبهم في آية: ﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الملك: ٢٩)، بتعيين المهتدي الذي برهن على هدايته حيازته العلم الذي هو النور الأعظم الذي لا يضلُّ بمصاحبته بتقبُّل القرآن، والتخلُّق بالفرقان الذي هو صفة الرحمن"[١] . وإذا كان تقبُّل القرآن يبرهن على تعيين المهتدي، فإن الإعراض عنه يبرهن على تعيين الضالِّ الذي لما سمعه قال عن صاحبه: ﴿ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ وهذه علاقة بيّنة بين المقصود والآية الواردة في خاتمة السورة.

علاقة خاتمة سورة الحاقة بمقصودها:

خُتمت سورة الحاقَّة ببضع آيات في وصف القرآن الكريم، بُدئت بالآية: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الحاقَّة: ٤٨)، ويقول الماوردي في تفسيرها: "وفي التذكرة أربعة أوجه: أحدها: رحمة، والثاني: ثبات، والثالث: موعظة، والرابع: نجاة"[٢] . وفي تفسير للآية أكثر توضيحاً يقول ابن عاشور: "والمراد بالمتّقين المؤمنون ... فالقرآن كان هادياً إياهم للإيمان ... وكلما نزل منه شيء، أو تلوا منه شيئاً ذكَّرهم بما علموا لئلا تعتريهم غفلة أو نسيان، فالقرآن تذكرة للمتقين في الماضي والحاضر والمستقبل، فإن الإخبار عنه باسم المصدر يتحمَّل الأزمنة الثلاثة"[٣] . وفي هذا بيان لشيء من فوائد القرآن، فهو معين على استحضار وجوب التقوى بما فيه من الحضِّ الدائم على محاسن الأعمال، والتنفير الدائم من رذائلها.

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٧٢/٢٠.

(٢) الماوردي، مرجع سابق، ٨٧/٦.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/ ص١٤٨-١٤٩.

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الحاقَّة: ٤٩ – ٥٠)، يقول ابن عاشور: "هاتان جملتان مرتبطتان، وأولاهما تمهيد وتوطئة للثانية، والمعنى إنا بعثنا إليكم الرسول ﷺ، ونحن نعلم أن سيكون منكم مكذبون له وبه، وعلمنا بذلك لم يصرفنا عن توجيه التذكير إليكم، وإعادته عليكم؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة، فقوبلت صفة القرآن التي تنفع المتَّقين بصفته التي تضر بالكافرين"[١] . وهكذا يتَّصل الكلام عن القرآن في آيات الخاتمة. ويفسِّر الفخر الرازي الآيتين الأخيرتين من السورة: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (الحاقَّة ٥١ – ٥٢)، فيقول: "معناه أنه حقٌّ يقين؛ أي حقٌّ لا بطلان فيه، ويقين لا ريب فيه، ثم أضيف أحد الوصفين للآخر للتأكيد. ثم قال: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ إما شكراً على ما جعلك أهلاً لإيحائه إليك، وإما تنزيهاً له عن الرضى بأن ينسب إليه الكاذب من الوحي ما هو بريء عنه"[٢] . ولا شك أنه يريد القرآن بقوله: (ما جعلك أهلاً لإيحائه إليك). وهكذا تكون الخاتمة كلها حديثاً عن القرآن.

وعما تضمَّنته السورة من مقاصد، يذكر المراغي: "إثبات أن القرآن العظيم وحي من الله، وليس بقول شاعر ولا كاهن"[٣] . ولعل هذا المعنى يتَّصل بعلاقة متينة بآيتين من السورة ليستا مما تم تحديده ليكون خاتمة لها، ولكنه ذو علاقة أيضاً بقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾. ويمكن أن يضاف إلى هذه مقصد تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التقول عليه، وما ينسبه إليه المشركون. ومعنى التنزيه هذا ذو علاقة وثيقة بما جاء في قوله سبحانه: ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

---

(١) ابن عاشور، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٢٠/٣٠.

(٣) المراغي، مرجع سابق، ٦٤/٢٩.

علاقة خاتمة سورة المعارج بمقصودها:

خُتمت سورة المعارج بجملة من الآيات التي حملت وعيداً شديداً بمآل الكفار لما كانوا فيه من الخوض واللعب استهتاراً بالدعوة وإعراضاً عنها، فبدأت الآيات التي تمثِّل الخاتمة بقوله سبحانه: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ (المعارج: ٤٢)، يقول القرطبي في تفسير الآية: "أي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم على جهة الوعيد، واشتغل أنت بما أمرت به، ولا يعظُمنَّ عليك شركهم، فإن لهم يوماً يلقون فيه ما وُعدوا"[١] . وإن كان هذا تفسيراً على مقتضى المعاني المباشرة للألفاظ، فإن لابن عاشور تفسيراً للآية يميل إلى تأويل معاني الألفاظ، إذ يقول: "ومعنى الأمر بالترك في قوله سبحانه: ﴿ فَذَرْهُمْ ﴾أنه أمر بترك ما أهمَّ النبي ﷺ من عنادهم وإصرارهم على الكفر مع وضوح الحجج على إثبات البعث، ولما كان أكبر أسباب إعراضهم وإصرارهم على كفرهم هو خوضهم ولعبهم كنّى به عن الإعراض بقوله سبحانه:﴿ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ ﴾"[٢] . وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ يقول المراغي: "أي يوم يخرجون من قبورهم إذا دعاهم الداعي لموقف الحساب سراعاً يسابق بعضهم بعضاً كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يبتدرون أيهم يستلمه قبل، مع خشوع الأبصار وذلتها؛ لهول ما تحققوا من العذاب تعلو وجوههم القترة؛ لما أصابهم من الكآبة والحزن"[٣] .

---

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٢٤٥/٢١.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/ ١٨١.

(٣) المراغي، مرجع سابق، ٧٧/٢٩.

ولعل المراغي أضاف هذا الجزء من الآية ٤٤ للآية ٤٣؛ ليتسنى له الشرح المتَّصل لوصفهم حال خروجهم من الأجداث عند الصيحة. ثم يكمل بعد ذلك ما تبقى من الآية، فيقول: "ثم ذكر أن ذلك العذاب الذي وقعوا فيه، كانوا قد أُنذروا به، ولم يأتهم بغتة، فقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾؛ أي ذلك اليوم وما فيه من أهوال عظام كانوا قد أنذروا في الدنيا أنهم ملاقوه وكانوا به يكذِّبون، فلا عذر لهم فيما سيموا من سوء العذاب"[١] . وأهمُّ المعاني التي حواها تفسير هذه الآيات، هي: الوعيد الشديد والتخويف والتهديد بمآل المعرضين عن الدعوة في يوم القيامة، وإثبات حقيقة ذلك اليوم، ووصف حالهم فيه ساعة خروجهم من القبور من هول ما تأكَّد لهم من حقيقة العذاب.

يقول البقاعي عن مقصود سورة المعارج: "مقصودها إثبات القيامة وإنذار من كفر بها، وتصوير عظمتها بعظمة ملكها"[٢] . والعلاقة الوثيقة بيّنة بين قول البقاعي: (إثبات القيامة) ومعنى قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ ، وبين قوله: (إنذار من كفر بها)، ومعنى قول الله سبحانه: ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾. ويقول المراغي عما حوته السورة من مقاصد ولا سيما ما تضمنته آيات الخاتمة: "وعيد الكافرين على ما يلاقونه يوم القيامة"[٣]. وهذا يشير إلى العلاقة نفسها التي ذكرناها في قوله سبحانه: ﴿ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾.

---

(١)المراغي، المرجع السابق.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، ٢٠/٣٨٥-٣٨٦.

(٣) المراغي، مرجع سابق، ٢٩/٧٧.

علاقة خاتمة سورة نوح بمقصودها:

تناولت سورة نوح في مجملها قصته مع قومه، وإلحاحه في دعوتهم واصطباره على ما قابلوه به من الإعراض والإصرار على الشرك، حتى يئس منهم ودعا عليهم. وفي مقابل ذلك دعا لنفسه ولوالديه، ولمن دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات، وقد تضمَّنت خاتمة السورة هذا الدعاء، فبدأه بما ورد في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (نوح: ٢٦)، يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية: "لما أيس نوح عليه السلام من إيمانهم وإقلاعهم عن الكفر، دعا عليهم بالهلاك. قال قتادة: دعا عليهم بعد أن أوحي إليه: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ (هود: ٣٦)، فأجاب الله دعوته وأغرقهم، وقال مُحَمَّد بن كعب ومقاتل والربيع بن أنس وابن زيد وعطية: إنما قال هذا حين أخرج الله من أصلابهم وأرحام نسائهم، وأعقم أرحام النساء وأصلاب الآباء قبل العذاب بسبعين سنة، وقيل بأربعين"[1] .

ويلحق المفسرون بتفسير هذه الآية تفسير الآية التي تليها، وهي قوله سبحانه: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ ﴾ (نوح: ٢٧)، وذلك لأن فيها تسويغاً، وبياناً لسبب لدعوته عليهم، بأنه لن يخرُج من أصلابهم إلا الكفرة الفجرة. فيوردون لحكمه عليهم بذلك سببين، أحدهما: ما أوحى الله له به في قوله: ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ (هود: ١٣٦)، والثاني: أنه بما أُتيح له من معرفة طباعهم

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٠١/٥.

وأخلاقهم بطول مكثه فيهم. يقول الزمخشري: "فإن قلت: بم عرف أن أولادهم يكفرون، وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة! قلت: لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم، وكان الرجل منهم ينطلق بابنه إليه ويقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبي قد حذرنيه، فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك"[١] . أما عن دعائه لنفسه ووالديه ولعامة المسلمين في قوله سبحانه: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ٢٨ ﴾ ، فيرى بعض المفسرين أنه إنما فعل ذلك لطلب الاستغفار عما رأى في دعائه على قومه من غضب لحق النفس، وفي ذلك يقول الفخر الرازي: "واعلم أنه عليه السلام لما دعا على الكفار قال بعده: ﴿ رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي ﴾؛ أي فيما صدر عني من ترك الأفضل، ويحتمل أنه عندما دعا على الكفار، إنما دعا عليهم بسبب تأذِّيه منهم، فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام، فاستغفر عن ذلك لما فيه من طلب حظِّ النفس"[٢] .

كما أنه استغفر لوالديه وكانا مؤمنين، كما أورد المفسِّرون، وقال بعضهم يريد أباه وجدَّه. يقول القرطبي: "قال الكلبي: كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمنون. وقال ابن عباس: لم يكفر لنوح والد فيما بينه وبين آدم عليهما السلام"[٣] . كما دعا للمؤمنين والمؤمنات بالمغفرة في مقابل دعائه على الكافرين. وهكذا يتَّضح للمتأمِّل أن سورة نوح ختمت بالدعاء على الكافرين بالهلاك، وله ولوالديه وللمؤمنين بالمغفرة.

---

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٤٤.

(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٤٦/٣٠.

(٣) القرطبي، مرجع سابق، ٢٧٠/٢١.

ويورد ابن عاشور بين أغراض سورة نوح الدعاء، فيقول: "ودعوة نوح على قومه بالاستئصال ... ودعاء نوح بالمغفرة له وللمؤمنين، وبالتبار للكافرين كلهم"(١) . وفي هذا صلة قوية وعلاقة وثيقة واضحة بين خاتمة السورة ومقصودها.

علاقة خاتمة سورة الجنّ بمقصودها:

خُتمت سورة الجنّ بحديث عن الرسل وارتضاء الله لهم، وأنه خصَّهم بشيء من الغيب، وحرسهم بالملائكة. يقول الزمخشري في تفسير قوله سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ ﴾ (الجنّ: ٢٦ – ٢٧)، "فلا يطلع، و﴿ مِن رَّسُولٖ ﴾ تبيين لمن ارتضى؛ يعني: أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى، وفي هذا إبطال للكرامات؛ لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل"(٢) . وإطلاع الله رسله على الغيب، إنما يكون مدًّا لهم بالمعجزات تأييداً لهم وتعضيداً لدعوتهم. يقول القرطبي: "قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدَّح سبحانه بعلم الغيب، واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أن لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم، ودلالة صادقة على نبوتهم، وليس المنجِّم ومن ضاهاه"(٣) .

---

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٨٦/٢٩.

(٢) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٤٩.

(٣) القرطبي، مرجع سابق، ٢٠٨/٢١.

وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ يقول الفخر الرازي: "فالمعنى أنه يسلك من يدي من ارتضى للرسالة ومن خلفه رصداً؛ أي حفظة من الملائكة يحفظونه من وساوس شياطين الجنّ وتخاليطهم، حتى يبلّغ ما أوحي به إليه، ومن زحمة شياطين الإنس حتى لا يؤذونه ولا يضرُّونه"(١) .

وتشتمل الآية التي تلت هذه الآية على بيان غرض أخر من إرسال الملائكة من بين أيدي الرسل ومن خلفهم، وهو التأكُّد من إنفاذ ما أمروا به من تبليغ الدعوة. والتأكُّد هنا أمر ليس مقصوداً على حقيقته؛ لأن علم الله بذلك سابق بلا شك. ويقول مقاتل قي تفسير الآية: ﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾: "يقول ليعلم مُحَمَّد ﷺ أن الأنبياء قبله قد حفظت وبلَّغت قومهم الرسالة، كما حفظ مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وبلَّغ الرسالة"(٢) . ويرى مفسِّرون آخرون أن العلم المراد هو علم الله على ظاهر الآية لا علم الرسول ﷺ، وهو علم مطلوب لا ينافي علم الله السابق، ومثله في القرآن وارد. يقول ابن عاشور: " والمراد: ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالات الله، وأدَّوا الأمانة علماً يترتَّب عليه جزاؤهم الجزيل"(٣) .

وعن مقصود سورة الجن يقول البقاعي: "مقصودها إظهار الشرف لهذا النبي الكريم الفاتح الخاتم ﷺ، حيث ليَّن له قلوب الإنس والجن وغيرهما فصار مالكاً لقلوب المجانس وغيره؛ وذلك لعظمة هذا القرآن،

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٦٩/٣٠.
(٢) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، ٤٦٧/٤.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩، ٢٥٠.

ولطف ما له من غريب الشأن"[١] . ولهذا علاقة بقوله سبحانه: ﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾، فهذا النبي الذي قصدت السورة إظهار الشرف له هو الرسول المرتضى الذي خصَّه الله بشيء من علم الغيب، وسلك من بين يديه ومن خلفه ملائكة يحفظونه بأمر الله من شياطين الجن والإنس.

علاقة خاتمة سورة المزَّمِّل بمقصودها:

خُتمت سورة المزَّمِّل بآية طويلة تناولت الإخبار بعلم الله بالتزام النبي ﷺ وطائفة من الذين معه قيام الليل على الوجه الذي أمروا به في مطلع السورة، ولم يكن يخلو من شيء من المشقَّة، وتناولت أيضاً الإخبار بأن الله رفع عنهم الأمر هذا، ورخَّص لهم قيام ما تيسر لهم. ثم اشتملت الآية على الأسباب التي سوَّغت هذا التخفيف، والتي كانت قد أحدثت مشقة القيام، وانتهت الآية بأوامر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وإقراض الله قرضاً حسناً واستغفاره.

يقول مقاتل في قوله سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾: "ذلك أن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يقومون في أول الإسلام من الليل نصفه وثلثه، وهذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس، فقاموا سنة فشقَّ ذلك عليهم، فنزلت الرخصة بعد ذلك عند السنة"[٢] . ويقول أبو حيان في تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ ﴾:

(١) البقاعي، نظم الدرر، ٢٠/٤٦٠.

(٢) مقاتل بن سليمان، مرجع سابق، ٤/٤٧٨.

"وتقدير الزمان حقيقة إنما هو لله تعالى والبشر لا يحصون ذلك؛ أي لا يطيقون مقادير ذلك، فتاب عليهم؛ أي رجع بهم من الثقل إلى الخفة وأمرهم بقيام ما تيسَّر"(١) . وهذا سبب من أسباب التخفيف؛ أي كونهم لا يطيقون هذه المقادير.

ثم ذكر بعد ذلك بقية أسباب التخفيف، يقول الشوكاني: "﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ﴾ ، فلا يطيقون قيام الليل، ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ أي يسافرون فيها للتجارة والأرباح يطلبون من رزق الله ما يحتاجون إليه في معاشهم، فلا يطيقون قيام الليل، ﴿ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾؛ يعني المجاهدين فلا يستطيعون قيام الليل"(٢) . وهذه أسباب ثلاثة اقتضت الترخيص في قيام الليل، فرفع بها قيام الليل عن جميع الأمة لأجل هذه الأعذار التي قد تنوب بعضهم. ويذكر الشوكاني تفسير الآية، فيقول: "ثم ذكر ما يفعلونه بعد هذا الترخيص، فقال: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ ، والتكرير للتأكيد، ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾؛ يعني المفروضة، وهي الخمس لوقتها، ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾؛ يعني الواجبة في الأموال، ... ﴿ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾؛ أي أنفقوا في سبيل الخير من أموالكم إنفاقاً حسناً"(٣) .

وهذه كما يُلاحظ أوامر بأعمال الخير من الصلاة والزكاة والإقراض الحسن التي وعد الله سبحانه بجزائها بأفضل منها، إذ يقول: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾، يقول الطبري: "ما تقدّموا

(١) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٥٨/٨.
(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٢٢/٥.
(٣) المرجع السابق.

أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله ... تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيراً لكم مما قدَّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثواباً"[١] . وفي تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾يقول الشوكاني: "﴿ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ ﴾؛أي اطلبوا منه المغفرة لذنوبكم، فإنكم لا تخلون من ذنوب تقترفونها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾؛أي كثير المغفرة لمن استغفره، كثير الرحمة لمن استرحمه"[٢] .

يقول البقاعي عن مقصود سورة المزَّمِّل: "مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال الثقال، ولا سيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرُّد في خدمته في ظلمات الليال، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال"[٣] . ويتمثَّل قوله: (محاسن الأعمال) فيما جاء في آية الخاتمة من حضٍّ على قراءة القرآن، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والإنفاق في سبيل الله الذي عبَّرت عنه الآية بقوله سبحانه: ﴿ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ ﴾، وطلب الاستغفار من الذنوب. وفي قوله: (التجرُّد لخدمته في ظلمات الليال) علاقة بما جاء في الآية من ذكر لقيام الليل بفتراته المختلفة. وثمة علاقة وثيقة بين قوله: (فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال) وقوله سبحانه: ﴿ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ ﴾، وهذه أوجه واضحة للعلاقة بين خاتمة السورة ومقصودها.

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٩٩/٧.
(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٢٣/٥.
(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١/٢١.

علاقة خاتمة سورة المدَّثِّر بمقصودها:

ختمت سورة المدَّثِّر بآيات بيَّنت حقيقة القرآن ردًّا على مزاعم المشركين عنه بأنه سحر أو أنه قول البشر، وإعراضهم عنه، فقال سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾ (المدَّثِّر: ٥٤)، يقول الطبري في تفسير الآية: "يعني جلَّ ثناؤه بقوله: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ﴾، ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله سبحانه لخلقه، ذكرهم به"(١) . وكأنما يريد جلّ شأنه – وهو أعلم بما يريد – من القرآن أن يكون تذكرة ووعظاً لخلقه بما حواه من حقائق الإيمان، والدعوة إلى فضائل الأعمال مع التذكير الدائم الذي يتخلل آياته بحقيقة يوم القيامة ومبدأ الحساب وتقرير الثواب أو العقاب بحسب ما يشاء الفرد مما يقبل عليه، أو يعرض عنه.

وعن قوله سبحانه: ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾، يقول الطبري: "يقول الله تعالى ذكره: فمن شاء من عباد الله الذين ذكَّرهم الله بهذا القرآن ذكره، فاتَّعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه"(٢) . وظاهر المعنى أن أمر الذكر ينعقد بمشيئة العبد على التخيير، غير أن الآية التالية تضمَّنت الإشارة إلى حقيقة المشيئة بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾. يقول الألوسي: "وما يذكرون بعلَّة من العلل، أو في حال من الأحوال إلا أن يشاء الله تعالى، أو حال أن يشاء الله ذلك، وهذا تصريح بأن أفعال العباد بمشيئة الله عزَّ وجلّ بالذات أو بالواسطة"(٣).

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٠٨/٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الالوسي، مرجع سابق، ٨٨/٢٨.

ثم خُتمت السورة في الآية الأخيرة بتعظيم الله سبحانه، وبيان أنه حقيق بأن يُتَّقى، وأنه حقيق كذلك بأن يغفر لعباده ما اقترفوه من الذنوب كيف يشاء، فقال سبحانه: ﴿ **هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ** ﴾. يقول الزمخشري: "هو حقيق بأن يتَّقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا، وحقيق بأن يغفر لهم إذا آمنوا وأطاعوا"[(١)] . وفي الحديث: **[عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ، أنه قال في هذه الآية: ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾: قال: قال الله عزَّ وجلَّ: أنا أهل أن أتّقى، فمن اتَّقاني فلم يجعل معي إلهاً فأنا أهل أن أغفر له]**[(٢)]. ولعل المعنى المراد، أن من شاء الله له أن ينتفع بتذكرة القرآن، فاتَّعظ فاتقى الله، كافأه بالمغفرة.

يقول البقاعي عن مقصود سورة المدَّثِّر: "مقصودها الجدُّ والاجتهاد في الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار، وإثبات البعث في أنفس المكذِّبين الفجّار، والإشارة بالبشارة لأهل الاذِّكار بحلم العزيز الغفّار"[(٣)] . ولعل وجهاً من أوجه العلاقة بين الخاتمة والمقصود يتَّضح في قول البقاعي: (أهل الاذِّكار) الذي يتصل من حيث المعنى بقوله سبحانه: ﴿ **فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ** ﴾، وقوله (حلم العزيز الغفار) الذي يشير إلى قوله سبحانه: ﴿ **وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ** ﴾ ، والذي هو البشارة المرادة، والله أعلم.

---

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٥٩.

(٢) الترمذي، الجامع الكبير، كتاب فضائل القرآن، باب: ومن سورة المدثر، ٣٥٥/٥.

(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٩/٢١.

علاقة خاتمة سورة القيامة بمقصودها:

خُتمت سورة القيامة بإعادة الحديث عن موضوع إنكار المشركين البعث الذي كان قد ورد في مطلع السورة في قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣)، ثم أعقب ذلك إقامة الدليل على البعث بتذكير الإنسان بخلقه الأول. وقد جاء إعادة الحديث عن إنكار المشركين البعث في قوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (القيامة: ٣٦)، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: أيظنُّ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملاً، ألا يؤمر ولا ينهى، ولا يتعبَّد بعبادة"[١] . وفي هذا التفسير للآية إنكار للتكليف، لكن ثمة تفسير آخر للآية يورده الألوسي، فيقول: "وقيل المعنى: أيحسب أن يترك في قبره كذلك أبداً لا يبعث"[٢] ، والإنكار للبعث هنا واضح.

وعن خطل إنكار البعث ومجافاته للتفكير السليم، والمنطق العقلي الواضح يفسّر ابن عاشور الآية، فيقول: "فإن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ... ووهبه القوى العقلية ... ليستعملها في منافع لا تنحصر، أو في ضد ذلك من مفاسد جسيمة، فلا يليق بحكمته أن يهمله مثل الحيوان ... فلو أهمله لفاز أهل الفساد في عالم الكساد، ولم يلاقِ الصالحون من صلاحهم إلا الأنكاد"[٣] .

ثم شرعت الآيات في الاستدلال على البعث بحجة الخلق الأول، وقدرة صاحبه سبحانه على إعادته، فجاءت الآية: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴾ (القيامة: ٣٧)، يقول الطبري في تفسير هذه الآية:"يقول تعالى ذكره: ألم يك هذا المنكر قدرة الله تعالى على إحيائه من بعد مماته وإيجاده من بعد فنائه، (نطفة)؛ يعني: ماء قليلاً قي

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤١٦/٧.
(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٣٤٢/٢٨.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٦٥/٢٩-٣٦٦.

صلب الرجل من منيّ"[١] . واقتضى الحديث عن بداية خلق الإنسان بوصفه دليلاً على قدرة الله على إعادة هذا الخلق، أن تكون البداية بالطور الأول ليبيّن سبحانه لمنكر البعث أطوار خلقه، فأعقب ذلك بالحديث عن الطور الثاني، فقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾ (القيامة: ٣٨)، ويفسِّر ذلك الطبري فيقول: "يقول تعالى ذكره: ثم كان دماً من بعد ما كان نطفة، ثم علقة، ثم سوّاه بشراً سويًّا ناطقاً سميعاً بصيراً، ﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴾ (القيامة: ٣٩)، يقول تعالى ذكره: فجعل من هذا الإنسان بعدما سوَّاه خلقاً سويًّا أولاداً له ذكوراً وإناثاً"[٢] .

ثم جاء في الآية الأخيرة السؤال المنطقي المنبني على الاستدلال السابق على قدرة الله على إعادة الخلق، فقال سبحانه: ﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (القيامة: ٤٠)، يقول ابن عاشور في هذه الآية: "الجملة واقعة موقع النتيجة من الدليل؛ لأن خلق الإنسان من عدم، وهو أمر ثابت بضرورة المشاهدة، أحق بالاستبعاد من إعادة الحياة للجسم بعد الموت"[٣] .

يذكر ابن عاشور أغراض سورة القيامة، فيقول: "اشتملت على إثبات البعث"[٤] ، ولعل المتأمَّل في آيات الخاتمة يجد أن موضوعها الأساسي كان إثبات البعث بدليل أن الذي خلق الإنسان لم يكن ليتركه مهملاً بلا تكليف، ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب، فيستوي بذلك المحسن والمسيء. ودليل آخر هو أن من خلق الإنسان

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤١٧/٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٦٨/٢٩.
(٤) المرجع السابق، ٣٣٧/٢٩.

ابتداءً في هذه الأطوار الدقيقة حتى صار إنساناً سويًّا، لم يكن ليعجزه إعادة الروح إلى جسده البالي، بل هو عليه أهون.

علاقة خاتمة سورة الإنسان بمقصودها:

خُتمت سورة الإنسان بثلاث آيات تضمَّنت ثلاثة معانٍ، هي: أن هذه السورة تذكرة للخلق تبين لهم سبيلي الرشاد والغيّ بما تضمَّنته من بيان أحوال السعداء وأحوال الأشقياء؛ ليتَّخذ كل فرد سبيله في ضوء معرفته بمآلات هذا السبيل ونهاياته، مع ذكر سبيل الرب تحبيباً فيه دون ذكر السبيل الآخر تبغيضاً فيه. والمعنى الثاني أن مشيئة العبد في اختيار ما يريد من السبيلين إنما هي رهن بمشيئة الله سبحانه بما له من العلم المحيط بكل شيء، وما له من الحكمة البالغة في إرادة ما يريد. والمعنى الثالث هو أنه سبحانه بيده مآلات الخلق من رحمة أو عذاب وفق مشيئته.

يقول الفخر الرازي في تفسير قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ (الإنسان: ٢٩)، "والمعنى أن هذه السورة بما فيها من الترتيب العجيب والنسق البعيد والوعد والوعيد والترغيب والترهيب، تذكرة للمتأمِّلين وتبصرة للمستبصرين، فمن شاء الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتَّخذ إلى ربه سبيلاً، واتِّخاذ السبيل إلى الله عبارة عن التقرب إليه"(١) .

ويقول القرطبي في تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ (الإنسان: ٣٠)، ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ ﴾؛ أي الطاعة والاستقامة واتِّخاذ السبيل إلى الله ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾،

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٣٠/٢٦١-٢٦٢.

فأخبر أن الأمر إليه سبحانه وليس إليهم، وأنه لا تنفذ مشيئة أحد ولا تتقدَّم إلا أن تتقدم مشيئته سبحانه، ... ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأعمالكم ﴿حَكِيمًا﴾ في أمره ونهيه لكم"[١] .

ثم بيَّنت الآية الأخيرة مآلات كل فرد بما اختار، وبما اقتضته مشيئة الله وحكمته، فقال سبحانه: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ (الإنسان: ٣١)، يقول الألوسي: "﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾؛ أي يدخل سبحانه في رحمته من يشاء أن يدخله فيها، وهو الذي علم فيه الخير حيث يوفِّقه إلى ما يؤدّي إلى دخوله الجنَّة من الإيمان والطاعة، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾؛ أي لأنفسهم، وهم الذين علم فيهم الشر ﴿أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ متناهياً في الإيلام"[٢] .

ويقول البقاعي عن مقصود سورة الإنسان: "مقصودها ترهيب الإنسان بما دلَّ عليه آخر القيامة من العرض على الملك الديان، بتعذيب العاصي في النيران وتنعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلائق كلها الإنس والملائكة والجان، وغير ذلك من الحيوان"[٣] . وواضح الارتباط بين قول البقاعي (بتعذيب العاصي في النيران وتنعيم المطيع في الجنان) بقوله سبحانه: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ (الإنسان: ٣١)، وهو ما يمثِّل وجهاً من وجوه العلاقة بين خاتمة السورة ومقصودها.

---

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٤٩٢/٢١.

(٢) الألوسي، مرجع سابق، ١٧٠/٢٨.

(٣) البقاعي، نظم الدرر،١٢٠/٢٨.

علاقة خاتمة سورة المرسلات بمقصودها:

خُتمت سورة المرسلات بالإخبار عما للمتَّقين في الآخرة من الكرامة والسعادة جزاءً على اتّباعهم الرسول ﷺ، والإيمان بما جاء به من القرآن، وذلك في مقابل تهديد المشركين وتوعُّدهم بما ينتظرهم جرّاء تكذيبهم بالقرآن وبيوم الدين، والواقع أن السورة كلها تقريع للمشركين على شركهم، فقال سبحانه في بداية آيات الخاتمة: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ (المرسلات: ٤١)، يقول الشوكاني في تفسير الآية: "أي في ظلال الأشجار وظلال القصور لا كالظل الذي للكفار من الدخان أو من النار. قال مقاتل والكلبي: المراد بالمتَّقين الذين يتَّقون الشرك بالله"[١] .

واستمرت الآيات في بيان حال المتَّقين، فجاءت الآية: ﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ (المرسلات: ٤٢)، يقول الطبري: "يأكلون منها كلما اشتهوا لا يخافون ضرها ولا عاقبة مكروهها"[٢] . كما يقول الطبري أيضاً في قوله سبحانه: ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (المرسلات ٤٣): "يقول تعالى ذكره: يقال لهم كلوا أيها القوم من هذه الفواكه واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم ﴿ هَنِيٓـًٔۢا ﴾ لا تكدير عليكم ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم لا يزول"[٣] . ويأتي في ختام بيان هذه الحالة الآية الكريمة: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى

---

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٦٠/٥.

(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٣٦/٧.

(٣) المرجع السابق.

﴿ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المرسلات: ٤٤)، يقول الألوسي في تفسير هذه الآية: "﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ ﴾؛ أي مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ لا جزاء أدنى منه، والمراد بالمحسنين المتَّقون"(١) .

وبعد أن أتت الآيات على ذكر حال المحسنين، أعقبتها آية:﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات: ٤٥)، التي تتكرر كثيراً في هذه السورة، ويفسِّرها بعض المفسِّرين في كل مرة بحسب ما يسبقها من المعاني. يقول الطبري: "يقول: ويل للذين يكذِّبون خبر الله عما أخبرهم به من تكريمه هؤلاء المتَّقين بما أكرمهم به يوم القيامة"(٢) . ثم تحوَّلت الآيات لخطاب المشركين بالتهديد والوعيد، فقال سبحانه: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ (المرسلات: ٤٦)، يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "الأمر في قوله:﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ مستعمل في الإمهال والإنذار؛ أي ليس أكلكم وتمتعكم بلذات الدنيا بشيء؛ لأنه تمتُّع قليل، ثم مأواكم العذاب الأبدي، وجملة: ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ خبر مستعمل في التهديد والوعيد بالسوء؛ أي إن إجرامكم مهوٍ بكم إلى العذاب "(٣) .

وقوله سبحانه: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات ٤٧) مرتبط هنا بمعنى الآية السابقة بحسب تفسير الطبري، إذ يقول: "يقول تعالى ذكره: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ الذين كذَّبوا خبر الله الذي أخبرهم به

(١) الألوسي، مرجع سابق، ١٩٣/٢٨.
(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٣٧/٧.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٤٤٥/٢٩.

عما هو فاعل بهم في هذه الآية"[١] . ثم تحول الأمر في الآية التالية من الخطاب المباشر للمشركين إلى وصف حالهم في الدنيا الذي استحقُّوا بموجبه مصير العذاب والنكال في الآخرة، وهو قوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ﴾ (المرسلات: ٤٨).

يقول البغوي في تفسير الآية: "وإذا قيل لهم: صلُّوا لا يصلُّون، وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون"[٢] . ثم جاءت بعدها آية: ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات: ٤٩)، وفي تفسيرها في هذا الموضع يقول الطبري: "يقول: ويل للذين كذَّبوا رسل الله، فردُّوا عليهم ما بلَّغوا من أمر الله إياهم ونهيه لهم"[٣] . وجاءت الآية الأخيرة في السورة في صيغة استفهام إنكاري: ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (المرسلات: ٥٠)، يقول ابن عاشور: "والاستفهام مستعمل في الإنكار التعجيبي من حالهم؛ أي إذا لم يصدِّقوا بالقرآن مع وضوح حجَّته فلا يؤمنون بحديث غيره. والمقصد أن القرآن بالغ الغاية في وضوح الدلالة ونهوض الحجة، فالذين لا يؤمنون به لا يؤمنون بكلام يسمعونه عقب ذلك"[٤] .

وعن مقصود سورة المرسلات يقول البقاعي: "مقصودها الدلالة على آخر الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وإحياء العباد"[٥] . وثمة علاقة واضحة بين قول البقاعي هنا: (إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم)، وآيات الخاتمة التي عددت ألوان

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٣٧/٧.
(٢) البغوي، مرجع سابق، ٣٠٨/٨.
(٣) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٣٨/٧.
(٤) ابن عاشور، مرجع سابق، ٤٤٧/٢٩-٤٤٨.
(٥) البقاعي، نظم ا لدرر، ١٦٤/٢١.

التنعُّم والسعادة التي أعدها الله سبحانه لعباده المحسنين، كما اشتملت على التهديد والوعيد الشديدين للمكذبين بدعوة الرسول ﷺ.

ولعلَّ المتأمِّل فيما جاء في هذا المبحث من بيان أوجه العلاقات، ووشائج الارتباط بين خواتيم السور ومقاصدها، يدرك مدي الالتحام والانسجام بين المعاني المتضمَّنة في خاتمة كل سورة من سور جزء تبارك ومقاصدها – بل في أجزاء القرآن كلها – التي استنبطها المفسرون والعلماء المشتغلون باستجلاء مواضع التناسب البلاغي، ومواقع الاتِّساق والتناغم في معاني القرآن الكريم.

المبحث الرابع
علاقة مطلع السورة بخاتمتها

يُعدُّ مبحث تناسب مطلع السورة بخاتمتها من المباحث الدقيقة التي تنبئ عن التآلف والاتساق العجيب بين معاني السورة الواحدة، وهو شبيه بما يسمى في البلاغة (رد الأعجاز على الصدور) الذي يكون في الجملة أو الجمل أو البيت الشعري الواحد. غير أن تناسب المطالع والخواتيم يكون في السورة كاملة. وقد عُدَّ هذا التناسب من أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم. يقول محقق كتاب (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع): "وهناك تناسب آخر عجيب في القرآن، وهو ما يرى من التآلف والتعانق بين مطلع السورة وختامها تآلفاً وتعانقاً يأخذ بالألباب، وينبئ عن سبيل من سبل الإعجاز البياني للقرآن"(١).

والمناسبة بين المطلع والخاتمة قد تكون لفظية بحيث تُختتم السورة بتكرار لفظ أو ألفاظ مما ابتُدئت به، مع الحفاظ على تكرار المعنى نفسه. وقد تكون المناسبة معنوية أيضاً، وذلك بتكرار المعنى دون اللفظ بما يشبه الاختتام بتأكيد الابتداء. وقد تكون معنوية بالتضاد بين المعنيين كإثبات معنى في المطلع ونفيه في الخاتمة، أو وعد في المطلع ووعيد في الخاتمة، أو توبيخ وثناء، ونحو ذلك.

وستنظر الباحثة في مطلع كل سورة من سور جزء تبارك وخاتمتها؛ لتلمَّس ما يظهر لها فيها من علاقة لفظية أو معنوية وفق المعاني المستخلصة من أمهات التفاسير، وستستعين – بعد الله سبحانه – بالمؤلفات التي عُني أصحابها ببيان أوجه التناسب بين مطالع السور وخواتيمها.

---

(١) السيوطي، جلال الدين، مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، قرأه وتمَّمه: عبد العزيز العسكر، ط١، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٦هـ)، ص١٤.

علاقة مطلع سورة الملك بخاتمتها:

افتُتحت سورة الملك بقوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك ١)، وهو افتتاح يتضمَّن معنى إسناد الرفعة والتعالي لله سبحانه، وتنزيهه عن صفات المخلوقين. يقول الطبري في تفسير الآية: "يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿ تَبَٰرَكَ ﴾ تعاظم وتعالى ﴿ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ ، بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما، نافذ فيهما أمره وقضاؤه. ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾، يقول: وهو على ما يشاء فعله ذو قدرة لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه عجز"(١) . ولعل المعنى الجامع في هذه الآية يتجلَّى في نهايتها في قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، إذ إن التعاظم والتعالي سببه التفرُّد بالصفات العلى التي من أعظمها القدرة غير المحدودة على كل شيء مما يخطر ببال الإنسان وما لا يخطر، وهي بعدُ التي جعلت جماع الملك المطلق بيده سبحانه.

ثم يأتي من بعد ذلك قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك ٢). يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "وقوله: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ ﴾ فأمات من شاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾، يقول: ليختبركم فينظر أيكم له أيها الناس أطوع، وإلى طلب رضاه أسرع، وهو القوي الشديد انتقامه ممن عصاه وخالف أمره، الغفور ذنوب من أناب إليه وتاب من ذنوبه"(٢) . وتدخل هذه الآية أيضاً تحت ما وصفناه بالمعنى الجامع في الآية السابقة؛ أي معنى القدرة المطلقة؛ إذ إن خلق الموت والحياة من

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٣٥/٧.
(٢) المرجع السابق.

أوضح آثار القدرة. ثم إن في قوله: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ ، معنى اختبار الخلق لمعرفة درجات اتّباعهم وإعراضهم — وعلمه سبحانه بها سابق — فيجازيهم بحسب تفاوتهم في ذلك.

وبإمعان النظر فيما تضمنته آيات الخاتمة من معانٍ يتَّضح أنها تشتمل على المعاني نفسها التي وردت في المطلع، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الملك: ٢٩)، وفي تفسير الآية يقول الشوكاني: "منا ومنكم، وفي هذا تهديد شديد مع إخراج الكلام مخرج الإنصاف"[١] . ويتضمن هذا التفسير معنى يتَّصل بمعنى ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ﴾، فإذا كان في آية المطلع هذه إخبار عن الابتلاء والاختبار في الحياة الدنيا لمعرفة المهتدي من الضال، ففي آية الخاتمة بيان النتيجة في يوم البعث. وثمة علاقة متينة بين قوله سبحانه في مطلع السورة: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وقوله في خاتمتها: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ (الملك: ٣٠)، والسؤال هنا على وجه الإفهام، إذ إن ردَّه المتوقع أن يقولوا: (الله)، فيكون السؤال التالي: فكيف تسوُّون بين من يخلق ولا يخلق؟ يقول السيوطي: "بدئت بوصف القدرة وختمت بمعناه، وهو عجز الخلق في قوله سبحانه: ﴿ فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ "[٢] . ويقول البقاعي كذلك في الابتداء ببيان القدرة والختام بها: "ولما افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته وتمام قدرته، وتفرُّده في مملكته، ودلَّ على ذلك بتفرده بالإماتة والإحياء، ختم بمثل ذلك بالماء الذي وجوده هو سبب للحياة، وعدمه سبب للموت"[٣] .

---

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٢٦٥/٥.

(٢) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٣.

(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٧١/٢٠.

علاقة مطلع سورة القلم بخاتمتها:

افتُتحت سورة القلم بالقسم بنون والقلم اللذين رجَّح أكثر المفسرين أن المراد بهما حرف النون والقلم الذي يسجِّل به الملائكة الكرام أعمال العباد. أما المُقسّم عليه فهو نفي ما رمى به المشركون الرسول ﷺ من الجنون، وإثبات الأجر غير المنقطع ولا المُكدَّر بالمنّ، وإثبات رفعة الخُلُق وعظمته له عليه الصلاة والسلام. ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤ ﴾ (القلم: ١ – ٤)، يقول ابن عاشور: "وأوثر القسم بالقلم والكتابة للإيماء إلى أن باعث الطاعنين على الرسول ﷺ واللامزين له بالجنون، إنما هو ما أتاهم من الكتاب"[١] . ولعل في الآيتين الأخيرتين من السورة: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢ ﴾ (القلم ٥١ – ٥٢)، ردّاً على ادَّعاء المشركين جنون الرسول ﷺ بسبب ما جاءهم به من القرآن. وهو ردٌّ يتضمَّن بياناً لحقيقة القرآن.

يقول الألوسي: "﴿ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ ﴾؛ أي وقت سماعهم القرآن؛ وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه، ﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ لغاية حيرتهم في أمره عليه الصلاة والسلام، ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من عجائب الحكم وبدائع العلوم، ولتنفير الناس عنه: ﴿ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴾"[٢] . ويقول المراغي في تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾:" أي يقولون ما قالوا، وما هو إلا تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم،

(١) ابن عاشور،مرجع سابق، ٦١/٢٩.
(٢) الألوسي، مرجع سابق، ٧٠/٢٧.

أفيكون من أنزِل عليه مثل هذا، وهومطَّلع على أسراره، محيط بجميع حقائقه خبراً، ممن ينطبق عليه هذا القول الذي قالوا، أم يكون مثل هذا أدلَّ الدلائل على كمال الفضل والعقل"[١] ؟.

وتتضمنُّ هذه الآيات معنيين أساسيين، أحدهما: رمي المشركين الرسول ﷺ بالجنون بسبب حيرتهم في وصف ما جاء به من القرآن. والآخر ضلالهم عن حقيقة القرآن الذي هو تذكير لهم بوعد الجنة ووعيد النار. وبالنظر لهذين المعنيين يتَّضح أن المعنى الأول مضمَّن في المطلع في الآية الثانية من السورة: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾، وأن المعنى الآخر، وهو القسم بالقلم والكتابة بحسب تفسير ابن عاشور مضمَّن في الآية الأولى من السورة.

وفي علاقة مطلع سورة القلم بخاتمتها يقول السيوطي: "بدئت بقوله: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾، وختمت بقوله: ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٢] ، وفي قول السيوطي هذا إشارة إلى علاقة لفظية معنوية معاً بين المطلع والخاتمة.

علاقة مطلع سورة الحاقَّة بخاتمتها:

بدئت سورة الحاقَّة بقوله سبحانه: ﴿ ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ ﴾ (الحاقَّة: ١ – ٤)، يقول الشوكاني: "قال الواحدي: هي القيامة في قول كل المفسرين، وسميت بذلك لأنها ذات الحواقّ من الأمور، وهي الصادقة الواجبة الصدق، وجميع أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع

(١) المراغي، مرجع سابق، ٤٨/٢٩.
(٢) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٤.

والوجود"[١] . ويقول الزمخشري في معنى القارعة في قوله سبحانه: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾: "القارعة التي تقرع الناس بالأفزاع والأهوال، والسماء بالانشقاق والانفطار، والأرض والجبال بالدكِّ والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار"[٢] .

إذاً فالمطلع كله يدور حول تأكيد وقوع القيامة وحقيقتها بألفاظ تدل على أن لها أهوالاً وشدائد، ويتضمَّن أيضاً ضرب مثلٍ بأقوام كذَّبوا بوقوعها؛ تحذيراً لمشركي مكة من مغبة ما وقع على هؤلاء الأقوام من العذاب، ووعظاً لهم للعدول عن طريق الشرك والضلال.

وأما خاتمة السورة فقد اشتملت على آيات فيها أوصاف للقرآن وبيان لحقيقته: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾ (الحاقَّة ٤٨ – ٥١). يقول ابن عاشور في تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ فلما أبطل طعنهم في القرآن بأنه قول شاعر أو قول كاهن، أعقب ببيان شرفه ونفعه؛ إمعاناً في إبطال كلامهم بإظهار الفرق البيّن بينه وبين شعر الشعراء، وزمزمة الكهان، إذ هو تذكرة وليس ما ألحقوه به من أقوال أولئك من التذكير في شيء"[٣] . وفي هذه الآية بيان لنفع القرآن للمتقين بتذكيرهم بمواعظه حتى يظلُّوا سائرين على الهدى متباعدين عن الضلال. وفي قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ ﴾ بيان لموقف الكافرين من القرآن، إذ إنه حسرة عليهم في مقابل أنه تذكرة للمتقين؛ وذلك بسبب تكذيبهم به.

---

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٢٧٩/٥.

(٢) الزمخشري، ص١١٣٤.

(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٤٨/٢٩.

يقول المراغي: "مكذبين له بسب حبكم للدنيا وحسدكم للداعي، وإنا لنجازيكم على ذلك ... وإن هذا القرآن لحسرة عظيمة على الكافرين في دار الدنيا إذا رأوا دولة المؤمنين، وفي الآخرة إذا رأوا ثواب المصدِّقين، وإنه للحق الذي لا شك في أنه من عند الله لم يتقوَّله مُحَمَّد ﷺ"(١) .

وهذه الحقائق عن القرآن بأنه تذكرة للمتقين وحسرة على الكافرين، إنما تنكشف يوم القيامة حيث يجازى كل فريق بما فعل من إقبال على الدعوة وتصديق بالقرآن، أو إعراض عنها وتكذيب به. ولا شك أن في هذه الخاتمة اتّصالاً وثيقاً بما جاء في المطلع من ذكر الساعة، وتأكيد القيامة وبيان أهوالها.

ويقول السيوطي: "بدئت بالحاقة، وختمت بقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ "(٢) . وفي هذا إشارة إلى التناسب اللفظي بين (الحاقة) و(حق)، وتناسب معنوى في تأكيد الحقيقتين.

علاقة مطلع سورة المعارج بخاتمتها:

يشتمل مطلع سورة المعارج على إخبار بأن أحد مشركي مكة سأل الله أن ينزل بهم العذاب إن كان ما يدعو له الرسول ﷺ حقّاً من عنده سبحانه. وهو سؤال على سبيل الاستهزاء والتعجيز(٣). ويشتمل المطلع كذلك على تأكيد وقوع العذاب بهم، وأنه عذاب لا مانع ولا دافع له عنهم؛ لأنه إرادة الله بهم. ولما كان هذا المقام مقام إظهار قدرة الله وسطوته وجبروته، فقد جاءت الآيات بوصف لله بالعلو والرفعة، فقال سبحانه: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ ﴾ (المعارج: ١ – ٣)، يقول الطبري في

(١) المراغي، مرجع سابق، ٦٤/٢٩.
(٢) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٤.
(٣) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ١٥٤/٢٩.

تفسير الآيات:"سأل سائل من الكفار عن عذاب الله، بمن هو واقع؟ ... سأل بعذاب للكافرين واجب لهم يوم القيامة واقع بهم ... ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم. وقوله:﴿ ذِى ٱلْمَعَـارِجِ ﴾، يعني ذا العلو والدرجات والفواضل والنعم"[١] .

أما خاتمة السورة فقد جاء فيها قوله سبحانه: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ (المعارج: ٤٢)، يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية: "اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم، واشتغل بما أمرت به، ولا يعظمن عليك ما هم فيه، فليس عليك إلا البلاغ ﴿ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ وهو يوم القيامة"[٢] . وفي هذا تهديد ووعيد للكافرين بما ينتظرهم من الجزاء في يوم القيامة على تكذيبهم بالقرآن، وإعراضهم عن الدعوة.

كما جاء في الخاتمة وصف حالهم يوم القيامة ساعة خروجهم من القبور عند الصيحة: ﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾، يقول المراغي: "أي يوم يخرجون من قبورهم إذا دعاهم الداعي لموقف الحساب سراعاً يسابق بعضهم بعضاً، كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يبتدرون أيهم يستلمه قبل، مع خشوع الأبصار وذلتها لما تحققوا من العذاب"[٣] . وإذا كان المطلع قد اشتمل على سؤالهم التهكُّمي عن العذاب فها هي الخاتمة تخبرهم عن حالهم حين يتحققون وقوعه في ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُواْ

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٦٧/٧.
(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٢٩٥/٥.
(٣) المراغي، مرجع سابق، ٧٧/٢٩.

﴿ يُوعَدُونَ ﴾. وبهذا يتحقق ارتباط وثيق بين المطلع والخاتمة في السؤال عن العذاب وتأكيد أنه واقع بهم لا محالة في مطلع السورة، وبيان حالهم حين يدعون إلى الحساب في يوم القيامة الذي يقع فيه عذابهم بالفعل في خاتمة السورة.

ويقول السيوطي قي تناسب مطلع السورة وخاتمتها: "بدئت بالوعد بيوم القيامة وختمت به"[١] . وعن اشتمال مطلعها وخاتمتها كلاهما على ذكر يوم القيامة يقول الغماري: "فتحت السورة بذكر يوم القيامة: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ وختمت به أيضاً: ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾ فتناسب مطلعها ومقطعها"[٢] .

علاقة مطلع سورة نوح بخاتمتها:

افتتحت سورة نوح بالإخبار عن إرسال الله سبحانه رسوله نوحاً إلى قومه لينذرهم من عذاب أليم إن هم أعرضوا عن دعوته؛ ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾، والمراد بهذا العذاب عذاب النار في الآخرة في رأي بعض المفسرين، أو ما وقع عليهم من الإغراق بالطوفان في رأي بعضهم الآخر. يقول الماوردي: "فيه وجهان أحدهما: عذاب النار في الآخرة، ... . الثاني: عذاب الدنيا، وهوما ينزل عليهم بعد ذلك من الطوفان ... وكانوا يضربونه حتى يغشى عليه فيقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون"[٣] . وعند الربط بين المطلع والخاتمة لابد من استصحاب الوجهين. فبالنظر في بعض ما اشتملت عليه الخاتمة من المعاني

(١) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٤.
(٢) الغماري، مرجع سابق، ص١٣٢.
(٣) الماوردي، مرجع سابق، ٩٨/٦.

تتَّضح صلة متينة بين ذكر العذاب في المطلع وذكره في الخاتمة في قوله سبحانه: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴾ (نوح: ٢٥)، يقول السيوطي: "بدئت بالوعيد بالعذاب، وختمت به في قوله: ﴿ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾"[١]. وإذا ما تأمل القارئ هذه الآية استطاع أن يلمح أن العذاب مراد به كلا عذابي الدنيا والآخرة، فالأول في قوله: ﴿ أُغْرِقُواْ ﴾ الذي وقع في الدنيا بالطوفان، والآخر في قوله: ﴿ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾، وهو ما ينتظرهم يوم القيامة. ولعله جاء بصيغة الماضي على سبيل تحقُّقه الأكيد، والله أعلم.

واشتمل مطلع السورة أيضاً في عدد من آياته على إظهار دأب نوح عليه السلام في الدعوة وحرصه البالغ على أن يستجيب قومه لها، في مقابل إعراضهم الشديد عنها وإصرارهم على الكفر: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: "إلى توحيدك وعبادتك، وحذرتهم بأسك وسطوتك، ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ يقول: فلم يزدهم دعائي إياهم إلى مادعوتهم إليه من الحق الذي أرسلتني به لهم إلا إدباراً عنه وهرباً منه وإعراضاً عنه"[٢] . وتضمَّنت هذه الآية معنى حرص نوح عليه السلام على استمرار الدعوة، وإصرار قومه على الإعراض.

---

(١) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٥.

(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٧٨/٧.

ثم جاءت الآية التالية لها لتبيّن في وصف دقيق هذا الإصرار العجيب على الكفر وصمّ الآذان عن الدعوة: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾، يقول الغرناطي: "ثم مضت أي السورة على هذا المنهج من تجريد الإخبار بطول مكابدته عليه السلام، وتكرار دعائه، فلم يزدهم ذلك إلا بعداً وتصميماً على كفرهم حتى أخذهم الله وأجاب فيهم دعاء نبيهم"(١). وكان نوح عليه السلام على الرغم من عصيانهم له، وأذاهم إياه، يطلب لهم المغفرة من الله كما أوردت بعض التفاسير أنه كان يقول: رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون(٢). ولكن نوحاً عليه السلام لما يئس منهم انقلب دعاؤه لهم إلى دعاء عليهم: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦)، وقد سبَّب دعاؤه لهم بالغفران بأنهم لا يعلمون، أما لما دعا عليهم بالهلاك سبَّب ذلك بأنهم: ﴿ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح ٢٧)، وقد أوحى له الله بذلك. ويمثّل هذا وجه ارتباط بين مطلع السورة وخاتمتها، بأن دعا لهم في المطلع وهو يأمل في هدايتهم، ثم دعا عليهم في الخاتمة وهو يائس منهم كل اليأس.

علاقة مطلع سورة الجنّ بخاتمتها:

افتتحت سورة الجنّ بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ (الجنّ: ١)، وفي هذا الافتتاح خطاب للرسول ﷺ بأن يخبر قومه بما أوحى به إليه ربه من خبر الجنّ وشأن

(١) الغرناطي، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٢) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ٢١/٢٥٠.

استماعهم للقرآن والإيمان به؛ ولأن الخبر غريب وغير معتاد أن يستمع بشر حديث الجنّ ويعلم حقيقة إيمانهم، فقد كان أدعى إلى التصديق أن يذكر أنه عُلّمه وحياً. ولإلقاء الخبر على المسلمين وغيرهم ممن يتوجه إليهم الرسول ﷺ بالدعوة أهمية في إعلام الإنس أن دعوة الإسلام بالغة إلى العوالم الحاضرة أمامهم والمغيَّبة عنهم. يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "أمر الله رسوله ﷺ بأن يُعلِم المسلمين وغيرهم بأن الله أوحى إليه وقوع حدث عظيم في دعوته أقامه الله تكريماً لنبيه وتنويهاً بالقرآن، وهو أن سخَّر بعضاً من النوع المسمّى جنًّا لاستماع القرآن ... واهتدائهم إلى مقدار إرشاده إلى الحق ... والإيمان"(١) .

وبالنظر فيما اشتملت عليه خاتمة السورة من آيات، يأتي قوله سبحانه: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾. يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: "تعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصَّة لا كل مرتضى، وفي هذا إبطال للكرامات؛ لأن الذين تضاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل. وقد خصَّ الله الرسل من بين المرتضين بالاطِّلاع على الغيب وإبطال الكهانة والتنجيم؛ لأن أصحابهما أبعد شيء عن الارتضاء، وأدخله في السخط"(٢) .

أما وجه العلاقة والارتباط بين مطلع السورة وخاتمتها فيظهر في اشتمال المطلع على الإيحاء إلى النبي ﷺ بشيء من أمور الغيب الذي هو خبر استماع الجن للقرآن، واشتمال الخاتمة على أن الله سبحانه اختصَّ رسله المرتضين بإطلاعهم على الغيب الذي هو من خصوص علمه. يقول البقاعي: "وقد التقى أول السورة وآخرها، وباطنها الغيبي وظاهرها، فدلَّ آخرها على أولها المجمل، وأولها على الآخر المفصَّل، وذلك أن أول السورة بيَّن عظمة

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢١٨/٢٩.

(٢) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٤٩.

الوحي بسبب الجن، ثم بيَّن في أثنائها حفظه من مسترقي السمع، وختم بتأكيد حفظه وحفظ جميع كلماته"[١] .

ويرى السيوطي أيضاً أن العلاقة بين المطلع والخاتمة إنما تتضح في ذكر الوحي، إذ يقول: "بدئت بالوحي، وختمت بذكره"[٢] .

علاقة مطلع سورة المزَّمِّل بخاتمتها:

بدئت سورة المزَّمِّل بقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ (المزَّمِّل: ١ – ٤)، وتتضمن آيات المطلع هذه خطاب ملاطفة للرسول ﷺ بصفته التي كان عليها ساعة نزول جبريل عليه السلام بالسورة عليه. وتتضمن أمراً بقيام الليل بتخيير في مدته فيه سعة كبيرة. وتتضمن كذلك أمراً بترتيل القرآن. يقول الطبري: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ هو المتلفِّف بثيابه، وإنما عنى بذلك نبي الله صلى الله عله وسلم ... وقوله: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ خيَّره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أيها شاء فعل، فكان رسول الله ﷺ وأصحابه فيما ذُكر يقومون الليل نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذُكر حتى خُفِّف عنهم"[٣].

ويرى أكثر المفسرين أن قيام الليل فرض على الرسول ﷺ وحده، ولم تفرض على المسلمين صلاة قبل الصلوات الخمس. غير أن المسلمين قاموا الليل مع الرسول ﷺ من باب الاتِّباع والاقتداء. ولم يذكر في آيات المطلع

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٥٠٤/٢٠.
(٢) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٥.
(٣) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٩٤/٧.

أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقومون معه الليل، وجاء الإخبار بذلك في الآية الطويلة التي ختمت بها السورة: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ ، فكان في ذلك عود بالخاتمة للتوسُّع فيما ذكر في المطلع، ويتَّضح ذلك في تغيُّر الخطاب من المفرد إلى الجمع في قوله سبحانه: ﴿ ۞ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ﴾.

ومن أوجه الارتباط بين المطلع والخاتمة أيضاً تحديد مدد القيام على وجه الاختيار بينها في المطلع على وجه الفرض على الرسول ﷺ، ورفع هذا الفرض وإبطاله في الخاتمة في قوله سبحانه:﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾. وفي المعنى نفسه يقول السيوطي: "بدئت بقيام الليل، وختمت به"[١] ، ويذكر الغماري في شأن العلاقة بين مطلع السورة وخاتمتها: "بدئت السورة بالكلام على قيام الليل وقراءة القرآن وختمت به ... وهذا تناسب بين مطلعها ومقطعها"[٢] ، وأيضاً الألوسي: "أي بالترخيص في ترك القيام المقدَّر"[٣] ...

علاقة مطلع سورة المدَّثِّر بخاتمتها:

بدئت سورة المدَّثِّر بخطاب الملاينة والملاطفة نفسه الذي بدأت به أختها سورة المزَّمِّل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ (المدَّثِّر: ١)، يقول القرطبي: "ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته ولم يقل يا

(١) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٥.
(٢) الغماري، مرجع سابق، ص١٣٤.
(٣) الألوسي، مرجع سابق، ٣١/٢٨.

مُحَمَّد، ويا فلان؛ ليستشعر اللين والملاطفة من ربه"[١] . ولعل هذ الملاطفة والتأنيس له ﷺ من ربه إنما جاءت بين يدي هذا الأمر الثقيل بابتدار الدعوة تهيئة له وإشعاراً له بتلطُّف ربه به، والله أعلم.

ثم انتقل الخطاب مباشرة إلى أمر بالنهوض لبدء الدعوة التي عبَّرت عنها الآية بقوله سبحانه: ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ (المدَّثِّر: ٢)، يقول القرطبي: "أي خوِّف أهل مكة، وحذِّرهم من العذاب إن لم يسلموا. وقيل: الإنذار هنا إعلامهم بنبوته؛ لأنه مقدمة الرسالة. وقيل: هو دعاؤهم إلى التوحيد لأنه المقصود بها"[٢] . ويجمع كل هذه المعاني الوعيد بالعذاب؛ جزاء على العصيان والإعراض والتكذيب بيوم الدين الذي جاء في الآيات التالية من آيات المطلع: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ﴾ (المدَّثِّر: ٨ – ١٠).

أما آيات الخاتمة فقد اشتملت على بيان حال الكفار إزاء التحذير والوعيد باليوم الآخر وهوله وشدّته، فتضمَّنت معنى تكذيبهم بالقيامة الذي جعلهم لا يخافونها: ﴿ كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ (المدَّثِّر: ٥٣)، على الرغم من أن القرآن كان تذكيراً بها ووعظاً: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ ﴾ (المدَّثِّر: ٥٤ – ٥٥)، غير أن مشيئة التذكُّر هي بيد الله يهبها من يشاء، ويمنعها عمن يشاء: ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾. وبالنظر إلى الآيات سالفة الذكر في المطلع والخاتمة كليهما يُلاحظ أنها تضمَّنت ذكر القيامة في صور الوعيد والتهديد تارة، وفي صور إنكاره والتكذيب به تارة أخرى. وفي هذا المعنى يقول السيوطي "بدئت بالإنذار وختمت

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٣٥٧/٢١.
(٢) المرجع السابق.

به في قوله: ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾"[١] . (المدَّثِّر: ٤٦)، ويقول البقاعي: "رجع آخر السورة على أولها، وانطبق مفصلها على موصلها، بضم البشارة إلى النذارة، وصار كأنه قيل: أنذر العاصي فإنه أهل لأن يرجع إلى طاعاته، فيكون سبحانه أهل لأن يعود عليه بستر زلاته"[٢] .

علاقة مطلع سورة القيامة بخاتمتها:

بدئت سورة القيامة بقوله سبحانه: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ (القيامة: ١ – ٢)، وهو قسم بيوم القيامة، وبنفس الإنسان التي تداوم على لومه على ارتكاب الذنوب والمعاصي، وعلى التقصير والتراخي في العبادة. يقول المراغي: "أقسم الله بعظمة القيامة، وبالنفس الطموحة إلى الرقي، الجانحة إلى العلو التي لا تصل مرتبة إلا طلبت ما فوقها، ولا إلى حال إلا أحبت ما تلاها – أن هنالك حالاً أخرى للنفس تنال فيها رغائبها في عالم أكمل من هذا العالم، عالم السعادة الروحية للمطيعين، وعالم الشقاء للجاحدين المعاندين"[٣] .

والمقسم بهما كليهما من الأمور العظيمة عند الله سبحانه؛ إذ المعلوم أن قسم الله بشيء من مخلوقاته فيه دليل على تعظيمه له. كما أن فيه دليلاً على تعظيم المقسم عليه، وهو هنا بعث الإنسان للحساب يوم القيامة، إذ يقول سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾ (القيامة: ٣)، ويُلاحظ هنا الصلة بين ما أقسم الله به، وهو يوم القيامة، وما أقسم عليه، وهو البعث، وكذلك الصلة بين القسم بالنفس اللوّامة، وإنكار البعث. وليست هذه الصلة

(١) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٦.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٨١/٢١.
(٣) المراغي، مرجع سابق، ١٤٥/٢٩-١٤٦.

مما نحن بصدد بحثه هنا، ولكنها لافته لنظر الباحث في بلاغة القرآن. والاستفهام الإنكاري الذي جاء في الآية السابقة أعقبته إجابة عنه في الآية التالية: ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ٤)، يقول الفخر الرازي في تفسير الآيتين: "المعنى أن الكافر ظن أن العظام بعد تفرقها وصيرورتها تراباً واختلاط تلك الأجزاء بغيرها وبعد ما نسفتها الرياح وطيَّرتها في أباعد الأرض لا يمكن جمعها مرة أخرى، وقال تعالى في جوابه: بلى، فهذه الكلمة أوجبت ما بعد النفي ... كنا قادرين على أن نسوي بنانه في الابتداء فوجب أن نبقى قادرين على التسوية في الانتهاء"(١) .

وختمت السورة بقوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ (القيامة: ٣٧ – ٤٠)، يقول ابن عاشور: "قوله: ﴿ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ كناية عن الجزاء؛ لأن التكليف في الحياة الدنيا مقصود منه الجزاء في الآخرة"(٢) . ويقول في معنى مجمل آيات الخاتمة: "فالإنسان خلق من ماء وطُوِّر أطواراً حتى صار جسداً حيًّا ... فكان بعضه من صنف الذكور وبعضه من صنف الإناث، فالذي قدر على هذا الخلق البديع لا يعجزه إعادة خلق كل واحد كما خلقه أول مرة"(٣) .

أما عن العلاقة بين المطلع والخاتمة، فهي وفقاً لما أوردتُ من تفاسير، ملحوظةٌ فيما أقسم عليه سبحانه من إعادة البعث وقيام الساعة في مطلع السورة، وما أعاد تأكيده في خاتمة السورة مع تفصيل في أطوار الخلق. يقول

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٣٠/ ٢١٧.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٦٦/٢٩.
(٣) المرجع السابق، ٣٦٧/٢٩.

البقاعي: "وقد رجع آخر السورة على أولها أتم رجوع، والتأم به أتم التئام، فتمَّت معانيها أعظم تمام بجمع العظام وإيجاد القيام ليوم التغابن والزحام"(١). وقال مثله السيوطي: "بدئت بذكر الإعادة وإحياء الموتى، وختمت بذلك"(٢) .

علاقة مطلع سورة الإنسان بخاتمتها:

افتُتحت سورة الإنسان بآيات تحدثت عن خلق الإنسان: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾ (الإنسان: ١)، يقول ابن عاشور في بيان المعنى العام لهذه الآية: "هل يقرُّ كل إنسان موجود أنه كان معدوماً زماناً طويلاً فلم يكن شيئاً يذكر؛ أي لم يكن يُسمّى ولا يُتحدَّث عنه بذاته ...، وهم لا يسعهم إلا الإقرار بذلك"(٣) . والآية استفتاح فيه تمهيد وتوطئة لما سيرد بعدها من حديث عن طبيعة خلق الإنسان، والغرض من خلقه، وتخييره بين الإيمان والكفر. يقول سبحانه: ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ (الإنسان ٢ – ٣)، يقول المراغي في تفسير الآية الأولى:"أي إنا خلقنا الإنسان من نطفة اختلط فيها ماء الرجل بماء المرأة، مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما بعد إذا شبَّ وبلغ الحلم. قال الحسن: "نختبر شكره في السرّاء، وصبره في الضرّاء ... ثم ذكر أنه أعطاه ما يصحُّ معه الابتلاء والامتحان، وهو السمع والبصر ... ليتمكَّن من استماع الآيات ومشاهدة الدلائل"(٤) . ثم تأتي الآية التالية لتزيد إيضاح معنى الابتلاء، وتهيئة الله سبحانه الإنسان للاختيار بين الشكر والكفر على نحو

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢١/١١٨-١١٩.
(٢) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٦.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/٣٧٢.
(٤) المراغي، مرجع سابق، ٢٩/١٦٠.

من وضوح الأمر بقوله: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾؛ لتتحقق بذلك عدالة الجزاء فيما بعد، ولتقوم الحجة على الإنسان إن هو اختار طريق الكفر.

ثم تمضي آيات المطلع على هذا النحو من جعل عواقب الاختيار بيّنة أمام الإنسان، فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ ﴾ (الإنسان: ٤ – ٥)، يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا وخالف أمرنا سلاسل يستوثق بها منهم شدًّا في الجحيم، يقول: وتشدُّ بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم. وقوله: ﴿ وَسَعِيرًا ﴾ يقول: ونار تسعَّر عليهم فتتوقَّد"[1] . وفي مقابل ما تبيّنه هذه الآية مما أُعدَّ من جزاء للكافرين فقد أبانت الآية التي تليها ما أُعدَّ من جزاء للأبرار وهم المؤمنون.

أما خاتمة السورة فقد عادت معانيها على ما جاء في المطلع، ففي قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٩)، معنى التخيير بعد التذكير والتنبيه إلى طريقي الهداية والضلال، ويتَّضح التذكير والتنبيه في قوله سبحانه:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ ﴾. غير أن آيات الخاتمة أضافت معنى جديداً، هو أن مشيئة الاختيار بيد الله، وهو الذي يقدّر للإنسان اختياره: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الإنسان: ٣٠)، يقول الشوكاني: "أي وما تشاؤون أن تتخذوا إلى الله سبيلاً إلا أن يشاء الله، فالأمر

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٢٠/٧.

إليه سبحانه ليس إليهم، والخير والشرُّ بيده، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع ... قال الزجّاج: أي لستم تشاؤون إلا بمشيئة الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ في أمره ونهيه؛ أي بليغ العلم والحكمة"[١] . وبالتأمُّل في الآية الأخيرة من السورة: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ (الإنسان: ٣١)، يتَّضح أنها جمعت المعنى الذي جاء في آيتين من آيات المطلع، وهو معنى جزاء الأبرار وجزاء الكافرين. جزاء الأبرار بإدخالهم الجنة التي كنَّت عنها الآية بكلمة (رحمته) في قوله سبحانه: ﴿ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ وجزاء الكافرين الذين هم ظالمون بإدخالهم النار لينالوا العذاب الأليم.

يقول السيوطي عن العلاقة بين مطلع السورة ومقطعها: "بدئت بذكر الشاكر والكفور، وختمت به"[٢] . وعن ارتباط الخاتمة بالمطلع، يقول الغماري: "ذكر في فاتحة السورة وعيد الكفار: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾ وختمت به ﴿ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴾ فتناسب مطلعها ومقطعها"[٣] . وعلَّق البقاعي أيضاً على عود الخاتمة على المطلع فقال: "رجع هذا الآخر المفصَّل إلى السعادة والشقاوة على أولها المؤذن بأن الإنسان معتنى به غاية الاعتناء، وأنه ما خُلق إلا للابتلاء، فهو إما كافر مغضوب عليه، وإما شاكر منظور بعين الرضا إليه"[٤] .

---

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٥٤/٥.

(٢) السيوطي، مراصد المطالع، ص٧٦.

(٣) الغماري، مرجع سابق، ص١٤٠.

(٤) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٦٣/٢١.

علاقة مطلع سورة المرسلات بخاتمتها:

افتتحت سورة المرسلات بقسم تكرر في عدد من الآيات ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ ﴾ (المرسلات: ١ – ٦)، وذكر المفسرون أقوالاً مختلفة عن المراد بالمقسم به، فمنهم من ذكر أن المراد طائفة من الملائكة، ومنهم من ذكر أن المراد الملائكة والرياح، ومنهم من ذكر أن المراد الرسل الكرام عليهم صلوات الله وسلامه عليهم[١]. وأيًّا كان المراد، فإن ما يدخل في غرض المبحث أنه قسم بشيء مما يعظمه الله سبحانه على مقسم عليه وقع في مطلع السورة له صلة وعلاقة بما وقع في خاتمتها. يقول الغرناطي: "أقسم تعالى بالملائكة المتتابعين في الإرسال، والرياح المسخرة والآتية بالمطر، والملائكة الفارقة بما تنزل به بين الحق والباطل ...، أقسم الله بما ذكر من مخلوقاته على صدق الموعود"[٢] . والموعود هنا والذي هو جواب القسم قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ (المرسلات: ٧). يقول القرطبي في تفسير الآية: "هذا جواب ما تقدَّم من القسم؛ أي ما توعدون من أمر القيامة لواقع بكم ونازل عليكم"[٣] . ولبيان عِظم شأن القيامة فقد أقسم عليها سبحانه هذا القسم المتكرر المغلَّظ، ولعله أيضاً لتخويف المشركين المنكرين للبعث والقيامة الساخرين من عذاب الآخرة.

---

(١) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ٤٩٥/٢١.

(٢) الغرناطي، مرجع سابق، ص١٩٩.

(٣) القرطبي، مرجع سابق، ٤٩٩/٢١.

أما خاتمة السورة فقد اشتملت على عدد من الآيات، منها قوله سبحانه: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ (المرسلات: ٤٦)، التي تحمل معنى التهديد والوعيد. يقول الطبري: "كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم ﴿ إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴾ مسنونٌ بكم سنَّة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي مُتِّعت بإعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثم انتقم الله منها بكفرها، وتكذيبها رسلها"[١]. وعن الآيات التي تلي هذه الآية: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (المرسلات: ٤٧ – ٤٩)، يقول الألوسي: "أي أطيعوا الله واخشوا وتواضعوا له عزَّ وجلَّ بقبول وحيه تعالى واتِّباع دينه سبحانه، وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة ﴿ لَا يَرْكَعُونَ ﴾ لا يقبلون ذلك ويصرُّون على ما هم عليه من الاستكبار"[٢]. وعن تكرار قوله سبحانه: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ يقول أبو حيان: "جاء هذا القول بعد كل جملة؛ لأن كل جملة منها فيها إخبار الله تعالى عن أشياء من أحوال الآخرة وتقريرات من أحوال الدنيا، فناسب أن يذكر الوعيد عقيب كل جملة منها للمكذب بالويل في يوم الآخرة"[٣]. ثم ختمت السورة بتعجُّب مع شيء من الزجر للكفار على تكذيبهم بالقرآن، فقال سبحانه: ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ (المرسلات: ٥٠)، يقول الفخر الرازي: "اعلم أنه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة إلى آخرها ... وحثَّ على النظر والاستدلال والانقياد

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٣٧/٧.
(٢) الألوسي، مرجع سابق، ١٩٤/٢٨.
(٣) أبوحيان، مرجع سابق، ٣٩٩/٨.

للدين الحقِّ، ختم السورة بالتعجُّب من الكفار، وبيَّن أنهم إذا لم يؤمنوا بهذه الدلائل اللطيفة مع تجلّيها ووضوحها ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾"[١].

وهكذا يتَّضح أن العلاقة الجامعة بين مطلع السورة وخاتمتها هى تهديد الكافرين بأن ما وعدوا به من العذاب جزاء على إعراضهم عن الدعوة وتكذيبهم بالقرآن وإنكارهم البعث لا شك واقع بهم في مطلعها، وبيان خزيهم وسوء عاقبتهم في خاتمتها. يقول البقاعي في الربط بين مطلع السورة وخاتمتها: "فقد رجع آخرها على أولها في وعيد المكذبين، وانطبق أولها على آخرها في إخزاء المجرمين"[٢] . ويقول السيوطى عن علاقة المطلع بالمقطع: "في أولها: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾ وهو مشعر بقرب وقوعه، وقلة مقامهم، وفي آخرها: ﴿ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا ﴾ "[٣] .

كان هذا تلمُّساً لأوجه التناسب بين مطالع سور جزء تبارك وخواتيمها، ويُلاحظ فيها التناسب المعنوي أكثر من التناسب اللفظي، وأن المعنى الأكثر وروداً بين مطالع السور وخواتيمها هو المعنى المتَّصل بالإخبار عن اليوم الآخر والقيامة، وما يتَّصل بذلك من أهوال اليوم وشدَّته، وأنه يوم للحساب والجزاء بحسب الأعمال، ومقابلة الدعوة والقرآن إن كان بالتصديق والإيمان، أو كان بالتكذيب والإعراض. ولا غرو، فسور جزء تبارك مكيَّة كلها إلا واحدة. ومعلوم أن من خصائص القرآن المكي التركيز على العقيدة والحديث عن البعث والحساب والجزاء.

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢٨٤/٣٠.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٨٨/٢١.
(٣) السيوطي، مراصد المطالع، مرجع سابق، ص٧٧.

المبحث الخامس
المناسبة بين الفواصل وآياتها

بين يدي هذا المبحث تحسن الإشارة إلى مسألتين بغرض تحديد مجاله، وبيان مساره؛ الأولى أنه يعالج التناسب بين الفاصلة والمعنى الذي تتضمَّنه الآية قبلها، وهو تناسب يأتي على أوجه مختلفة حصرها العلماء الذين تحدَّثوا عن التناسب في القرآن الكريم، وسيأتي الحديث عنها فيما بعد إن شاء الله. والثانية أن المراد بالفاصلة في القرآن الكريم كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر، وقد عرَّفها عدد من العلماء والمفسرين والبلاغيين تعريفات مختلفة وقع على بعضها اعتراضات واستدراكات. ومن أهم هذه التعريفات تعريف الرماني الذي قال: "الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني. والفواصل بلاغة والأسجاع عيب، ذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها"[(١)] . والرماني واحد ممن نفوا عن القرآن السجع في مقابل من أثبتوه فيه. وهذا لتوضيح سبب قوله (السجع عيب)، وإلا فليس المبحث معنياً بذلك. ويقول الزركشي: "وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب؛ لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام. وتسمى فواصل؛ لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها، ولم يسمُّوها أسجاعاً"[(٢)]، وقد رأى الحسناوي بعد أن استعرض عدداً وافراً من التعريفات وأورد ما عليها من اعتراضات واستدراكات أن يضع تعريفاً جامعاً مانعاً للمصطلح فقال: "الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وسجعة النثر. والتفصيل توافق آخر

(١) الرماني، مرجع سابق، ص٩٧.
(٢) الزركشي، مرجع سابق، ٥٤/٢.

الآي في حروف الروي أو في الوزن مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس"[١] . وسيعالج البحث الفاصلة وعلاقتها بآيتها في ضوء هذا المفهوم.

والتناسب بين الفاصلة وآيتها أمر مستقرٌّ في القرأن كله، سواء أكان ذلك التناسب واضحاً جليًّا، أو كان مما يُحتاج فيه إلى التبصُّر وإعمال العقل. يقول الزركشي: "اعلم أن من المواضع التي يتأكَّد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره، وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلا بد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولاً، وإلا خرج بعض الكلام عن بعض. وفواصل القرآن الكريم لا تخرج عن ذلك، لكن منه ما يظهر، ومنه ما يستخرج بالتأمُّل للبيب"[٢] .

ويأتي التناسب بين الفاصلة وآيتها بأحد أوجه أربعة، هي: التمكين والتوشيح والإيغال والتصدير. يقول ابن أبي الإصبع: "وكل فواصل الكتاب العزيز بين تمكين، وتوشيح، وإيغال، وتصدير"[٣] . والتمكين يعرِّفه السيوطي فيقول: "فالتمكين – ويسمى ائتلاف القافية – أن يمهِّد الناثر للقريتة، أو الشاعر للقافية، تمهيداً تأتي به القافية متمكِّنة في مكانها، مستقرَّة في قرارها، مطمئنَّة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلِّقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلُّقاً تامًّا"[٤] . والتمكين بهذا الوصف أدخل ما يكون في موضوع هذا المبحث. ويعرِّف السيوطي كذلك التصدير والتوشيح ويبيِّن الفرق بينهما، فيقول: "وأما التصدير: فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدَّمت في أوَّل الآية، وتسمى أيضاً رد العجز على الصدر...، وأما التوشيح: فهو أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية، والفرق بينه

(١) الحسناوي، محمَّد، الفاصلة في القرآن الكريم، ط ٢، (عمان: دار عمار، ٢٠٠٠م)، ص٢٩.
(٢) الزركشي، مرجع سابق، ٢/٧٨.
(٣) ابن أبي الإصبع، مرجع سابق، ٢/٢٢٥.
(٤) السيوطي، الإتقان، مرجع سابق، ص٦١٦.

وبين التصدير: أن هذا دلالته معنوية، وذاك لفظية"[١] . ويعرِّف الإيغال فيقول: "الإيغال وهو الإمعان: وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتمُّ المعنى بدونها"[٢] . وجميع أقسام الفاصلة هذه تدخل في موضوع هذا المبحث لأنها تتعلق بالفاصلة وما يرد قبلها في الآية من معنى أو لفظ. وثمة أقسام أخرى للفاصلة لا تدخل في موضوع المبحث هذا؛ لأنها تتعلق بالفاصلة منسوبة إلى الفاصلة التي تليها في آية أخرى.

ولما كان في تتبع كل فواصل آيات سور جزء تبارك فاصلة فاصلة، وعقد تناسب بينها وبين آياتها مدعاة للتطويل المفرط، فستكتفي الباحثة بالنظر في بعض موضوعات السورة، وتمثِّل لها بما لا يتجاوز خمس فواصل في كل سورة.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة الملك:

حدَّد بعض المفسرين الذين تحدثوا عن موضوعات سور جزء تبارك الموضوعات التي تناولتها سورة الملك، وقد أورد ابن عاشور فيما سمّاه أغراض سورة الملك بعض هذه الموضوعات: ومنها موضوعات تعريف المؤمنين بعظمة الله سبحانه، وتفرُّده بالملك، والنظر في إتقان صنعه الدالِّ على تفرُّده بالإلهية.[٣]

ومن الآيات التي تحدثت عن هذا الموضوع قوله سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الملك: ١)، والفاصلة في هذه الآية كلمة ﴿ قَدِيرٌ ﴾، ويراد بها نسبة القدرة الشاملة على كل شيء إلى الله تعالى. ومناسبتها لما ورد في الآية قبلها من معانٍ بيِّن واضح، فهي لازمة من لوازم المتنزَّه المتعالي، ولازمة من لوازم صاحب الملك المطلق. والفاصلة هنا جاءت على وجه التمكين.

---

(١) السيوطي، الإتقان، المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، ص٥٦٦.

(٣) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٧/٢٩.

ثم يأتي في موضوع التعريف بعظمة الله، وتفرده بالملك قوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ (الملك: ٢)، والفاصلة هنا هي قوله سبحانه: ﴿ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾، والكلمتان من أسماء الله الحسنى، ويراد بهما في هذا الموضع بحسب تفسير الزمخشري: "﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل ﴿ ٱلْغَفُورُ ﴾ لمن تاب من أهل الإساءة"[١] . ويرتبط هذا المعنى بما ورد في الآية من معنى الاختبار لمعرفة من يحسن العمل ممن يسيئه. كما أن معنى العزة والسيطرة يرتبط بخلق الموت والحياة. والفاصلة هنا أيضاً جاءت على وجه التمكين.

وجاءت الآية الثالثة في موضوع دقَّة الصنع وإتقانه، فقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ (الملك: ٣)، والفاصلة هنا كلمة: ﴿ فُطُورٍ ﴾ وكلمة فطور قال عنها بعض المفسرين الشقوق، وقال بعضهم الخلل، وقال بعضهم الوهن[٢]. وكلها معان متقاربة. والفاصلة هذه مكَّنت الآية قبلها في أن إتقان خلق السموات كان باستواء، وبلا خلل ولا اعوجاج، وذلك بعد النظر الفاحص.

ومن موضوعات السورة تهديد المشركين بعلم الله المحيط بما يأتون من غمز ولمز وإيذاء للرسول ﷺ تعريضاً وتصريحاً، وما يأتون من قدح في القرآن بصفات السحر والكهانة ونحو ذلك. وجاءت الفاصلة: ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ في قوله سبحانه: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (الملك: ١٣)، توشيحاً للمعنى السابق لها في الآية في قوله

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٢٤.

(٢) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ١١٦/٢١.

سبحانه: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ ﴾ ، إذ إن الإسرار إنما يكون في القلوب، وقد خصه سبحانه بالذكر دون الجهر؛ إذ إن الجهر مفضوح أصلاً، ولا يُحتاج فيه إلى العلم الإلهي الدقيق، والله أعلم.

ثم واصلت الآية بعدها تأكيد هذا العلم بقوله سبحانه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (الملك: ١٤)، وجاءت الفاصلة هنا محتوية على اسمين من أسماء الله الحسنى، هما ﴿ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾، يقول الفخر الرازي في تفسير قوله سبحانه: ﴿ ٱللَّطِيفُ ﴾، "المراد من يكون فاعلاً للأشياء اللطيفة التي تخفى كيفية عملها على أكثر الفاعلين"(١) . ويعني هذا أنه سبحانه يعلم من خلق علماً شاملاً دقيقاً تفصيليًّا يصل إلى ما أضمرتم في أنفسكم ولم تطلعوا عليه أحداً. وأما قوله سبحانه: ﴿ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ، فقد أورد القرطبي معناه نقلاً عن أبي إسحاق الإسفراييني، فقال: "ومنها (الخبير) ويختصُّ بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون"(٢) . وجملة القول أن الفاصلة هنا جاءت لتمكين معنى الإنكار عليهم أن يظنوا أنه لا يعلم من خلق. ومعنى الآية مرتبط بالمعنى الذي جاء في الآية التي قبلها من ظنهم أن إسرارهم القول سيجعله خفيًّا على الله سبحانه.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة القلم:

ثمة موضوعات تتكرر في القرآن كثيراً، ومنها تذكير الله عباده بعلمه الشامل المحيط بأعمال عباده ما ظهر منها وما استتر، بل بنيّاتهم وإخلاصهم أو نفاقهم، ومن ذلك ما جاء في سورة القلم في هذه الآية: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (القلم: ٧)، وكلمة الفاصلة هي: ﴿ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾، وهي تقابل كلمة ضلَّ التي جاءت في

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٦٨/٣٠.
(٢) القرطبي، مرجع سابق، ١٢٣/٢١.

صدر الآية، وهذا النوع من الفاصلة توشيح؛ لأن المعنى في صدر الآية استلزم ما جاء في الفاصلة، فيكاد اللبيب أن يأتي بها وإن لم يكن يعلمها.

ومن موضوعات سورة القلم تحذير الله الرسول ﷺ من مشركي مكة الذين كانوا يسعون جاهدين إلى أن يصرفوه عن دعوته ويعيدوه إلى دين آبائهم، فقال سبحانه: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (القلم: ٨)، يقول البغوي في تفسير الآية: "يعني مشركي مكة فإنهم كانوا يدعونه إلى دين آبائه فنهاه أن يطيعهم"(١) . وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾، وهي تناسب معنى الآية قبلها؛ إذ هو المنع عن الطاعة، فلا بد أن يكون الممنوع غن طاعته ذا صفة ذميمة متعلّقة بموقفه من دعوة الإسلام بحسب سياق الآيات؛ وهي صفة التكذيب ومحاولة صرف الرسول ﷺ عن الحق ودعوته إلى الباطل.

ثم تأتي الآية التي بعدها في سياق الموضوع نفسه، فيقول سبحانه: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ (القلم: ٩)، والفاصلة: ﴿ فَيُدْهِنُونَ ﴾ ترتبط بقوله سبحانه: ﴿ تُدْهِنُ ﴾ ، وقد جاءت هنا على وجه التصدير؛ أي رد العجز على الصدر، فالتناسب هنا تناسب معنوي ولفظي في الوقت نفسه.

اشتملت سورة القلم على موضوع بيان حقيقة القرآن، وإبطال الأوصاف التي أطلقوها عليه وعلى من جاء به، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴾ (القلم: ٥١)، والفاصلة ﴿ لَمَجْنُونٌ ﴾ ترتبط بقوله سبحانه: ﴿ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ ﴾ ؛ لأن رميهم الرسول ﷺ بالجنون إنما كان بسبب ما يتلوه عليهم من

(١) البغوي، مرجع سابق، ١٩٢/٨.

القرآن. يقول الطبري في تفسير هذا الجزء من الآية: "إن مُحَمَّداً لمجنون، وهذا الذي جاءنا به من الهذيان الذي يهذي به في جنونه"[١] . وهكذا ارتبطت الفاصلة بآيتها على وجه التمكين؛ إذ جاءت مستقرة في مكانها متعلقة تعلُّقاً تامًّا بالمعنى قبلها.

ثم أعقب سبحانه ذلك بآية تقرر حقيقة القرآن، فقال: ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (القلم: ٥٢)، والفاصلة: ﴿ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ إنما جاءت مرتبطة بالذكر الذي هو القرآن الموجَّه للعالمين كافة إنسهم وجنّهم، فناسبت الشمول المراد من وصف القرآن بالذكر.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة الحاقَّة:

من الموضوعات التي عالجتها سورة الحاقَّة باستفاضة وتركيز صور العقاب التي عاقب الله بها بعض الأقوام السابقين، فقال سبحانه: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (الحاقَّة: ٦)، وفاصلة هذه الآية هي كلمة: ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾، وقد جاءت وصفاً للريح التي أهلك بها القوم. يقول الزمخشري في تأويل كلمة عاتية: "عتت على عاد فما قدروا على ردّها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة، فإنها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم"[٢]. وكأنما مهَّد للفاصلة المعنى قبلها بذكر الهلاك والريح الصرصر التي يكون لها صوت كالصرير[٣] ، لتأتي منسجمة معه متمكِّنة في موقعها، فهي تناسب آيتها مناسبة تمكين.

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٥٦/٧.
(٢) انظر: الزمخشري، مرجع سابق، ص ١١٣٤.
(٣) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ١١٦/٢٩.

ثم واصلت الآية التي بعدها في ذكر مدة العقاب بالريح، وحالة القوم وقد صرعتهم: ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ (الحاقَّة: ٧)، والفاصلة في الآية هي كلمة: ﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ التي جاءت وصفاً لأعجاز النخل حتى يكون المشبه به مصوّراً للقوم الصرعى تصويراً دقيقاً، بأن أجسادهم كانت تبدو خفيفة تحت سيطرة الريح العاتية. والنخل الخاوية هي التي خلت أعجازها بلى وفساداً[١]. وهكذا فقد جاءت الفاصلة مطمئنة في موضعها، إذ قاد إليها المعنى السابق لتكتمل به.

ومن موضوعات السورة وصف حال من أوتي كتابه بيمينه في الجنة يوم القيامة، وقد جاء في ذلك قوله: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾ (الحاقَّة: ٢١)، الفاصلة هنا كلمة: ﴿ رَّاضِيَةٍ ﴾ التي تعني مرضية وصفاً للعيشة. يقول الفخر الرازي: "ذكروا في حدِّ الثواب أنه لا بد أن يكون منفعة، ولا بد أن تكون خالصة من الشوائب، ولا بد أن تكون دائمة، ولا بد أن تكون مقرونة بالتعظيم، فالمعنى إنما يكون مرضيًّا به من جميع هذه الجهات"[٢] . فكلمة راضية تكون حاوية لجميع هذه الشروط. كلمة راضية التي هي فاصلة الآية بكلمة عيشة التي فيها من أوتي كتابه بيمينه.

وفي إطار الموضوع نفسه؛ أي حالة أصحاب اليمين في الجنة يأتي قوله سبحانه: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ (الحاقَّة: ٢٢)، وفاصلة الآية كلمة: ﴿ عَالِيَةٍ ﴾ التي تعني رفيعة المكانة[٣] . وتنسجم الفاصلة هنا بالمعنى المتضمَّن في كلمات الآية قبلها، إذ إن الجنة يناسبها تماماً أن تكون عالية المكانة قياساً إلى ما دونها من مراتب الجزاء، كما أن رفعة المكانة تناسب أيضاً صاحب الضمير هو المذكور في بداية الآية، وهو الذي أوتي كتابه بيمينه.

---

(١) انظر: أبا حيان، مرجع سابق، ٣١٦/٨.

(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١١٢/٣٠.

(٣) انظر: الماوردي، مرجع سابق، ٨٤/٦.

ولما كان الموضوع كله وصفاً للجنة التي أعدها الله لأصحاب اليمين، فقد استطردت الآيات في هذا الوصف، فجاء قوله سبحانه: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ (الحاقَّة: ٢٣)، والفاصلة في الآية كلمة: ﴿ دَانِيَةٌ ﴾ التي تعني أنه ينالها القاعد والنائم[١] . ويناسب الدنو هذا كلمة القطوف التي سبقت الفاصلة؛ لأنها إذا كانت تُنال بلا مشقة، بل بلا مجهود يذكر، فإن هذا يناسب سياق الموضوع كله، وهو تمتُّع أصحاب اليمين في الجنة بالعيشة الراضية.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة المعارج:

اشتملت سورة المعارج على عدد من الموضوعات من بينها وصف بعض مشاهد يوم القيامة بغرض تخويف الكفار. يقول ابن عاشور: "حوت من الأغراض تهديد الكافرين بعذاب يوم القيامة، وإثبات ذلك اليوم ووصف أهواله"[٢] . فقال سبحانه في وصف مشهد السماء في ذلك اليوم: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ (المعارج: ٨)، وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿كَٱلْمُهْلِ ﴾ التي تعني ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة[٣] . وتأتي الفاصلة هنا بوصفها مشبَّهاً به لمشبَّه هو السماء؛ لتوضِّح المشهد في ذهن القارئ. وهكذا فهي تناسب معنى الآية على وجه التمكين للمعنى المذكور قبلها.

والمشهد الثاني المذكور في إطار بيان أهوال يوم القيامة، هو مشهد الجبال في قوله سبحانه: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾ (المعارج ٩). والفاصلة هي كلمة: ﴿كَٱلْعِهْنِ ﴾، ويقول الزمخشري في تفسيرها: "كالصوف المصبوغ ألواناً؛ لأن

(١) انظر: الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٣٦.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ١٥٣/٢٩.
(٣) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ٢٢٨/٢١.

الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود، فإذا بُسَّت وطُيِّرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيَّرته الريح"[١] .

والفاصلة هنا كسابقتها تماماً في أنها جاءت في موقع المشبَّه به لتمكين المعنى السابق لها، وهو وصف حال الجبال يوم القيامة.

أما حالة الخلق في ذلك اليوم فهي الانشغال بالنفس والانصراف عمن عداها: ﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾ (المعارج: ١٠)، يقول الزمخشري: "أي لا يسأله بكيف حالك، ولا يكلِّمه؛ لأن بكل أحد ما يشغله عن المساءلة"[٢] .

والفاصلة هي كلمة: ﴿ حَمِيمًا ﴾ ، وهي ترتبط بمعنى السؤال عن حال الآخر الذي ينشغل عنه كل فرد. وليس أي آخر، وإنما الحميم الذي هو أولى بالسؤال عن حاله. وهكذا فقد عبرت الفاصلة عن المعنى المذكور قبلها تعبيراً يمكِّن المعنى، كما أنها جاءت على وجه التصدير، أو رد العجز على الصدر باستعمال كلمة حميم؛ أي بتكرار اللفظ.

ومن موضوعات السورة تهديد الكافرين بقدرة الله على أن يفنيهم بسبب عصيانهم وإعراضهم عن الإيمان، ويستبدل بهم قوماً آخرين أمثل منهم وأطوع لله، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ ﴾ (المعارج: ٤٠ – ٤١)، والآيتان مرتبطتان أولاهما بالثانية، إذ إن الأولى قسم وجوابه، والثانية تكملة وتفصيل لجواب القسم؛ ولذا فيحسن الحديث عنهما معاً. يقول ابن عاشور في تفسير الآيتين: "والقسم بالله بعنوان ربوبيته العالم كله؛ لأن العالم منحصر في جهات شروق الشمس وغروبها. ... أن نبدِّل هؤلاء بخير منهم؛ أي بأمة خير منهم، والخيرية في الإيمان، ... ويكون هذا تهديداً لهم بأن سيستأصلهم، ويأتي بقوم آخرين. وما نحن بعاجزين عن التبديل

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٣٩.
(٢) المرجع السابق.

بأمثالكم"[١] . والفاصلة في الآية الأولى كلمة: ﴿ لَقَٰدِرُونَ ﴾، وارتباطها بمعنى الآية قبلها واضح، إذ إن الكلام قبلها قسم، جواب القسم. أما الفاصلة في الآية التي بعدها فهي كلمة: ﴿ بِمَسْبُوقِينَ ﴾ التي تأتي هنا على وجه الإيغال، فالمعنى قد اكتمل عند قوله سبحانه: ﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ ﴾، ولم تأت الفاصلة إلا لتضيف معنى الإمعان.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة نوح:

سورة نوح كلها موضوع إجمالي واحد، هو قصة نوح عليه السلام مع قومه، لكنها اشتملت على عدة موضوعات تفصيلية في داخل هذا الموضوع الإجمالي. فمن الموضوعات التفصيلية موضوع إعراضهم الشديد عن الدعوة، وصمّ آذانهم عنها في مقابل تصميم نوح عليه السلام على مواصلة الدعوة والاستمرار فيها في كل الأوقات. يقول سبحانه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ (نوح ٥). يقول الشوكاني في تفسير الآية: "أي قال نوح منادياً لربه وحاكياً له ما جرى بينه وبين قومه، وهو أعلم به منه: إني دعوت قومي إلى ما أمرتني بأن أدعوهم إليه من الإيمان دعاء دائماً"[٢] . وفاصلة الآية تتكون من كلمتي: ﴿ لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ وترتبط الكلمتان ارتباطاً وثيقاً بمعنى الدعاء، وتمثّلان وصفاً له يمكّن معنى الاستمرار والتصميم على المواصلة.

ثم تأتي الآية التالية لتبيّن مقابلتهم للدعاء المستمر من نوح عليه السلام، يقول سبحانه: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (نوح: ٦)، وفاصلة الآية كلمة: ﴿ فِرَارًا ﴾ المراد بها فراراً من إجابتي إلى عبادتك[٣] . ويستطيع القارئ أن يلمح

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/١٨٠-١٨١.
(٢) الشوكاني، مرجع سابق، ٥/٢٩٧.
(٣) انظر: الماوردي، مرجع سابق، ٦/١٠١.

الارتباط الوثيق بين توضيح الزيادة الذي أحدثته الفاصلة، وإبهامها في صدر الآية: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾ ، وأنها أريد بها تمكين المعنى، والله أعلم.

ثم تأتي الآية التالية لتبين صوراً من حالهم وهم يبالغون في الصدِّ والإعراض عن سماع الدعوة: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ (نوح: ٧)، يقول الفخر الرازي: "اعلم أن نوحاً عليه السلام إنما دعاهم إلى العبادة والتقوى والطاعة؛ لأجل أن يغفر لهم ... واعلم أنه لما دعاهم عاملوه بأشياء، أولها: ﴿ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ ﴾ ... لئلا يسمعوا الحجة والبينة، والثانية: قوله: ﴿ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ ﴾ ؛ أي تغطوا بها لأجل المبالغة في أن لا يسمعوا، وثالثها: قوله: ﴿ وَأَصَرُّواْ ﴾ على إعراضهم عن سماع دعوة الحقِّ، ورابعها: قوله: ﴿ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ ؛ أي عظيماً بالغاً إلى النهاية القصوى"[1] . والفاصلة هي عبارة: ﴿ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴾، وعلاقتها بالمعنى الذي جاء في صدر الآية، أنها تمثِّل تلخيصاً لجملة من الأفعال تنمُّ عن شدة الإعراض عن سماع دعوة الحق بكل الوسائل المانعة من وصولها إلى آذانهم. كما أنها تمكِّن معنى الإعراض بأنه نتج عن خصلة الاستكبار التي وردت في الآية بصيغة المفعول المطلق المؤكِّد للفعل.

ومن الموضوعات الجزئية من قصة نوح عليه السلام مع قومه، عرضه البراهين لهم على وحدانية الله وقدرته المتجلِّية في خلقه الكون العظيم. وفي هذا المعنى جاء قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ (نوح: ١٥)،

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٣٦/٣٠.

والفاصلة في الآية كلمة: ﴿ طِبَاقًا ﴾. يقول الطبري في معنى الكلمة: "بعضها فوق بعض ... وإنما عنى بذلك: كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء مطابقة"[١] . ولما كان غرض الآية لفت أنظارهم إلى عظمة خلق الله لإقامة الدليل على ربوبيته ووحدانيته، فقد جاءت الفاصلة مبيّنة لكون عظمة الخلق إنما تظهر في دقّته وانتظامه على نسق معجز.

وجاءت الآية التي تليها لتزيد وضوح هذا النسق المعجز في خلق السموات بصورة مركّبة من مصادر النور فيها: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (نوح: ١٦)، فاصلة الآية هي كلمة: ﴿ سِرَاجًا ﴾، وتعني مصباحاً يضيء لأهل الأرض[٢] . وهي وصف للشمس في مقابل وصف القمر بأنه نور، وبذا تكون الفاصلة استكمالاً للمعنى الذي جاء في صدر الآية.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة الجنّ:

اشتملت سورة الجنّ في نصفها الأول على الحديث عن استماع الجنّ للقرآن. ثم أعقب ذلك حكاية على لسان الجنّ أنفسهم عن تعجُّبهم منه وإيمانهم به، ثم حكاية في عدد من الآيات عن انقسامهم إزاء القرآن والإيمان، ويظهر ذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ (الجنّ: ١١)، يقول الطبري: " ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ ، وهم المسلمون العاملون بطاعة الله، ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾، يقول: ومنا دون الصالحين، ﴿ كُنَّا طَرَآئِقَ

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٨٠/٧.
(٢) انظر: الماوردي، مرجع سابق، ١٠٢/٦.

﴿ قِدَدًا ﴾ يقول: وأنا كنا أهواء مختلفة، وفرقاً شتى، منا المؤمن والكافر"[١] . وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ قِدَدًا ﴾ والقدد جمع قدَّة وهي الضروب والأجناس المختلفة[٢] . وبذا تكون الفاصلة قد ناسبت المعنى قبلها في الآية الذي تحدَّثت عن انقسام الجنِّ وتفرُّقهم إلى مجموعات مختلفة بحسب موقفهم من الإيمان بالله ودرجاته.

ثم جاءت من بعد ذلك آية توضِّح ما حدث لهم بعد الإيمان بالتفكُّر والاستدلال بآيات الله، من أنهم في قبضة الله سبحانه لا يستطيعون أن ينفكُّوا منها هاربين[٣] : ﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَن نُّعۡجِزَهُۥ هَرَبًا ﴾ (الجنّ: ١٢)، وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ هَرَبًا ﴾ وهي تنسجم كل الانسجام مع معنى: ﴿ لَّن نُّعۡجِزَ ٱللَّهَ ﴾ وتقابل نفي إعجازه في الأرض كائنين فيها أينما كانوا؛ أي لن يعجزوه هاربين منها إلى السماء أيضاً[٤] . وهي بهذا تكون متَّصلة بما قبلها على سبيل تمكين معنى نفي إعجاز الله.

وتمضي الآيات تفصُّ قصَّة سماع الجنِّ للقرآن على لسانهم: ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦۖ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴾ (الجنّ: ١٣)، يقول الماوردي في تفسير الآية: "﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعۡنَا ٱلۡهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ ، يعني القرآن سمعوه من النبي ﷺ فآمنوا به وصدَّقوه على رسالته، وقد كان رسول الله ﷺ مبعوثاً إلى الجنِّ والإنس ... ﴿ فَمَن يُؤۡمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخۡسٗا وَلَا رَهَقٗا ﴾ ، قال ابن عباس: لا يخاف نقصاً في حسناته، ولا زيادة في سيئاته؛ لأن البخس:

---

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٨٧/٧.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ٢٩١/٢١.

(٤) انظر: الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٤٦.

النقصان، والرهق: العدوان"[١]. وبذلك تكون كلمة: ﴿ رَهَقًا ﴾ التي هي الفاصلة مقابلة لكلمة: ﴿ بَخْسًا ﴾ ومكمّلة للمعنى المراد في صدر الآية، ومنسجمة معه؛ أي أن الإيمان بالله يجعل المؤمن مطمئنًّا لعدله سبحانه.

وترجع الآية التي تليها إلى الحديث في موضوع أن الجنَّ فِرَق شتى وأهواء مختلفة: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴾ (الجنّ ١٤)، يقول المراغي في تفسير الآية: "أي وأن منا المؤمنون الذين أطاعوا الله وأخبتوا إليه وعملوا صالح الأعمال، ومنا الجائرون عن النهج القويم، وهوالإيمان بالله وطاعته، ومن آمن بالله وأطاعه فقد سلك الطريق الموصِّل إلى السعادة، وقصد ما ينجيه من العذاب"[٢]. وتعني كلمة: ﴿ رَشَدًا ﴾ التي هي فاصلة الآية: طريق الحق[٣]. ووجه اتِّصالها بالمعنى قبلها، أن الجن لما انقسمت إلى مجموعتين بحسب معنى الآية هنا، احتاج الأمر إلى بيان صفات كل مجموعة منهما، فوصف المسلمين بأنهم توخَّوا طريق الحق، فكانت الفاصلة في غاية الانسجام مع المعنى المراد في الآية، والله أعلم.

ثم يأتي وصف المجموعة الأخرى في الآية التي تليها: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجنّ: ١٥)، يقول الشوكاني في تفسير الآية: "أي وقودا للنار توقد بهم كما توقد بكفرة الإنس"[٤]. وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ حَطَبًا ﴾.

---

(١) الماوردي، مرجع سابق، ١١٣/٦.
(٢) المراغي، مرجع سابق، ١٠٠/٢٩.
(٣) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ٢٩٣/٢.
(٤) الشوكاني، مرجع سابق، ٣٠٨/٥.

ومناسبتها للمعنى المتضمَّن في الآية قبلها واضحة جداً، فإنه سبحانه لما ذكر حال المسلمين يوم القيامة بأنهم لا يخافون الانتقاص ولا الحيف، ذكر حال الكفار، وهم يعذَّبون في نار جهنَّم، وأراد — وهو أعلم بما يريد — أن يبين شدة عذابهم بأن جعلهم وقوداً للنار، لا أن النار تحرقهم فحسب؛ ولذا فقد جاءت الفاصلة ﴿ حَطَبًا ﴾ متَّصلة بالمعنى قبلها اتصالاً متيناً.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة المزَّمِّل:

اشتملت سورة المزّمّل على عدد من الموضوعات، من بينها موضوع تهديد الكافرين باستعراض شيء من ألوان العذاب الذي ينتظرهم يوم القيامة، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ (المزّمّل: ١٢)، يقول الطبري في تفسير الآية: "يقول تعالى ذكره: إن عندنا لهؤلاء المكذبين بآياتنا أنكالاً، يعني: قيوداً، واحدها نِكل. وقوله: ﴿ وَجَحِيمًا ﴾، يقول: وناراً تسعر"[1] . وكلمة ﴿ وَجَحِيمًا ﴾ التي هي فاصلة الآية تتَّسق مع معنى التعذيب بالتقييد بالأنكال؛ لتضيف معنى التعذيب بالإحراق بوصفه لوناً آخر من ألوان العذاب. يقول البقاعي: "القيد الثقيل الذي لا يفكُّ أبداً إهانة لهم لا خوفاً من قرارهم؛ جزاء على تقييدهم أنفسهم بالشهوات عن اتباع الداعي .... ولما كان ذلك محرقاً للباطن أتبعه حريق الظاهر، فقال: ﴿ وَجَحِيمًا ﴾ ؛ أي ناراً حامية جداً شديدة الاتّقاد".[2]

وتتواصل مشاهد تهديد الكافرين في الآية التالية، إذ يقول سبحانه: ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (المزّمّل: ١٣)، يقول الزمخشري في تفسير الآية: "ومن طعام ذي غصَّة، وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ، يعني الضريع

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٣٩٣/٧.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٠/٢١.

وشجر الزقوم. ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولاً إليه أمرهم موذوراً بينه وبينهم ينتقم منه بمثل ذلك الانتقام"[١] .

وهكذا تكون كلمة: ﴿ أَلِيمًا ﴾ التي هي فاصلة الآية في غاية التناسب مع ما سبقها من معنى عن بيان ألوان العذاب، بأن ختمته بتعميم معنى الإيلام في تلك الألوان جميعها.

وفي إطار موضوع التهديد نفسه تنتقل الآية التالية إلى بيان أهوال اليوم الذي يقع فيه عذاب الكافرين بتغيَّر مظاهر الطبيعة المألوفة في الدنيا إلى أحوال باعثة على الخوف والرعب، فيقول سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ (المزّمّل ١٤). والمراد من ذلك أن أكثر مظاهر الطبيعة ثباتاً تتحول إلى حالة الاضطراب، فترتجف الأرض والجبال التي هي أوتادها، فتصبح رملاً مجتمعاً ﴿ مَّهِيلًا ﴾ ؛ إي رخواً ليّناً[٢] . وتناسب كلمة: ﴿ مَّهِيلًا ﴾ التي هي فاصلة الآية المعنى قبلها، إذ إنها وصف لحالة الجبال عند انحلال صلابتها، وبالتالي تناسب كامل المعنى المراد في الآية، وهو تغيُّر أكثر مظاهر الطبيعة ثباتاً.

ثم جاءت الآية التالية؛ لتربط بين لون آخر من ألوان تغيُّر المألوف في يوم القيامة، وتهديد الكفار بسبب كفرهم في مجابهة أهوال ذلك اليوم. وتمثَّل هذا اللون الآخر في التغيُّر الذي يطال الإنسان، حيث يعلو الشيب رؤوس الولدان، فقال سبحانه: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ (المزّمّل: ١٧)، وكلمة الفاصلة، هي: ﴿ شِيبًا ﴾، ووجه اتِّصالها بمعنى الآية قبلها يظهر في كونها تعبّر عن التغيُّر إلى الضد الذي يكون سمة لتبدُّل المالوف في الدنيا، فليس من المألوف أن تشيب نواصي الأطفال.

---

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٥٢.

(٢) أبو حيان، مرجع سابق، ٣٥٦/٨.

وأما قوله سبحانه في الآية التي تليها: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾ (المزّمّل ١٨)، ففيه صورة أخرى من صور تغيُّر مظاهر الطبيعة التي تبدو في الدنيا ثابتة لم يحدث أن نالها شيء من التغيُّر، وهي صورة السماء التي تتشقَّق في ذلك اليوم. وكلمة: ﴿ مَفۡعُولًا ﴾ التي هي فاصلة الآية تأتي وصفاً لوعد الله لتؤكِّد وقوعه، وتأتي خاتمة لتؤكد جملة ما سبقها من معاني التهديد بأهوال يوم القيامة، وبذا تكون في غاية التناسب والانسجام مع ما سبقها.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة المدَثِّر:

اشتملت سورة المدَّثِّر على عدد من الموضوعات، من بينها موضوع تهديد الوليد بن المغيرة. يقول ابن عاشور عن أغراض السورة: "تهديد من تصدَّى للطعن في القرآن، وزعمِ أنه من فول البشر، وكفرِ الطاعن نعمة الله عليه، فأقدم على الطعن في آيات الله مع علمه بأنها حقّ"[(١)] . يقول سبحانه: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴾ (المدَّثِّر: ١١)، وقد أجمع المفسرون على أن المراد ههنا الوليد بن المغيرة[(٢)] . وقد أمر الله سبحانه رسوله بأن لا ينشغل بالوليد، وأن يترك أمره إلى الله، فهو سبحانه كافٍ في الانتقام منه[(٣)] . وبالنظر إلى كلمة: ﴿ وَحِيدٗا ﴾ التي هي فاصلة الآية يتَّضح تناسبها، بل تناغمها مع معنى التهديد في كلمة: ﴿ ذَرۡنِي ﴾ ؛ لأنه لا تهديد أكثر من أن تواجه الله وحيداً ليس في معيَّتك إلا كفرك وطعنك في القرآن.

ثم شرعت الآيات التالية في تعداد نعم الله عليه؛ لبيان مدى جحوده، فقال سبحانه: ﴿ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴾ (المدَّثِّر: ١٢)، يقول القرطبي: "أي خولته وأعطيته مالاً ممدوداً، وهو ما كان للوليد بين مكة والطائف من الإبل

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩٣/٢٩.
(٢) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٩٨/٣٠.
(٣) انظر: المرجع السابق.

والحجور (جمع حِجر، وهي الفرس الأنثى) والنعم والجنان والعبيد والجواري، كذا كان ابن عباس يقول"[١] . وفاصلة الآية كلمة: ﴿ مَّمْدُودًا ﴾ التي هي وصف للمال بالسعة والكثرة، وامتداد البساتين ما بين مكة والطائف، وهي بهذا تكون قد مكنت المعنى المراد من تعداد النعم وتنوَّعها وعظمها؛ ليكون الجحود أعظم.

ومن النعم التي يمتنُّ الله بها كثيراً على عباده نعمة البنين، وقد كانت مما أنعم الله به على الوليد بن المغيرة، فقال سبحانه: ﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ (المدَّثِّر: ١٣)، يقول الزمخشري في تفسير الآية: "حضوراً معه بمكة لا يفارقونه للتصرُّف في عمل أو تجارة؛ لأنهم مكفيُّون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسُّب وطلب المعاش بأنفسهم، فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم". وتنسجم كلمة الفاصلة التي هي: ﴿ شُهُودًا ﴾ مع هذا المعنى تماماً؛ لأنها تعني حضور الأبناء الدائم الذي فيه مسرَّة قلب الأب واستئناسه بهم.

وتواصل الآيات في تعداد النعم، فيأتي بعد ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾ (المدَّثِّر: ١٤)، يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: "وبسطت له في العيش بسطاً"[٢] . وتأتي كلمة: ﴿ تَمْهِيدًا ﴾ في صورة المفعول المطلق المؤكِّد للفعل، وبذا يكون التناسب بيِّناً بين الفاصلة والآية قبلها، ويأتي على وجه التصدير أو ردِّ العجز على الصدر.

وتبيِّن الآية التالية طمع الوليد في زيادة الرزق واتساع النعم مع ما كان عليه من جحودها، فيقول سبحانه: ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ (المدَّثِّر: ١٥)، وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ أَزِيدَ ﴾ التي لا يخفى تناسبها مع معنى الطمع في صدر الآية.

---

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٣٧٢/٢١.

(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٠٢/٧.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة القيامة:

من موضوعات سورة القيامة بيان موقف الكفار من الدنيا والآخرة، فذكرت الآيات أنهم يحبُّون العاجلة المشهودة، ويقبلون عليها، ويتركون الآخرة الغائبة التي يكون التصديق بها عن طريق الإيمان بما جاء في القرآن الكريم وهدي الرسول ﷺ. ويأتي هذا المعنى في آيتين تتَّصل إحداهما بالأخرى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ (القيامة ٢١ – ٢٢). والفاصلة في الآية الأولى كلمة: ﴿ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾ ، وهي تناسب معنى ﴿ تُحِبُّونَ ﴾؛ لأن الكافر قلبه معلَّق بالدنيا وملذّاتها بحكم مثولها في عالم الشهادة، وهي كذلك تمكِّن معنى التعلُّق بالزائل. وشبيهة بذلك كلمة: ﴿ ٱلْآخِرَةَ ﴾ في الآية التالية التي هي فاصلتها، إذ إنها تناسب كلمة: ﴿ وَتَذَرُونَ ﴾ ؛ لأنها تكمِّل معناها وتبيِّن ما هو المتروك، وهي كذلك تمكِّن معنى التضاد المراد من الآيتين، والله أعلم.

ولأجل أنصاف أجزاء المعنى في أيات هذا الموضوع آيتين آيتين، فسيعالج هذا المبحث ست آيات بدلاً من خمس، وسيتّصل الحديث عن الآيتين التاليتين، وبيان معناهما معاً، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة ٢٢ – ٢٣)، والمراد في الآيتين أن وجوه المؤمنين تكون يوم القيامة متهلِّلة ناعمة مشرقة تنظر إلى ربها على ما يليق بذاته سبحانه، وعلى هذا جمهور العلماء[١] . والفاصلتان ﴿ نَّاضِرَةٌ ﴾ و ﴿ نَاظِرَةٌ ﴾ في الآيتين تكمِّل كل منهما المعنى قبلها، فالأولى وصف للوجوه مناسب لحالها من الحسن وعلامات المسرَّة والانبساط، والثانية مناسبة لإكمال معنى إكرام الله عباده المؤمنين المخلصين، بأن أتاح لهم النظر إلى وجهه الكريم سبحانه.

---

(١) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ٤٢٧/٢١.

لما كان الموضوع في أصله مقارنة ومفارقة بين حال المؤمنين وحال الكافرين، بغرض التحبيب والترغيب في الأولى، والتنفير والترهيب في الثانية، جاءت الأيتان التاليتان لبيان حال الكافرين المعرضين عن الاستجابة والإيمان؛ بغرض إظهار المفارقة، فقال سبحانه: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (القيامة ٢٤ – ٢٥)، يقول البغوي في تفسير الآيتين معاً: "عابسة كالحة مغبرّة مسودّة، تستيقن أن يعمل بها عظيمة من العذاب، والفاقرة الداهية العظيمة، والأمر الشديد يكسر فقار الظهر"[١] . والفاصلتان: ﴿ بَاسِرَةٌ ﴾ و ﴿ فَاقِرَةٌ ﴾ تتّصل كل منهما أيضاً بالمعنى الذي قبلها، فالأولى وصف للوجوه بالعبوس والكلوح، وهو وصف مناسب لحال من يجابه ما أعد له من ألوان العذاب، ويشعر في الوقت نفسه بالندم على ما قابل به الدعوة من الإعراض. والفاصلة الثانية مناسبة كذلك لما استيقنه من العذاب العظيم الذي وصفته الفاصلة وصفاً دقيقاً ممكّناً للمعنى بكونه يكسر فقار الظهر.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة الإنسان:

اشتملت سورة الإنسان على موضوع إثبات جزاء الإنسان يوم القيامة بحسب حاله من التقوى والشكر أو الكفر والإنكار مع إطناب في وصف حال الشاكرين، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (الإنسان: ١١)، وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ وَسُرُورًا ﴾ التي تبيّن حالهم بعد ما وجدوه من إكرام الله لهم بوقايتهم من شرور يوم الحساب، فاكتست وجوههم بعلامات حسن البشرة من فرح النفس ورفاهية العيش[٢] . وتناسب كلمة السرور نضرة الوجه، كما تناسب الوقاية من الشر، وكلا المعنيين هما مما ورد في الآية قبل الفاصلة.

---

(١) البغوي، مرجع سابق، ٢٨٥/٨.

(٢) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٨٨/٢٩.

وإذا كانت الآية السابقة قد بيّنت ما علا وجوههم من علامات الانبساط والفرح، بما قيَّض الله لهم من الوقاية من شر يوم القيامة، فقد جاءت الآية التالية لتتحدَّث عما نالوه من الجزاء بسبب صبرهم على العبادة والتقوى، وحرمان أنفسهم من ملذات الدنيا المحرمة، فقال سبحانه: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٢)، وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ وَحَرِيرًا ﴾ التي تعني اللباس اللبّين الفاخر، ولما كانت تصف اللباس، فهي تناسب تماماً كلمة ﴿ جَنَّةً ﴾ التي تشير إلى المأكل. يقول المراغي: "أي جزاهم بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعري بستاناً فيه مأكول هنيّ، وحريراً منه ملبس بهيّ"[١] .

وتتَّصل الآيات في بيان معنى عريض هو حال الشاكرين في الجنة، وما تحتويه من أسباب النعمة والرفاهية، فيقول سبحانه: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٣)، ويعني ذلك أنهم يجلسون جلسة ارتياح هي من شعار الملوك وأهل البذخ على سرر وفرش محشَّوة عليها ستائر دلالة على التنعُّم والرفاهية، وهواء الجنة معتدل لا ألم فيه من حر ولا برد[٢] . وفاصلة الآية كلمة: ﴿ زَمْهَرِيرًا ﴾، وتعني البرد، وهي تقابل كلمة شمساً التي يراد منها هنا الحر، والله أعلم. وهي بذلك تكمِّل معنى الاعتدال، وتمكِّن معنى حال الدعة والارتياح الذي هم فيه.

ومن مظاهر هذه النعمة السابغة ما جاء في قوله سبحانه: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (الإنسان: ١٤)، يقول الطبري في تفسير الآية: "قُرِّبت منهم ظلال أشجارها، وذُلِّل لهم اجتناء ثمر شجرها، كيف شاءوا قعوداً وقياماً

(١) المراغي، مرجع سابق، ١٦٦/٢٩.
(٢) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٨٩/٢٩.

ومتَّكئين"[١] . وهذا مظهر آخر من مظاهر النعمة، هو استظلالهم بظلال أشجار الجنة، وأكلهم من ثمارها بلا مجهود يبذل في قطفها. وفاصلة الآية كلمة: ﴿ نَزُلًا ﴾ ، وقد جاءت في صورة المفعول المطلق المؤكِّد للفعل، ولذا فهي تناسب المعنى قبلها بتأكيده، وتعود لفظاً على ما تصدَّرها، وتضيف معنى نيل نعم الجنة بلا مجهود إلى مجمل مشهد الراحة والمتعة.

ثم جاءت آية تضيف معنى أن لهم خدماً يخدمونهم، وذلك ببناء الفعل لما لم يسمَّ فاعله، ووصفاً للآنية التي يسقونهم بها أشربة الجنة: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ (الإنسان: ١٥)، وفاصلة الآية هي كلمة: ﴿ قَوَارِيرَا۠ ﴾، وهي آنية رقيقة من الزجاج، غير أنها جاءت في الآية أنها من فضة، وفي ذلك يقول القرطبي: "أي في صفاء القوارير وبياض الفضة؛ فصفاؤها صفاء الزجاج، وهي من فضة. وقيل: أرض الجنة من فضة، والأواني تتخذ من تربة الأرض التي هي منها. ذكره ابن عباس"[٢] . وتتَّصل الفاصلة بما قبلها على وجه تمكين المعنى المخصوص المراد من فخامة آنية الشراب.

علاقة الفواصل بآياتها في سورة المرسلات:

ثمة حجة في إثبات البعث تتكرر في مواضع شتى من القرآن الكريم، ويُخاطب بها الكافرون عندما ينكرون البعث بعد الموت، ويقولون باستحالته بعد فناء الأجساد. هذه الحجة هي أن من أنشأ النشأة الأولى بدقَّة أطوارها قادر على إعادتها بعد الفناء، بل هي أهون عليه. وقد اشتملت سورة المرسلات على هذا الموضوع من بين موضوعاتها، فقال سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ (المرسلات: ٢٠)، وفي الآية كما هو واضح تذكير لهم بأصل خلقهم في صيغة استفهام إنكاري. وقد جاءت

(١) الطبري، مرجع سابق، ٤٢٢/٧-٤٢٣.

(٢) القرطبي، مرجع سابق، ٤٧٥/٢١.

فاصلة الآية التي هي كلمة: ﴿ مَّهِينٍ ﴾ وصفاً للماء الذي خلقوا منه بالحقارة والقذارة؛ لتنافي ما هم فيه من التعاظم والتعالي بما لهم من مال أو جاه أو بنين أو أي مظهر من المظاهر التي كانوا يتفاخرون بها، وكانت بذلك مناسبة للمعنى المراد، وهو التذكير بالأصل الحقير.

ثم تبعت ذلك آية تبيّن لهم الموضع والقرار الذي أراد الله لهذا الماء المهين أن يستقر فيه، فقال سبحانه: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (المرسلات ٢١)، والمراد بذلك رحم المرأة عند عامة المفسرّين[١]، وقد وصف بأنه: : ﴿ مَّكِينٍ ﴾ كما جاء فاصلة الآية، وهو وصف يكمّل المعنى المراد ويمكّنه، إذ يقتضي ذلك الحفظ حتى اكتمال الأطوار. والفاصلة بهذا المعنى تأتي على علاقة متينة بمعنى الآية قبلها.

أما قوله سبحانه: ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (المرسلات ٢٢)، فالمراد به مدة بقاء الجنين في رحم أمه إلى حين الولادة، وذلك وقت معلوم لله تعالى لا لغيره[٢] . والفاصلة التي هي كلمة: ﴿ مَّعْلُومٍ ﴾ تناسب معنى الآية قبلها؛ لأنها تصف القدر المذكور على وجه التنكير، وتحدّد أنه معلوم، ونفهم أن معلوم هذه المراد بها علم لله لا علم لغيره، إذ لم تفصح عن مدة.

ثم جاء بعد ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ (المرسلات: ٢٣)، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "فقدرنا أطوار خلقكم حتى أخرجناكم أطفالاً ... وكان تقديرنا تقدير أفضل قادر، وهذا تنويه بذلك الخلق العجيب بالقدرة"[٣]

(١) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ج٣٠، ص٢٧٢.
(٢) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢٧٣/٣٠.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٣٢/٢٩.

. فكلمة الفاصلة التي هي: ﴿ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ تأتي على وجه علاقة التصدير التي ردَّت العجز على الصدر لفظاً ومعنى، فناسبت صدر الآية في كلمة: ﴿ فَقَدَرْنَا ﴾ ، وكمَّلت معنى الآية في مدح الله سبحانه، ومدح قدرته على خلق الإنسان في هذه الأطوار العجيبة.

جاءت بعد ذلك آية تكررت كثيراً في سورة المرسلات هي قوله سبحانه: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات: ٢٤)، ويحمل معناها عامة المفسرين على أنه تكذيب بما يسبقها من خبر، فهو إذن هنا تكذيب بما أخبرت عنه الآيات من أطوار خلق الإنسان[١]. وبذا تكون كلمة: ﴿ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ التي هي فاصلة الآية مناسبة لمعنى التهديد في صدر الآية بالويل، إذ إنها تحدِّد لمن الويل المذكور. يقول المراغي قي تفسير الآية: "أي خزي وعذاب لمن كذب بهذه المنن العوالي"[٢] .

وبعدُ فقد خلص للمبحث إلى أن فواصل الآيات في سور حزء تبارك، قد جاءت في غاية التناسب مع آياتها، شأنها في ذلك شأن الفواصل في القرآن كله. فكانت مرات تكمِّل المعنى حتى ليكاد اللبيب أن يذكر الكلمة قبل أن يقرأها، وذلك كأن تكون وصفاً لموصوف يقابل آخر سبق ذكره في الآية، أو أن تكون مفعولاً مطلقاً يؤكِّد معنى فعل سابق قي صدر الآية، أو أن تكون مما يعود في لفظه على مذكور سابق فيما يعرف بردِّ الأعجاز على الصدور، ونحو ذلك.

(١) انظر: القرطبي، مرجع سابق، ٥٠٢/٢١.
(٢) المراغي، مرجع سابق، ١٨٣/٢٩.

المبحث السادس
العلاقة بين آيات السورة

ثمة أوجه رَبَطَ بها علماء المناسبة بين الآيات المتتالية في السورة الواحدة، من حيث توسيع المعاني وتكميلها وزيادتها، ومن هذه الأوجه أن تسبق آية فتعقبها أخرى توافقها في المعنى، وقد تسبق آية تعقبها أخرى تحمل معنى مضادًّا، وقد تكون الآية التالية تأكيداً لمعنى جاء في السابقة، وقد تكون تفصيلاً لما سبق إجماله، وقد تكون تعليلاً أو دليلاً على ما سبق ذكره، وما إلى ذلك من أوجه ترابط الكلام. يقول الفراهي عن اختلاف ترتيب الآيات وحكمته: "تنظَّم الأمور على أنحاء: فربما يُقدّم أمر، وربما يؤخَّر، وربما يربط الأصل بالفرع، وربما الأول بالآخر"(١).

وستتلمَّس الباحثة أوجه الربط هذه بين الآيات المتتالية في السورة الواحدة من سور جزء تبارك، على أن بحث هذا الربط لن يكون في كامل آيات السورة لما في ذلك من التطويل المفرط؛ ولذا فستكتفي ببحث أربع أو خمس آيات تتحدث عن موضوع واحد من موضوعات السورة. وتستعين – بعد الله – بما أورده بعض علماء المناسبة في الربط بين الآيات، ولا سيما ما أورده البقاعي في تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، فالرجل لا يكاد يغفل ربط آية بما يسبقها في تأمُّل بديع موفَّق. ثم تثبت الباحثة ما فتح الله عليها به من نتائج النظر في أمر العلاقة بين آيات كل سورة من سور جزء تبارك.

العلاقة بين آيات سورة الملك:

من موضوعات سورة الملك إخبار الله سبحانه الكافرين بقدرته المطلقة على معرفة ما يُسُّرون من قول أو يجهروا به، فالأمران سيّان عنده، وتعليل ذلك أنه سبحانه عالم ومطَّلع على قلب الكافر الذي هو بصدره، والذي هو موضع الإسرار

(١) الفراهي، عبد الحميد الهندي، دلائل النظام، ط ١، (المطبعة الحميدية، ١٣٨٨ هـ)، ص٥٩.

وحديث النفس؛ ولذا فإنه ليس من العقل في شيء الاعتقاد بأنه سبحانه لا يسمع السرَّ، وأنه يمكن للإنسان أن يُخفي عنه شيئاً. ثم ينكر سبحانه عليهم هذا التفكير المجافي للعقل، إذ إن الدليل على خطله قائم بكون الله خالق الإنسان ومودع القلوب في الصدور، وأنه سبحانه له صفتا اللطف والخبرة اللتان شأنهما إدراك البواطن[١] : ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ (الملك: ١٣ – ١٤)، يقول البقاعي عن ارتباط الآية اللاحقة بالآية السابقة: "ثم دلَّ على ذلك معجباً ممن يتوقَّف فيه أدنى توقُّف، ومنكراً عليهم بإثبات العلم ونفي ضدَّه على أبلغ وجه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ ﴾؛ أي وكل ما يمكن أن يُعلم"[٢] . ووجه الارتباط –كما يمكن للقارئ المتأمِّل أن يلحظ – إقامة الدليل في الآية االلاحقة على ما جاء في الآية السابقة.

وإذا كان الله سبحانه قد أقام لهم الدليل في الآية السابقة على علم الله المحيط بالسرِّ والعلانية، بكونه خالقه، ومودع قلبه في صدره، فقد جعل سبحانه آيات السورة تسترسل في بيان قدرته في إبداع خلقه بوجه آخر، مع امتنان على هذا الكافر الجاحد بما رزقه من النعم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك: ١٥)، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: " استئناف فيه عود إلى الاستدلال، وإدماج للامتنان، فإن خلق الأرض التي تحوي الناس على وجهها، أدلُّ على قدرة الله تعالى وعلمه من خلق الإنسان، إذ ما الإنسان إلا جزء من الأرض أو كجزء منها"[٣] . وفي كلام ابن عاشور هذا وجه للربط بين هذه الآية وسابقتها، هو وجه استئناف الكلام في أدلة قدرة الله سبحانه

(١) انظر: البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٤٣/٢٠.
(٢) المرجع السابق نفسه.
(٣) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣١/٢٩.

وتعالى. ويقول البقاعي عن ربط هذه الآية بقوله سبحانه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾: "ولما كان ذلك أمراً غامضاً دلَّ عليه بأمر مشاهد أبدعه بلطفه، وأتقنه بخبرته لاستدعا الشكر من عباده على ما أبدع لهم، ومنَّ عليهم به من النعم الباهرة التي بها قوامهم"(١) .

أما عن قوله سبحانه: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ (الملك: ١٦)، يقول ابن عاشور: "انتقال من الاستدلال إلى التخويف؛ لأنه لما تقرر أنه خالق الأرض ومذلِّلها للناس، وتقرر أنهم ما رعوا خالقها حقَّ رعايته، فقد استحقوا غضبه وتسليط عقابه بأن يصير مشيهم في مناكب الأرض إلى تجلجل في طبقات الأرض"(٢) . وبالتأمُّل في هذا الكلام يتَّضح أن وجه الربط بين هذه الآية وسابقتها هو الانتقال المنطقيّ من إقامة الحجة والبرهان إلى التهديد والتخويف بعاقبة مسلك الجحود والكفران بما دليله قائم وساطع كالشمس. ويقول البقاعي: " ولما لم يكن بعد الاستعطاف إلا الإنذار على الخلاف، قال مهدِّداً للمكذبين بعذاب دون عذاب جهنم منكراً عليهم الأمان بعد إقامة الدليل ... ﴿ ءَأَمِنتُم ﴾ ؛ أي أيها المكذبون"(٣) . ولعل وجه الربط في كلام البقاعي هذا لا يختلف عن الوجه الذي ربط به ابن عاشور في أن ما يقع بعد الاستدلال ومحاولة استمالتهم لشكر نعم الله – بحكم المنطق – هو التهديد والإنذار.

العلاقة بين آيات سورة القلم

بدأت سورة القلم بقَسَم بالنون والقلم: ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (القلم: ١)، وقد مال أكثر المفسرين إلى أن المراد بهما حرف النون والقلم الذي تسجِّل به الملائكة أعمال الخلق. ثم تلتها الآية الثانية جواباً لهذا القسم بقوله سبحانه:

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٤٤/٢٩.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٣/٢٩.
(٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٤٧/٢٠.

﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾ (القلم: ٢)، يقول الألوسي في تفسير الآية: " جواب القسم ... والمعنى انتفى عنك الجنون حال كونك ملتبساً بنعمة ربك؛ أي منعم عليك بما أنعم من حصافة الرأي، والنبوَّة، والشهامة"(١) . ووجه الارتباط هو أن الآية الأولى بيَّنت المقسم به، وبيَّنت الثانية المقسم عليه؛ أي أنها جاءت جواباً للقسم، وارتباط جواب القسم بالقسم أمر واضح. يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "والمقسم عليه نفي أن يكون الرسول ﷺ مجنوناً، والخطاب له بهذا تسلية له لئلا يحزنه قول المشركين لما دعاهم إلى الإسلام: هو مجنون"(٢) . وفي هذا وجه آخر من وجوه الارتباط، هو تأكيد تسلية الله سبحانه رسوله ﷺ بالقسم على تبرئته من الجنون.

ولما كان لهذه التهمة من وقع شديد على رسول الله ﷺ بعد أن عُرف بينهم بالأمين الذي كانوا يستحسنون خُلُقه، وقد صبر على ذلك، أراد الله أن يبشِّره على صبره بالأجر المستدام غير المنقطع، أو غير المنغَّص بالمنّ كما يرى بعض المفسرين، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴾ (القلم: ٣)، يقول ابن عاشور في تفسير الآية، وارتباطها بالآية التي قبلها: "ولما ثبَّت الله رسوله ﷺ فدفع بهتان أعدائه أعقبه بإكرامه بأجر عظيم على ما لقيه من أذى المشركين"(٣) . ووجه الارتباط بين الآيتين –كما يمكن ملاحظتها في هذا التفسير – أن ما جاء في الآية الثانية من الإكرام بالأجر العظيم إنما هو إضافة وزيادة على ما جاء في الآية الأولى من التثبيت والتسلية، فكأن ما هو انتقال من درجة إلى درجة أعلى. ويرى البقاعي أن الله سبحانه لما أثبت لنبيه ﷺ الأجر فقد أثبت له كمال العقل؛ لأن المجنون لا يستعمله أحد في شيء يكون له عليه أجر(٤) . وبهذا يكون البقاعي قد رأى وجه ارتباط آخر بين الآيتين، هو تأكيد نفي الجنون عنه ﷺ بإثبات الأجر له.

---

(١) الألوسي، مرجع سابق، ٣٣٢/٢٧.

(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٦١/٢٩.

(٣) المرجع السابق، ٦٢/٢٩.

(٤) انظر: البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٢٩١/٢٠.

وأما قوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم ٤)، فهو جارٍ على النسق التصاعدي نفسه في التسلية والتثبيت والمدح. يقول البقاعي: "ولما ثبت بهذا العقل ما أفاده من الفضل، وكان الذي يؤجر قد يكون في أدنى رتب العقل، بيَّن أنه ﷺ في أعلاها بقوله مؤكِّداً لما مضى: ﴿ وَإِنَّكَ ﴾، وزاد في التأكيد لزيادتهم في المكابرة"[١] . ولذا فوجه الارتباط بين الآيتين هو تأكيد المعاني والزيادة والإضافة التي حملتها الآية الثانية على ما جاء في الآية الأولى.

العلاقة بين آيات سورة الحاقَّة:

بدأت سورة الحاقَّة بالإخبار بأن يوم القيامة حق لا شك فيه وأن الأمم التى عصت رسلها وأعرضت عن دعوتهم أصابتها ألوان مختلفة من العذاب، وبيَّنت آيات السورة بعد ذلك اللون الذي أُهلكت به كل أمة من هذه الأمم. ولما كان هذا العذاب والإهلاك من العقاب الذي أصابهم في الدنيا، شرعت الآيات بعد ذلك تتحدث عن موضوع آخر هو عرض بعض أحداث يوم القيامة، وما فيه من تغيُّر مظاهر الطبيعة عما كانت عليه من ثبات في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ (الحاقة: ١٣)، يقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "النفخ في الصور عبارة عن أمر التكوين بإحياء الأجساد للبعث"[٢] . وهذا أول ما يحدث في يوم القيامة، وتأتي بعده مظاهر أخرى تمثِّلها الآية: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (الحاقَّة: ١٤)، يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "رفعت الأرض والجبال إما بالزلزلة التي تكون في

(١) المرجع السابق، ٢٠/٢٩٢.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٩/١٢٤.

القيامة، وإما بريح من قوة عصفها أنها تحمل الأرض والجبال، أو بملك من الملائكة، أو بقدرة الله من غير سبب فدكتا؛ أي فدكَّت الجملتان جملة الأرض وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندقّ"[١].

وارتباط الآية الثانية بالأولى يظهر في أنها تأتي صعوداً بالمعنى المثار في الآية الأولى من استعراض ألوان العذاب الدنيوي على الأمم الكافرة، إلى التهديد بما ينتظرهم في يوم القيامة، فبدأت الآيات فيه باستعراض أهواله المخيفة وأحواله المرعبة قبل ذكر ألوان العذاب الأخروي. يقول ابن عاشور: "فلما أتمَّ تهديدهم بعذاب الدنيا فرّع عليه إنذارهم بعذاب الآخرة الذي يحلُّ عند القارعة التي كذَّبوا بها كما كذَّبت بها ثمود وعاد، فحصل من هذا بيان للقارعة بأنها ساعة البعث، وهي الواقعة"[٢].

أما قوله سبحانه: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ (الحاقَّة: ١٥)، فيعني أنه حينئذٍ قامت القيامة، أي عند النفخة واندكاك الأرض والجبال. ووجه ارتباط هذه الآية بسابقتها أنها جاءت بوصفها نتيجة لمقدّمة ذكرت في الآية السابقة. ثم عادت الآية التي تلتها إلى وصف مظهر آخر من مظاهر أهوال القيامة: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ (الحاقَّة: ١٦)، أي أن السماء ضعيفة متساقطة غير متماسكة في يوم القيامة. ووجه ارتباط الآية الثانية بالآية الأولى، أنه يوم وقوع الواقعة تصير السماء في هذا اليوم بهذه الهيئة الضعيفة بعد تماسك؛ بغرض زيادة التهويل.

العلاقة بين آيات سورة المعارج:

اشتملت سورة المعارج على عدد من الموضوعات، كان أولها سؤال المشركين الله أن ينزل بهم العقاب الذي توعَّدهم به رسول الله ﷺ في شيء من التطاول والتحدّي بغرض تكذيب هذا الحديث. فجاءت الآيات الأولى من السورة متَّصلة بهذا

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٠٧/٣٠-١٠٨.
(٢) ابن عاشور، مرجع سابق، ٥٤/٢٩.

المعنى مؤَكِّدة وقوع هذا العذاب الذي يستحيل دفعه؛ لأنه من الله المتعالي ذي الدرجات الرفيعة، فبدأت الآيات المتَّصلة بقوله سحانه: ﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾ (المعارج ١). والمراد من قوله: ﴿ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ ﴾ ، أي واقع بهم لأجلهم أو لأجل كفرهم[١] .

ثم جاءت الآية الثانية لتضيف لهم حقيقة أحرى على حقيقة أن العذاب واقع بهم لا محالة، وأنه أيضاً يستحيل عليهم دفعه بأي وسيلة من الوسائل: ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ (المعارج ٢). ووجه ارتباط الآية هذه بسابقتها هو إضافة وصف آخر لموصوف ورد في الآية الأولى. يقول البقاعي: ولما أخبر بتحتُّم وقوعه علَّله بقوله: ﴿ لَيْسَ لَهُۥ ﴾ ؛ أي بوجه من الوجوه ولا حيلة من الحيل ﴿ دَافِعٌ ﴾ "[٢] . وبهذا يكون وجه الارتباط كما يراه البقاعي أن الآية الثانية جاءت تعليلاً لما ورد في الآية الأولى من تحتُّم وقوع العذاب.

ثم جاءت الآية الثالثة متَّصلة بالثانية ومتمِّمة للجملة الأخيرة فيها، فكأنما هي: ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ ، وبهذا يكون وجه ارتباط الآية الثالثة بالثانية تكملة المعنى. ويكون قوله سبحانه؛ ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ صفة لله سبحانه وتعالى تناسب ما يقتضيه المقام من التهويل وبيان العزة والجلال وعظمة الملكوت[٣] . وثمة وجه ارتباط آخر بين قوله: ﴿ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴾ في الآية اللاحقة وقوله: ﴿ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴾ في الآية السابقة، إذ إنه يستحيل دفع هذا العذاب من الله للملك الأعلى بما له سبحانه من العلو والدرجات والمقامات السامية.

---

(١) انظر: أبا حيان، مرجع سابق، ٣٢٧/٨.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٣٩٠/٢٠.

(٣) انظر: الألوسي، مرجع سابق، ٤١٧/٢٧.

وأما قوله سبحانه: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (المعارج ٤)، فالمراد به صعود الملائكة. يقول الشوكاني: "أي عرج الملائكة إلى المكان الذي هو محلها في وقت كان مقداره على غيرهم لو صعد خمسين ألف سنة"[١] . ووجه ارتباط هذه الآية بالآية التي قبلها، تكملة المعنى ببيان ما يحدث في المعارج على وجه التهويل وتصوير عظمة الملكوت.

العلاقة بين آيات سورة نوح:

من موضوعات سورة نوح، لفت نوح عليه السلام نظر قومه إلى إبداع الله خلق السموات والأرض وما فيهن ليكون دليلاً لهم على وحدانية الله وقدرته الخارقة. وقد جاء عدد من الآيات متَّصلة المعنى من أوجه مختلفة لتكون دليلاً وبرهاناً على ذلك. ومنها قوله سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ (نوح، ١٥)، ويسوق الله سبحانه الدلائل على وحدانيته وقدرته وأنه الخالق المبدع المتصرِّف في هذا الكون إحياناً بدلائل الأنفس وأحياناً بدلائل الآفاق بحسب مقتضى الحال، وقد يقدم إحدى هذه الدلائل ويؤخِّر الأخرى بحسب مقام المخاطبة. وقد بدأ هذه الآية المتَّصلة المعنى بدلائل الآفاق[٢]. وتتَّصل بمعنى هذه الآية، بل تكمِّله الآية التي تليها: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾ (نوح: ١٦)، يقول البيضاوي في تفسير الآية: "أي في السموات، وهو في السماء الدنيا وإنما نسب إليهن لما بينهن من الملابسة، ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾. مثَّلها به؛ لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله"[٣] . ووجه ارتباط الآية

---

(١) الشوكاني، مرجع سابق، ٢٨٨/٥.

(٢) انظر: الفخر الرازي، مرجع سابق، ١٣٩/٣٠. التفسير الكبير.

(٣) البيضاوي، ناصر الدين عبد الله، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، إعداد وتقديم: محمد المرعشلي، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، ٢٤٩/٥.

اللاحقة بالآية السابقة هو تكملة المعنى بزيادة وصف السموات، فإذا كانت الآية السابقة قد وصفت تركيب السموات طبقات بعضها فوق بعض، فقد جاءت الآية اللاحقة لتصف بعض ما تحتويه هذه السموات من أجرام، فذكرت الشمس بوصفها جرماً مضيئاً بنفسه، والقمر بوصفه جسماً عاكساً لضوء الشمس.

وأما عن قوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ﴾ (نوح ١٧)، فقد أجمع المفسِّرون على أن المراد بالإنبات الإنشاء لما بينهما من وجه الشبه في النمو والتكوين من عناصر الأرض. ووجه ارتباط هذه الآية بسابقتها، أنه لما ذكر السماء في الآية السابقة وما فيها من دلائل الوحدانية والتفرُّد بالخلق، أعقبه بذكر الأرض بوصفها الوجه الآخر لدلائل الابداع في الخلق. يقول ابن عاشور: "أنشأ الاستدلال بخلق السموات حضور الأرض في الخيال، فأعقب نوح به دليله السابق استدلالاً بأعجب ما يرونه من أحوال ما على الأرض وهو الموت والإقبار، ومهَّد لذلك ما يتقدَّمه من إنشاء الناس"[١] . وثمة وجه آخر لارتباط الآية اللاحقة بالسابقة وهو الاستدلال بخلق الإنسان على القدرة والوحدانية، فكما استدلَّ سبحانه على هاتين الصفتين في الآية الأولى بخلق الشمس والقمر في السماء، أراد أن يزيدهم من هذه الدلائل، فغيَّر مما هو في الآفاق، إلى ما هو في أنفسهم. وفي ذلك يقول البقاعي: "ولما دلَّ على كمال علمه وتمام قدرته بخلق الإنسان، ثم بخلق ما هو أكبر منه أعاد الدلالة بخلق الإنسان لأنه أعظم المحدثات وأدلُّها على الله سبحانه وتعالى"[٢] .

وقد أراد الله سبحانه – وهو أعلم بما يريد – أن يذكِّرهم بأن لحياتهم نهاية محتومة، وأنهم سيعودون إلى داخل هذه الأرض التي خرجوا منها مقبورين، ثم يخرجون منها مرة أخرى مبعوثين: ﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾ (نوح: ١٨). ووجه الارتباط بين هذه الآية وسابقتها أن الحديث فيها استمرَّ عن الأرض، وعلاقة الإنسان بباطنها وظاهرها، فإذا كانت

(١) ابن عاشور، مرجع سابق، ٢٠٤/٢٩.

(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٤٤٣/٢٠.

علاقته بها في الآية الأولى قد جاءت في حالة خروجه منها مخلوقاً، فقد جاءت علاقته بها في الآية الثانية داخلاً فيها مقبوراً، وخارجاً منها مبعوثا.

العلاقة بين آيات سورة الجنّ:

جاء في موضوعات سورة الجنّ خطاب للرسول ﷺ يلقِّنه فيه إجابات معيَّنة، ويأمره بإلقاء أقوال محدَّدة للمشركين من الإنس والجن لما اجتمعوا عليه يتعجَّبون من دعائه المخالف لدعائهم أصنامهم، يريدون أن يطفئوا نور الدعوة بحسب أقوال بعض المفسِّرين لقوله سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ (الجنّ: ١٩)، يقول القرطبي: "وقال الحسن وقتادة وابن زيد: يعني ﴿ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ ﴾ محمّد بالدعوة، تلبَّدت الإنس والجنُّ على هذا الأمر ليطفئوه، فأبى الله إلا أن ينصره، ويتمَّ نوره"[١] . ثم أعقب هذه الآية قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الجنّ: ٢٠)، وفيه أمر للرسول ﷺ بأن يخاطب المشركين ليردَّ على تعجُّبهم مما كان يمارسه من العبادة، بأنه ليس هنالك ما يدعو إلى العجب، وإنما أنا عبد يدعو ربه ويتعبَّده بما رأيتم من مشهد مخلصاً العبادة له وحده بعقيدة خالصة من الشرك.

ووجه ارتباط هذه الآية بسابقتها، إنما هو بكونها ردّاً وتوضيحاً بغرض إزالة العجب الذي تضمَّنه المعنى في الآية الأولى، وإنكار عليهم لرغبتهم في إطفاء نور دعوته التي هي دعوة حق. يقول البقاعي: "ولما كان من يدعو سيده وينقطع إليه عاملاً للواجب عليه، اللائق بأمثاله لا ينكر عليه ولا يعجب منه ... قال معجباً كل القاسطين من الجنِّ الإنس: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾ "[٢] .

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٣٠٢/٢١.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٤٩٠/٢٠.

ثم تمضي الآيات تبيّن أوامر الله سبحانه لنبيّه بما يقوله للمشركين في هذا المقام، فتأتي الآية: ﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (الجنّ: ٢١)، يقول القرطبي: "أي: لا أقدر أن أدفع عنكم ضرًّا ولا أسوق لكم خيراً"[١] . وفي هذا القول تبرُّؤٌ من الحول والقوة في إحداث الضرر والنفع، وبيان لحقيقته البشرية ﷺ، ولا شكَّ أنه أمر مهمٌّ للغاية في مبتدأ الدعوة حتى يعلم المشركون أن الملك والقدرة كلها بيد الله حتى يتركوا الشرك إلى التوحيد. يقول البقاعي: "ولما كان السامع ربما قال: ما له هو لا يهلكهم، أو يدعو ربه في دفع المتلبّدين عليه عنه بالإهلاك، أو التوبة والمتابعة، أمر بما يبيّن عظمة ربه، وأنه لا يفعل إلا ما يريد"[٢] .

ووجه العلاقة بين الآية اللاحقة والآية السابقة، أنها جاءت استمراراً وتوسُّعاً في محض القدرة لله سبحانه، فقد ورد في الآية الأولى تبرُّؤ النبي ﷺ من إشرك الله بأحد من خلقه، والإشراك إنما يكون بادّعاء شيء من قدرات الله لأحد من خلقه، فكانت هذه الآية تأكيداً لهذا المعنى. وثمة وجه ارتباط آخر هو في بيان حقيقة النبي البشرية ﷺ التي جاءت في قوله سبحانه في الآية السابقة: ﴿ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى ﴾ التي تعني أنه عبد من عبيد الله.

وأما قوله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ (الجنّ ٢٢)، فيعني أنه لن يمنعني أحد من الله إن أرادني بسوء، ولن أجد من غيره منحرفاً ومعدلاً، وأصل الملتحد مدخل في الأرض[٣] . ويقول الألوسي أيضاً: " وهذا على ما قيل: بيان لعجزه عليه الصلاة والسلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه ﷺ عن شؤون غيره"[٤] . وفي

(١) القرطبي، مرجع سابق، ٣٠٤/٢١.
(٢) البقاعي، نظم الدرر، ٤٩٣/٢٠.
(٣) انظر: الألوسي، مرجع سابق، ٥٠٨/٢٧.
(٤) المرجع السابق.

هذا وجه من وجوه العلاقة بين هذه الآية وسابقتها؛ أي العجز عن الشؤون التي هي من اختصاص الله سبحانه وتعالى، لغيره ﷺ التي جاءت في الآية الأولى، ولنفسه التي جاءت في الآية الثانية.

العلاقة بين آيات سورة المزَّمِّل:

ثمة موضوع تكرر كثيراً في سور جزء تبارك، ، وهو موضوع تهديد الله الكافرين بالعذاب على ما كان منهم من الإعراض عن دعوة النبي ﷺ. وغالباً ما يأتي هذا التهديد في أمر الله رسوله بأن يترك شأن الكافرين له وحده، وتعديده سبحانه لأصناف هذا العذاب في مأكلهم ومشربهم وتقييدهم بالسلاسل والأغلال، وتخويفهم بأهوال يوم القيامة وما يحدث فيه من تبدُّل أحوال الطبيعة عما كانت عليه في الدنيا، ونحو ذلك، ولم تكن سورة المزَّمِّل بدعاً في ذلك، فقد جاء فيها قوله سبحانه: ﴿ وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ (المزّمّل: ١١)، وفيه أمر للرسول ﷺ بأن يترك أمر المشركين لله وحده، كما تضمَّن القول تذكيراً لهم بجحودهم بنعمه عليهم يوم أن صدُّوا عن دعوة رسولهم ﷺ إلى عبادته سبحانه، وتضمَّن القول أيضاً تهديدهم بقوله سبحانه: ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾، ثم أعقب ذلك قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾ (المزَّمِّل ١٢). يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: " ﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ ﴾ ما يضاد تنعُّمهم من أنكال؛ وهي القيود الثقال. عن الشعبي: إذا ارتفعوا استفلت بهم ... ومن جحيم، وهي النار الشديدة الحرِّ والاتِّقاد"[١] . ويستطيع المتأمِّل في هذا التفسير أن يكشف عن وجه من أوجه الربط بين هذه الآية وسابقتها؛ ذلك أنه سبحانه لما ذكر لهم ما نعَّمهم به في الدنيا، قابَله بما أعد لهم من القيود والأغلال في الآخرة. كما أن الآية الثانية تأتي على إرادة التفصيل لما عُمِّم في الأولى؛ ذلك أن التهديد كان مطلقاً في الآية الأولى، ولكن

---

(١) الزمخشري، مرجع سابق، ص١١٥٢.

هذه قد شرعت في بيان ألوان العذاب الذي هددهم به. يقول البقاعي: "ولما كان أشدُّ ما على الإنسان منعه مما يريد من الانبساط به من الحركات، قال ذاكراً ما يضاد ما فيه من النعمة والعزّ: ﴿ أَنكَالًا ﴾ جمع نِكل، وهو القيد الثقيل"(١).

وكما ذكرت سابقاً فإن الله سبحانه وتعالى أعد للكافرين ألواناً من العذاب الذي ينتظرهم، فمنها ما هو بدني، ومنها ما هو نفسي، وما هو ظاهري وما هو باطني، فلما كان قد ذكر في الآية السابقة الأغلال بوصفها لوناً ظاهرياً على ما كان منهم من الصدِّ والإعراض، فها هو سبحانه يذكر لهم لون الطعام الذي أعده لهم بحيث ينشب في حلوقهم جزاء على ما كان منهم من جحود النعم وكفرانها(٢) : ﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (المزّمّل ١٣)، وفي هذا وجه من أوجه الارتباط بين الآيتين هو الاستطراد في بيان ألوان العذاب.

ثم يأتي من بعد ذلك قوله سبحانه: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾ (المزّمّل ١٤)، وفي هذا القول انتقال من بيان ألوان العذاب إلى التخويف بأهوال القيامة، وتبدُّل أحوال مظاهر الطبيعة من هيئاتها المعتادة في الدنيا إلى هيئات باعثة على خوف ورعب شديدين. ويمثِّل الانتقال من ذكر العذاب إلى ذكر أهوال القيامة وجهاً من أوجه الارتباط بين الآيتين، فكلا الأمرين يجريان مجرى الوعيد والتهديد الذي يراد له أن يدفعهم إلى الإيمان وترك التكذيب. ويرى البقاعي أن وجه الارتباط بين الآيتين هو تكميل الثانية لمعنى الأولى، حيث إنه سبحانه لما ذكر العذاب في الآية السابقة، ذكر ظرفه في الآية اللاحقة(٣).

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، ٢٠/٢١.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢١/٢١.

(٣) انظر: المرجع السابق.

العلاقة بين آيات سورة المدَّثّر:

من موضوعات سورة المدَّثِّر سؤال أصحاب اليمين وهم يتنعَّمون في البساتين للمجرمين: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴾ (المدَّثِّر: ٤٢)، والمقصود من السؤال زيادة التوبيخ والتخجيل، والمعنى: "ما حبسكم في هذه الدركة من النار؟ فأجابوا بأن هذا العذاب لأمور أربعة: أولها: ﴿ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ (المدَّثِّر ٤٣)"[١] ، وتمثِّل هذه الإجابة اعترافاً بسلسلة من الآثام، أولها: تركهم تعبُّد الله بالصلاة. ووجه ارتباط هذه الآية بسابقتها ارتباط منطقي، وهو ارتباط الإجابة بالسؤال.

وتسرد الآيات المتتالية الأمور التي استحقوا من أجلها أن يُسلكوا في سقر، فتأتي الآية: ﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴾ (المدَّثِّر ٤٤). يقول الطبري: "بخلاً بما خوَّلهم الله، ومنعاً له من حقِّه"[٢] . يقول البقاعي في ربط هذه الآية بسابقتها: "ولما نفوا الوصلة بالخالق أتبعوه إفساد القوة العملية بعدم وصلة الخلائق بترك الشفقة على خلق الله"[٣] . فوجه صلة الآية اللاحقة بالآية السابقة هو ذكر وجه آخر من وجوه إجرامهم.

واستمرَّت الآيات تعدد الأمور التي اعترفوا بأنها كانت سبباً في دخولهم النار، فجاء قوله تعالى: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ (المدَّثِّر ٤٥)، يقول أي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه ... وأريد بالباطل ما لا ينبغي من القول والفعل"[٤] . يقول البقاعي عن صلة هذه الآية بسابقتها: "ولما سلبهم التحلّي بلباس الأولياء أثبت لهم التحلي بلباس الأشقياء بإفساد القوة

---

(١) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٤٠٦/٣٠.
(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤٠٦/٧.
(٣) البقاعي، نظم الدرر، نظم الدرر، ٧٥/٢١.
(٤) الألوسي، مرجع سابق، ٨٣/٢٨.

النطقية جامعاً القول إلى الفعل"[١] . ويريد البقاعي بذلك أن الآيتين السابقتين كانتا نفياً للفضائل الحاصلة من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن هذه الآية جاءت إقراراً بإتيان رذيلة الخوض فيما لا ينبغي من القول والفعل. ووجه اتصال هذه الآية بتلك هو نفي في الأولى وإثبات في الثانية.

ثم تتواصل آيات إقرارهم بما كانوا يأتونه من الآثام في قول سبحانه: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ (المدَّثِّر ٤٦)، ويوم الدين هو يوم الجزاء والحساب، ولعل هذا التكذيب هو ما كان يبعث فيهم الجرأة على الله بارتكاب المعاصي. ووجه ارتباط هذه الآية بسابقتها، أنها تمثِّل استمراراً في تعداد الأمور التي جعلتهم يدخلون النار. يقول البقاعي: "ولما كان الإدمان على الباطل يجرُّ إلى غلبة الهزؤ والسخرية، وغلبة ذلك لا بد توجب إفساد القوة العلمية بتصديق الكذب وتكذيب الصدق قالوا: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ ﴾"[٢]، ويريد البقاعي بذلك أن التكذيب بيوم الدين كان نتيجة منطقية لما اعتادوه من الخوض في الباطل، وبذا يكون وجه الارتباط أن الآية الثانية ترتبط بالأولى بكونها نتيجة لمقدمة وردت في الآية الأولى.

ولا يكتمل موضوع هذه الآيات إلا بقوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴾ (المدَّثِّر: ٤٧)، أي أن ما كنا نأتي من أفعال استمرَّ على حاله إلى أن أدركنا الموت ولم يتهيأ لنا الإقلاع عنه. ووجه ارتباط هذه الآية بسابقتها أنها جاءت تكملة للمعنى الوارد في الآية الأولى وهو استمرارنا على حال التكذيب حتى نهاية حياتنا.

---

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ٧٥/٢١.

(٢) المرجع السابق، ٧٦/٢١.

العلاقة بين آيات سورة القيامة:

اشتملت سورة القيامة على توجيه للرسول ﷺ بعدم التعجُّل في قراءة القرآن مسارعة منه إلى حفظه لحبه إياه: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ (القيامة: ١٦)، يقول الطبري في تفسير الآية: "قال بعضهم: قيل له ذلك؛ لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به، يريد حفظه من حبه إياه، فقيل به لا تعجل به من حبه إياه، فقيل له: لا تعجل به فإنا سنحفظه عليك"(١) .

جاءت الآية التالية لآية النهي عن العجلة بالقرآن: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٧)، لتؤكِّد للرسول ﷺ أن الله قد ضمن له أن يجمعه له في صدره وتكفَّل له بتحفيظه إياه حتى يستطيع أن يقرأه بعد تثبيته في صدره. ووجه الصلة بين هذه الآية وسابقتها أنها جاءت تعليلاً، وبيانا لسبب النهي عن تحريك اللسان بالقرآن.

أما قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٨)، فالمراد به اتّباع قراءة جبريل عليه السلام في رأي بعض المفسرين. يقول الفخر الرازي: "أي لا ينبغي أن تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبريل، لكن يجب أن تسكت حتى يتمَّ جبريل القراءة، فإذا سكت جبريل فخذ أنت في القراءة"(٢) . ووجه ارتباط هذه الآية بالأية التي سبقتها، أنه لما نُهي ﷺ عن تحريك اللسان بالقرآن، كان لا بد أن يؤمر باتباع طريقة أنفع له في فهم القرآن وحفظه، فجاءت في الآية: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾. ويقول البقاعي عن صلة هذه الآية بسابقتها: "ولما نهاه أمره، فقال: ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ ؛ أي أقدرنا جبريل عليه الصلاة والسلام على تأديته إليك كما حملناه له بما لنا من

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤١٣/٧.
(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢٢٥/٣٠.

العظمة وعلى حسبها ﴿ فَٱتَّبِعْ ﴾؛ أي بغاية جهدك بإلقاء سمعك، وإحضار ذهنك ﴿ قُرْءَانَهُۥ ﴾؛ أي قراءته مجموعة"[١]. ووجه ارتباط الآية اللاحقة بالسابقة أن اللاحقة اشتملت على أمر باتِّباع طريقة قراءة، وأن السابقة كانت قد اشتملت على نهي عن طريقة قراءة.

يقول الطبري في تفسير قوله سبحانه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ (القيامة: ١٩)، "يقول تعالى ذكره: ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه، وأحكامه لك مفصَّلة"[٢] . ووجه اتصال هذه الآية بالآية السابقة، أن هذه جاءت بكلامٍ عن محتوى القرآن من الأحكام وبيان الحلال والحرام، وأن الآية السابقة اقتصر الكلام فيها على القراءة.

العلاقة بين آيات سورة الإنسان:

ثمة موضوع في سورة الإنسان تحدثت فيه آيات كثيرة من آيات السورة، ذلك هو النعيم الذي أعده الله سبحانه وتعالى جزاء الأبرار في يوم القيامة على ما كان لهم من صالح الأعمال في الدنيا. وقد اشتملت هذه الآيات على وصف مفصَّل لألوان كثيرة من هذا النعيم شمل جوانب عديدة منه. يقول سبحانه: ﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٢)، يقول ابن عاشور في تفسير الآية: "وكان الجزاء برفاهية العيش، إذ جعلهم في أحسن المساكن وهو الجنة، وكساهم أحسن الملابس وهو الحرير الذي لا يلبسه إلا أهل فرط اليسار فجمع لهم حسن

(١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق، ١٠١/٢.
(٢) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ٤١٣/٧.

الظرف الخارج، وحسن الظرف المباشر، وهو اللباس"[١]. ويعني هذا أن هذه الآية اهتمت بذكر ألوان النعيم المسكن والملبس.

ثم يأتي من بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ (الإنسان: ١٣)، وتبيّن هذه الآية حالة أخرى من حالات التنعُّم في الجنة بالحديث عن لين الفرش والوسائد، فكل ما يُتوسَّد ويُفترش مما له حشو يُسمى أريكة[٢] . وقوله سبحانه: ﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ يعني أن هواءها معتدل في الحر والبرد. وترتبط هذه الآية بسابقتها بأنها أضافت حالة الشعور بالراحة والاسترخاء إلى ألوان النعيم المذكورة في الآية السابقة، وهي المسكن والملبس، وبذا يكون وجه الارتباط التوسُّع في وصف حال الأبرار في الجنة.

وتمضي الآيات تعدد ألوان التنعُّم التي أعدها الله لهم جزاء على صبرهم على مشقة العبادة، فيقول سبحانه: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ (الإنسان: ١٤)، ويُراد بذلك ظلال أشجار الجنة. يقول ابن عاشور: والمعنى أن أدواح الجنة قريبة من مجالسهم، وذلك مما يزيدها بهجة وحسناً"[٣] . وقوله سبحانه: ﴿ وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾؛ يعني أنها سُخِّرت لهم فيستطيع الواحد منهم أن يأكلها وهو قائم أو جالس أو مضطجع[٤] . ووجه الارتباط بين الآية اللاحقة بالآية السابقة، أنها معطوفة عليها بوصفها مظهراً آخر من مظاهر نعيم الجنة، فهي تأتي إضافة وزيادة في معنى التنعُّم في الجنة الرابط لجملة الآيات المتتالية.

---

(١)ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٨٨/٢٩.

(٢) انظر: ابن عاشور، مرجع سابق، ٣٨٩/٢٩.

(٣) المرجع السابق ٣٩٠/٢٩.

(٤) انظر: الفخر الرازي، ٢٤٨/٣٠.

وعلى نهج الاستطراد في وصف نعيم الجنة نفسه يأتي قوله سبحانه: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ (الإنسان: ١٥)، ومعنى الآية كما يفسِّرها الطبري: "يقول تعالى ذكره: ويطاف على هؤلاء بآنية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم هي من فضة كانت قوارير، فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج"[١] . ووجه ارتباط هذه الآية بسابقتها الاستطراد في وصف ألوان نعيم الجنة، فإذا كانت الآية السابقة قد تناولت وصف الأشجار وظلالها ودنو ثمارها وسهولة قطفها، فقد انتقلت هذه الآية إلى وصف آنية الشراب.

العلاقة بين آيات سورة المرسلات:

من موضوعات سورة المرسلات موضوع الحجة على قدرة الله سبحانه على بعث الخلائق بعد فنائها ومكوثها في الأرض إلى اليوم المحدَّد في علم الله للبعث، وهي حجة أن من خلق الخلق الأول لا بد أن يكون قادراً على إعادته. وتأتي هذه الحجة في أكثر الأحيان في قالب التذكير بأطوار خلق الجنين. يقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ (المرسلات: ٢٠)، يقول الفخر الرازي: "إنه تعالى ذكَّرهم كونه قادراً على الابتداء، وظاهر في العقل أن القادر على الابتداء قادر على الإعادة"[٢].

(١) الطبري، جامع البيان، ٤٢٣/٧.

(٢) الفخر الرازي، مرجع سابق، ٢٧٢/٣٠.

ثم جاءت الآية التالية لتبين موضع هذا الماء المهين: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ (المرسلات: ٢١)، والمراد به رحم المرأة، ووجه الارتباط واضح في أن الآية اللاحقة جاءت لإكمال معنى الآية السابقة ببيان الموضع الذي جعل الله فيه هذا الماء المهين.

أما قوله سبحانه: ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (المرسلات ٢٢)، فيقول عنه الألوسي: "أي مقدار معلوم من الوقت، قدره سبحانه للولادة، تسعة اشهر أو أقل منها أو أكثر"[١] . وإذا كانت الآية السابقة قد تحدَّثت عن الموضع فهذه تتحدَّث عن الوقت. وهذا وجه بيّن من أوجه الارتباط بين الآيتين.

ويأتي بعد ذلك قوله سبحانه: ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ (المرسلات: ٢٣)، أي فقدرنا ذلك تقديراً دالاً على كمال القدرة وكمال الرحمة، فنعم المقدرون له نحن[٢] . ويرتبط معنى القدرة هذا بما ورد في الآية السابقة من قوله: ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ، وهو ارتباط يأتي على وجه الإيضاح والتبيين بإسناد كل هذا الأمر بكامل أطواره إلى قدرة الله سبحانه.

وبتتبع ما وفَّق الله الباحثة لكتابته في هذا المبحث يتَّضح أن آيات السور المختلفة في جزء تبارك ترتبط بعضها ببعض بأنواع شتى من الروابط، لا سيَّما ما تم اختياره من الموضوعات في كل سورة من السور. وقد اختارت الباحثة أن تبحث الربط بين أربع آيات فحسب في غالب الأحيان، بيد أنهازادت على ذلك في مرة أو مرتين بسبب ارتباط معنوي شديد بين الآيات بعد الأربع، ماقبلها. وكان التزام الباحثة هذا العدد تفادياً للتطويل الذي يخلُّ بتوازن حجم المباحث.

---

(١) الألوسي، مرجع سابق، ١٨٤/٢٨.

(٢) انظر: الألوسي، مرجع سابق، ١٨٦/٢٨.

الخاتمة

وهكذا، وبنهاية المبحث السادس من الفصل الثاني يكون البحث قد وصل إلى نهايته، وتكون الباحثة قد أتت على تناول المباحث العشرة الموزَّعة على فصلين: أربعة في الفصل الأول وستة في الفصل الثاني. وقد تناولت مباحث الفصل الأول عدداً من العلاقات بين السور المتتالية في جزء تبارك من حيث المقاصد والمطالع والخواتيم، وتناولت مباحث الفصل الثاني العلاقات داخل السورة الواحدة من سور جزء تبارك من حيث الأسماء والمقاصد والمطالع والخواتيم والفواصل والآيات.

وقد كان البحث في الحقيقة رحلة ماتعة من التأمُّل في لطائف جزء من كتاب الله العزيز، والبحث والتنقيب فيما يحوي في تضاعيف آياته من رائع المجاز، وجميل المعاني، وألوان البديع، وأسرار الإعجاز اللغوي اللفظي والمعنوي. وقد استصحبت الباحثة في بيان أوجه هذه العلاقات ما جمعته من أمهات كتب البحث في المناسبات القرآنية من آراء علمائها وبدائع تأمُّلاتهم، إلى جانب ما بذلته من جهد في تأمُّلاتها الشخصية، مستفيدة في ذلك مما توصَّلت إليه من فهم لمعاني الآيات، استقته من أمَّهات تفاسير القرآن الكريم قديمها وحديثها.

والمناسبة بين المطلع والخاتمة قد تكون لفظية بحيث تُختتم السورة بتكرار لفظ أو ألفاظ مما ابتُدئت به، مع الحفاظ على تكرار المعنى نفسه. وقد تكون المناسبة معنوية أيضاً، وذلك بتكرار المعنى دون اللفظ بما يشبه الاختتام بتأكيد الابتداء. وقد تكون معنوية بالتضاد بين المعنيين كإثبات معنى في المطلع ونفيه في الخاتمة، أو وعد في المطلع ووعيد في الخاتمة، أو توبيخ وثناء، ونحو ذلك.

ولم يكن الأمر سهلاً يسيراً في كل الأحوال، فقد احتاج البحث في كشف وجه العلاقة في بعض الأحيان إلى تأمُّل طويل، وإعمال للفكر وقدح للذهن. ومن الأمور التي ساعدت كثيراً في إنجاز مهمة الربط بين السور والآيات من الأوجه المختلفة وقوع سور الجزء كلها باستثناء واحدة فقط في حقل السور المكية التي تشترك في ملامح مقاصدها، ومنهج خطابها، وتآلف موضوعاتها وتكاملها. ومما ساعد الباحثة أيضاً اعتمادها في أخذ التفاسير في أكثر الأحيان من كتب التفسير التي مالت إلى إبراز أوجه الربط بين معاني الآيات والإشارة إلى المناسبات أكثر من تلك التي مالت إلى إبراز المعاني المعجمية للألفاظ وبيان الأوجه الإعرابية، ولكنها لم تستغنِ

عنها تماماً، بل احتاجتها في بعض الأحيان. وقد لاحظت الباحثة أن بعض التفاسير الحديثة تنقل كثيرا من التفاسير القديمة، ولكنها لا تكتفي بذلك، بل تضيف لمسات تأمُّلية رائعة، وقد تكون لغتها في بعض الأحيان أوضح وأقرب إلى الفهم المباشر؛ ولذا يلاحظ القارئ أن الباحثة أخذت من بعض هذه التفاسير التي اشتهر عنها بين الباحثين أنها تنقل من التفاسير القديمة. ولم يكن النقل عن بعض التفاسير القديمة وقفاً على التفاسير الحديثة، بل إن بعض التفاسير القديمة نقلت عن الأقدم.

واحتاجت الباحثة في بعض المباحث إلى أن تختار آيات بعينها تعالج موضوعات محددة؛ لتطبِّق عليها فكرة المبحث في النظر إلى علاقة المقاصد أو المطالع أو الخواتيم ونحو ذلك. وقد كان هذا الاختيار مبنيّاً على أن يتناول مجموع الآيات موضوعاً واحداً اتصلت تفاصيله في الآيات المتتالية؛ لأن في ذلك سهولة في كشف أوجه الترابط، واجتناباً لما قد يقود إلى الاعتساف في إيجاد العلاقات. وكان اختيار الآيات المتباينة في بعض الأحيان بغرض التمثيل لأوجه بلاغية مختلفة للربط بين الجزئين المطلوبين في عنوان المبحث؛ لأن الربط قد يكون بوجه من أوجه التوافق واستكمال المعاني، وقد يكون بوجه من أوجه التباين والتضاد.

وربما يلاحظ القارئ الكريم أن الباحثة قد كررت تناول آيات معينة في أكثر من مبحث وأعادت تفسيرها. غير أن ذلك كان بغرض النظر إليها في إطار علاقة أخرى غير التي نظرتها في المبحث السالف؛ وذلك لأن الآية قد تكون من آيات المطلع فتنظر إليها في المرة الأولى في إطار العلاقة بين المطلع والمقصد، ثم تنظر إليها في المرة الأخرى في إطار العلاقة بين المطلع والخاتمة، وهكذا.

وأخيراً فإن الباحثة تحمد الله حمد الشاكرين على أن وفَّقها إلى إتمام هذا البحث، وتسأله أن يكون قد جاء – كما أرادته – خالياً من زلل حدث في فهم معاني كتابه الكريم، وأن يكون قد حقق ما صبت إليه من كشف وجوه التناسب البلاغي بين سور جزء تبارك، وأن يتقبَّله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً لطلاب العلم من أبناء المسلمين وصلى الله وسلم على رسوله وآله وصحابته ومن والاه.

النتائج

توصَّلت الباحثة بعد إتمام بحثها إلى نتائج فيما سبق أن افترضته في موضوعات المباحث المختلفة من وجود علاقات بين كل سورة من سور جزء تبارك وسابقتها، أو علاقات داخل السورة الواحدة. وقد افترضت وجود هذه العلاقات بين المطالع والأسماء والخواتيم والمقاصد والآيات والفواصل. وستثبت الباحثة هذه النتائج الآن وفق ترتيب المباحث.

نتائج مباحث الفصل الأول: بلاغة التناسب بين السور:

المبحث الأول: علاقة مقصود السورة بمقصود ما قبلها:

لم تُحدِّد الباحثة فروضاً للبحث تحت عنوان فروض البحث، غير أن عناوين المباحث المختلفة كانت فروضاً بقيام علاقات معيَّنة بين أجزاء من السور والآيات.

وبعد البحث والتأمُّل في مقاصد سور جزء تبارك توصَّلت الباحثة إلى وجود علاقة بين مقصود كل سورة من سوره بمقصود سابقتها. وتنوَّعت هذه العلاقات الرابطة بين المقاصد، فكان منها:

١- التكميل: إذ يكمِّل مقصود السورة اللاحقة مقصود السورة السابقة، كما في مقصد القلم بمقصد الملك، والمعارج مع الحاقة.

٢- إبراز الدليل: حيث يأتي مقصود السورة اللاحقة دليلاً على معنى في مقصود السورة السابقة، كما جاء في مقصد نوح مع المعارج.

٣- تفصيل المجمل: وفيه يأتي مقصود السورة اللاحقة تفصيلاً لما أجمل في مقصود السورة السابقة، كالامثلة والشواهد التي جاءت مجملة في القلم جاءت تفسيرها في الحاقة.

المبحث الثاني: علاقة مطلع السورة بخاتمة ما قبلها:

استطاعت الباحثة أن تصل إلى نتيجة في هذا الافتراض مفادها أن ثمة صوراً مختلفة للعلاقة بين مطلع السورة وخاتمة ما قبلها، ومن تلك الصور:

١- الاستئناف: حيث يأتي مطلع السورة اللاحقة استئنافاً لخاتمة السورة السابقة، كما جاء في مطلع القلم بخاتمة الملك.

٢- التفسير: إذ يكون مطلع السورة اللاحقة تفسيراً وإيضاحاً لمعنى تضمَّنته خاتمة السورة السابقة، كمطلع الإنسان بخاتمة القيامة.

٣- الردُّ والتفنيد: وفيه يأتي المطلع ردًّا على ادِّعاء أو زعم زعمه الكفار، أو تفنيداً لحجة من حججهم، مطلع المعارج بخاتمة الحاقة.

المبحث الثالث: علاقة مطلع السورة بمطلع ما قبلها:

احتاجت الباحثة لإثبات الافتراض المضمَّن في عنوان هذا المبحث إلى كثير من التأمُّل وقدح الذهن لاستكشاف صور تناسب المطالع، ولكنها بحمد الله استطاعت أن تلمح شيئاً من هذه العلاقات المتمثِّلة في الصور التالية:

١- التأكيد: بحيث يأتي مطلع السورة اللاحقة تأكيداً لمطلع السورة السابقة، كمطلع الحاقة تاكيداً لما جاء في مطلع القلم.

٢- المثال: إذ يأتي مطلع السورة اللاحقة مثالاً على معنى ذُكر في مطلع السورة السابقة، كمطلعي الحاقة والقلم.

٣- التقابل كما في مطلع الجن بمطلع نوح.

المبحث الرابع: علاقة خاتمة السورة بخاتمة ما قبلها:

توصَّلت الباحثة بعد النظر في هذا الافتراض إلى وجود شواهد تثبت قيام علاقة بين خاتمة كل سورة من سور الجزء بخاتمة السورة التي قبلها، وجاء ذلك في صور منها:

١- التخصيص: تكون خاتمة السورة اللاحقة في هذه الصورة تخصيصاً لمعنى ورد عامًّا قي خاتمة السابقة، كما جاء في خاتمة الحاقة من تخصيص جاء عنه الحديث موجزاً في خاتمة القلم.

٢- التوسُّع: يأتي الكلام مقتضباً عن معنى في خاتمة السورة السابقة فتأتي خاتمة اللاحقة توسُّعاً فيه، كخاتمة المعارج بخاتمة الحاقة، وخاتمة المزمل بخاتمة الجن.

٣- التعليل: فتأتي خاتمة السورة اللاحقة تعليلاً لمعنى جاء في خاتمة السابقة، كما جاء في خاتمة المدثر بخاتمة المزمل.

٤- التأكيد وزيادة المعنى كما جاء في علاقة خاتمة الإنسان بخاتمة القيامة.

نتائج مباحث الفصل الثاني: بلاغة التناسب في السورة الواحدة:

المبحث الأول: علاقة اسم السورة بمقصودها:

توصَّلت الباحثة بعد التأمُّل والبحث والنظر في المراجع إلى ثبات فرض أن لكل اسم سورة من سور جزء تبارك علاقة وطيدة بمقصودها، وجاء ذلك في صور:

١- التطابق: حيث يطابق معنى اسم السورة مطابقة تامَّة مقصودها، كالملك مع مقصودها تطابق تام.

٢- التكرار: إذ يتكرر اسم السورة في كثير من مقاصدها وأغراضها التي ذكرها بعض العلماء، كما في سورة الحاقة.

المبحث الثاني: علاقة مطلع السورة بمقصودها:

ثبت للباحثة أن لكل مطلع من مطالع سور جزء تبارك علاقة بمقصودها، وتعددت أيضاً الصور التي تجلَّت فيها هذه العلاقة، فكان منها:

١- التحدِّي: حيث تشتمل آيات المطلع، والمقصود كلاهما على معنى التحدِّي، كمطلع القلم بمقصودها .

٢- التسلية: تأتي آيات المطلع تسلية للرسول ﷺ، ويكون هذا من مقاصدها، كمطلع القلم بمقصودها.

٣- التهديد: حيث تتضمَّن آيات المطلع، والمعاني المقصودة من السورة تهديد المشركين وتخويفهم، كمطلع الحاقة بمقصودها ومطلع الإنسان بمقصودها.

المبحث الثالث: علاقة خاتمة السورة بمقصودها:

نظرت الباحثة في افتراض أن لخاتمة السورة علاقة بمقصودها، وبعد البحث والتأمُّل واستصحاب آراء علماء المناسبة القرآنية، ثبت لها صحة هذا الفرض الذي ظهر في صور:

١- الدعاء: حيث تشتمل الخاتمة على دعاء هو من صميم مقاصد السورة وأغراضها، خاتمة نوح كما في خاتمة نوح بقصودها.

٢- البشارة: إذ تتضمَّن الخاتمة معاني التبشير بحسن العاقبة، ويمثِّل ذلك نفسه مقصداً من مقاصد السورة كخاتمة المدثر بمقصودها وخاتمة المرسلات بمقصودها.

٣- النذارة: في خواتيم بعض سور جزء تبارك نذارة للمشركين بسوء المآل، وهي من مقاصدها، كخاتمة المعارج بمقصودها المدثر أيضاً.

المبحث الرابع: علاقة مطلع السورة بخاتمتها:

توصَّلت الباحثة إلى أن هناك علاقة بين مطلع كل سورة من سور جزء تبارك وخاتمتها، وتظهر هذه العلاقة في عدد من الصور، منها:

١- تكرار اللفظ: حيث يتكرر في الخاتمة لفظ أو ألفاظ ذكرت في المطلع، كما في القلم –الحاقة–المعارج.

٢- تكرار المعنى: إذ يتكرر معنى دون لفظه في الخاتمة سبق ذكره في المطلع، كما في الملك–القلم–الحاقة–القيامة–الإنسان.

٣- التضاد: يكون المعنى في الخاتمة في هذه الحالة مضادًّا لمعنى جاء في المطلع، كما في نوح.

المبحث الخامس: المناسبة بين الفواصل وآياتها:

كانت نتيجة هذا المبحث صحَّة الافتراض المتضمَّن في عنوانه، وقد ثبت للباحثة قيام هذه العلاقة في صور منها:

١- التمكين: حيث يكون المعنى في صدر الآية تمهيداً للفاصلة، فتأتي مستقرة في مكانها غير قلقة، كما في الملك –القلم–المعارج–الجن.

٢- التصدير: إذ تكون لفظة الفاصلة قد تقدمت في صدر الآية، ويسمى أيضاً رد العجز على الصدر، كما في القلم-المعارج-المدثر.

٣- التوشيح: وذلك أن يكون في صدر الآية ما يستلزم الفاصلة بدلالة معنوية، كما في الملك .

٤- الإيغال: إذ تقع الفاصلة في كلام زائد تم المعنى بدونه بغرض الإمعان، كما في المعارج.

المبحث السادس: العلاقة بين آيات السورة:

افترضت الباحثة في هذا المبحث وجود علاقة بين الآيات المتتالية في السورة الواحدة، وبعد الدراسة والبحث والاستئناس ببعض التفاسير، توصَّلت إلى نتيجة مفادها صحة هذا الفرض، وثبتت لها هذه العلاقة في صور منها:

١- توافق المعاني: حيث يوافق معنى الآية اللاحقة المعنى المتضمَّن في الآية السابقة، مثل (الملك-المعارج-المزمل-المدثر).

٢- تضاد المعاني: حيث يضاد معنى الآية اللاحقة المعنى المتضمَّن في الآية السابقة، مثل المدثر.

٣- التأكيد: إذ يؤَكِّد معنى الآية اللاحقة المعنى المتضمَّن في الآية السابقة، مثل القلم.

٤- التفصيل: يفصِّل في هذه الحالة معنى في الآية اللاحقة جاء مجملاً في الآية السابقة، مثل (المعارج-الجن-القيامة-الإنسان).

وقد ثبت بهذا صحة جميع الافتراضات التي جاءت متضمَّنة في عناوين المباحث العشرة في الفصلين الأول والثاني.

التوصيات

أتاحت تجربة إنجاز هذا البحث للباحثة ملاحظات من شأنها أن تجعلها قادرة بحول الله على اقتراح حلول، وتقديم توصيات تحسبها مفيدة لمن يريد البحث في علم المناسبة في القرآن الكريم. وهي ملاحظات تتعلق بأدوات البحث ومنهجه، وسبل الاستفادة القصوى من المراجع. وهي توصي الباحثين بما يلي:

١- الاهتمام بدراسة المناسبة في القرآن الكريم، فلا يزال ميدان البحث في القرآن محتاجاً لهذا النوع من البحوث، بل إن ما أُنجز منه قليل للغاية.

٢- توسيع مضمار البحث ليشمل الأوجه العديدة للمناسبة القرآنية، فأكثر البحوث الحديثة تقتصر على جانب أو جانبين من جوانب التناسب في القرآن الكريم، ولا سيما مناسبة الفواصل لآياتها.

٣- تركيز البحوث على أجزاء القرآن التي قلَّ تناولها في البحوث الحديثة.

٤- تركيز البحوث على أوجه التناسب التي قل بحثها في القرآن الكريم.

٥- ضرورة استعمال الباحث لأساليب التأمُّل وقدح الذهن وإمعان النظر لاستكشاف علاقات التناسب التي يريدها في موضوع بحثه.

٦- عدم اكتفاء الباحث بما أورده علماء المناسبة في كشف علاقات التناسب، فقد تتكشَّف له أوجه لعلاقات لم يتسنَ لهم أن يدركوها.

٧- الاستعانة بأكبر قدر يتاح للباحث من التفاسير قديمها وحديثها.

٨- التركيز على التفاسير التي تشير إلى علاقات التناسب، ولا تقف عند حدود توضيح المعاني المعجمية، وإبراز الأوجه الإعرابية.

٩- تجنُّب التفاسير الغريبة والشاذَّة غير المقبولة لدى العلماء حتى لو كانت تخدم البحث.

١٠- أخذ الحذر عند الاستعانة بالتفاسير التي تعكس شيئاً من الميول المذهبية للمفسِّرين، والأخذ منها ما يتوافق مع منهج أهل السنة والجماعة.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
الألف		
﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾	الملك ١٦	٢٠٤
﴿ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	القلم ٣٥	٤٥
﴿ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾	المزّمّل ٤	٦٤
﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ﴾	القيامة ٣	٦٦
﴿ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴾	القيامة ٣٦	٨٢
﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾	الجنّ ٢٣	٤٩
﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾	القيامة ٢٣	١٩٦
﴿ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴾	المرسلات ٢٢	٤١
﴿ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾	الجنّ ٢٧	١٣٩
﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	الملك ١٤	١٨١
﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴾	نوح ١٥	١٨٨

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾	المرسلات ٢٠	١٩٩
﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾	القيامة ٣٧	١٤٦
﴿ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾	القيامة ٤٠	٥٣
﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ﴾	الملك ٢١	٣٠
﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾	هود ٣٦	١٣٧
﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾	الإنسان ٥	١٠٤
﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	نوح ١	١١٥
﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴾	الإنسان ٤	٥٣
﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾	القلم ١٧	٣٠
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	الإنسان ٢	٦٩
﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾	المزّمّل ٥	٣٧
﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	المرسلات ٤٤	١٥١
﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾	الإنسان ١٠	٤١
﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	الإنسان ٣	٥٣

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾	القلم ٧	٥٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾	المزّمّل ٢٠	٢٧
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾	القيامة ١٧	٢١٧
﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾	نوح ٢٧	١٦٤
﴿ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴾	المزّمّل ١٢	١٩٢
﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾	القلم ٣٤	٣٢
﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴾	المرسلات ٧	٤١
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾	المرسلات ٤١	١٥٠
﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾	القيامة ٢٧	٤٠
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾	المزّمّل ١٩	٨٠
﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾	الإنسان ٢٩	١٤٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ ﴾ ﴾	المزّمّل ٢٠	٢٧
الباء		
﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾	القيامة ٤	٦٧
التاء		

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	الملك ١	٨٩
﴿ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾	القيامة ٢٥	١٩٧
﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾	المعارج ٤	٢٠٩
الثاء		
﴿ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾	نوح ٩	٦٢
﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾	القيامة ١٩	٢١٨
﴿ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾	نوح ٨	٦٢
: ﴿ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾	الحاقَّة ٣١	٣٢
: ﴿ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴾	الحاقَّة ٣٢	٣٢
﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴾	القيامة ٣٨	١٤٧
﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾	المدَّثِّر ١٥	١٩٥
﴿ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴾	نوح ١٨	٢١٠
الحاء		

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱلْحَآقَّةُ ﴾	الحاقَّة ١	١١٢
الخاء		
﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾	المعارج ٤٤	٧٧
﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾	الحاقَّة ٣٠	٣٢
الذال		
﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾	المدَّثِّر ١١	١٩٤
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ ﴾	الملك ٣	١٠٩
﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾	الملك ٢	٣٠
الراء		
﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾	نوح ٢٨	١٣٨
﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	الفاتحة ٣	١٦
السين		
﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾	المعارج ١	٩٥
﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾	الحاقَّة ٧	١٨٤
﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾	المزَّمِّل ١٨	١٩٤
العين		

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	الجنّ ٢٦	١٣٩
﴿ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴾	المرسلات ٦	١٢٧
﴿ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴾	المعارج ٤١	١٨٦
﴿ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴾	المدَّثِّر ١٠	١٦٨
الفاء		
﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾	القيامة ١٨	٢١٧
﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴾	المرسلات ٨	٤١
﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴾	الحاقَّة ١٣	٣٣
: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴾	المدَّثِّر ٨	١٦٨
﴿ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴾	القلم ٢٠	٣١
﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴾	الإنسان ٢٤	٢٧
﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ﴾	المرسلات ٥٠	١٥٢
﴿ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾	القلم ٤٤	٤٥
﴿ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴾	المدَّثِّر ٩	١٦٨
﴿ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴾	المرسلات ٢١	٢٠٠

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾	المعارج ٤٢	٣٣
﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾	الحاقَّة ٥٢	١٣٤
﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾	القلم ٥	٥٧
﴿ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾	الملك ٢٩	٩٢
﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾	القلم ١٩	٣١
﴿ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴾	المرسلات ٢	١٠٥
﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾	المزَّمِّل ١٦	٧٩
﴿ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾	الحاقَّة ١٠	١١٣
﴿ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴾	المرسلات ٤	١٠٥
﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾	المرسلات ٢٣	٢٠٠
﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾	نوح ١٠	٣٥
﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾	المزَّمِّل ١٧	١٩٣
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴾	المعارج ٤٠	٣٤
﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾	القلم ٨	١٨٢
﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴾	القيامة ٣١	٨٣

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴾	نوح ٦	١٨٧
﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴾	الحاقَّة ٣٥	٣٢
﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾	المدَّثِّر ٤٩	٨٠
﴿ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾	الحاقَّة ٢١	٣٢
﴿ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾	الإنسان ١١	١٩٧
﴿ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾	الحاقَّة ٢٢	١٨٤
﴿ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾	الحاقَّة ١٥	٢٠٧
القاف		
﴿ق﴾	ق ١	٢٠
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾	نوح ٥	١٨٧
﴿ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴾	المدَّثِّر ٤٣	٢١٥
﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾	الحاقَّة ٢٣	١٨٥
﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾	الناس ١	٢٠
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾	الملك ٣٠	١٣٠
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا	الملك ٢٥	٧١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	الجنّ ٢٠	٢١١
﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾	الجنّ ٢١	٢١٢
﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾	الجنّ ٢٢	٢١٢
﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾	الملك ٢٩	٩٢
﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ ﴾	الجنّ ١	١٦٤
﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾	المدَّثِّر ٢	١٠١
: ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	المزَّمِّل ٢	١١٩
الكاف		
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	ص ٢٩	٣
﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴾	الحاقَّة ٤	١١٣
﴿ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ ﴾	القلم ٣٣	٣١
﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴾	المدَّثِّر ٥٤	١٤٤
﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴾	القيامة ٢٠	٤٠
﴿ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾	المدَّثِّر ٥٣	٣٨
﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾	الحاقَّة ٢٤	٣٢

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾	المرسلات ٤٣	١٥٠
﴿ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ﴾	المرسلات ٤٦	١٥١
اللام		
﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾	القيامة ١	٦٧
﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴾	القيامة ١٦	٢١٧
: ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴾	المرسلات ١٢	٤١
﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	الأنعام ١٠٣	١٧
﴿ لَا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴾	الحاقَّة ٣٧	٣٢
﴿ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴾	المعارج ٢	٢٠٨
﴿ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ ﴾	الجنّ ٢٨	١٤٠
﴿ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴾	المرسلات ١٣	٤١
الميم		
﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴾	الحاقَّة ٢٨	٣٣
﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾	القلم ٢	١١١
﴿ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴾	الحاقَّة ٢	٥٨
﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴾	المدَّثِّر ٤٢	٢١٥

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾	الفاتحة ٤	١٦
﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴾	الإنسان ١٣	١٩٨
﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾	نوح ٢٥	٧٦
﴿ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴾	المعارج ٣	٩٥
النون		
﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ ﴾	الإنسان ٢٨	٨٤
﴿ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴾	المزّمّل ٣	١٦٦
﴿ نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾	القلم ١	٥٩
الهاء		
﴿ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ﴾	المرسلات ٣٨	٨٥
﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ ﴾	الإنسان ١	١٠٣
﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَانِيَهۡ ﴾	الحاقّة ٢٩	٣٣
﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ ﴾	الملك ١٥	٢٠٣
الواو		
﴿ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴾	المرسلات ١٠	٤١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾	المرسلات ١١	٤١
﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾	المرسلات ٩	٤١
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴾	المرسلات ٤٨	١٥٢
﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ	الأنفال ٣٢	٦١
﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	الملك ١٣	١٨٠
﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾	المزّمّل ١٠	٦٥
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾	نوح ١٧	٢١٠
﴿ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾	الجنّ ١٥	١٩١
﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ ﴾	الحاقَّة ٢٥	٣٣
﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾	الحاقَّة ٦	١٨٣
﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن ﴾	الجنّ ١٢	١٩٠
﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ ﴾	الجنّ ١٣	١٩٠
﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴾	الحاقَّة ٤٩	١٣٤
﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾	الجنّ ١١	١٨٩
﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ ﴾	الجنّ ١٤	١٩١

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾	نوح ٢٦	١٦٤
﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾	الحاقَّة ١٦	٢٠٧
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم ٤	٢٠٦
﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾	القلم ٣	٢٠٥
﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ﴾	الجنّ ١٦	٣٥
﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾	الجنّ ٣	١١٩
﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	الحاقَّة ٤٨	١٣٣
﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	الحاقَّة ٥٠	٧٤
﴿ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾	الحاقَّة ٥١	٧٤
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾	الجنّ ١٩	٢١١
﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾	القلم ٥١	٧٢
: ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ﴾	نوح ٧	١١٧
﴿ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾	المدَّثِّر ١٣	١٩٦
﴿ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾	القيامة ٢١	١٩٦

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾	الحاقَّة ١٢	٩٣
﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴾	المعارج ٩	١٨٥
﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾	المدَّثِّر ٤	١٢٢
﴿ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾	الحاقَّة ٩	١١٣
﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾	الإنسان ١٢	١٩٨
﴿ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴾	المدَّثِّر ١٢	١٩٤
﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾	نوح ١٦	١٨٩
﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴾	القيامة ٢٣	١٩٧
﴿ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾	الحاقَّة ١٤	٢٠٦
﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾	الإنسان ١٤	١٩٨
﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾	القلم ٩	١٨٢
﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾	المزَّمّل ١١	٣٦
﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾	المدَّثِّر ٣	١٢٢
﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴾	المدَّثِّر ٥	١٢٢
﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴾	المعارج ١٢	٣٣

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾	المزّمّل ١٣	١٩٢
﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾	الفجر ١	١٦
﴿ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴾	المعارج ١٣	٣٣
﴿ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾	المرسلات ٤٢	١٥٠
﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ ﴾	نوح ٢٣	٤٨
﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	نوح ٢٦	١٦٤
﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	المدَّثّر ٤٦	٣٨
﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾	المدَّثّر ٤٥	٢١٥
﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾	القيامة ٢	١٢٣
﴿ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	الحاقَّة ٤٢	٩٣
﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾	المدَّثّر ٦	١٢٢
﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴾	الحاقَّة ٣٦	٣٢
﴿ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴾	المعارج ١٠	١٨٦
﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴾	المدَّثّر ٧	١٢٢
﴿ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ﴾	الملك ٥	١٠٩

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾	القيامة ٣٢	٨٣
﴿ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾	الحاقَّة ٢٦	٣٣
﴿ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾	المدَّثِّر ٤٤	٢١٥
﴿ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾	الفجر ٢	١٦
﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴾	المرسلات ١٤	٤١
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾	الإنسان ٣٠	١٤٨
﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	القلم ٥٢	١٨٣
﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾	الحاقَّة ٤١	٩٣
﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴾	المدَّثِّر ٥٥	١٦٨
﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾	المرسلات ١	١٠٥
﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾	الحاقَّة ١٧	٣٣
﴿ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴾	المعارج ١٤	٣٣
﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ ﴾	الجنّ ٢٣	٧٨
﴿ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴾	المدَّثِّر ١٤	١٩٥
﴿ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴾	المرسلات ٣	١٠٥

الآية	السورة ورقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴾	القيامة ٢٤	١٩٧
﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾	الإنسان ٧	٤١
﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾	الإنسان ١٥	١٩٩
﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾	المرسلات ٤٥	١٥١
الياء		
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾	المدَّثِّر ١	١٢١
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾	المزَّمِّل ١	٩٩
﴿ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾	الحاقَّة ٢٧	٣٣
﴿ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ ﴾	المعارج ١١	٣٣
﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ ﴾	الإنسان ٣١	٨٥
يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾	نوح ١١	٣٥
﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾	القيامة ٦	٦٨
﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾	المزَّمِّل ١٤	٢١٤
﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾	المعارج ٨	١٨٥
﴿ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ﴾	المعارج ٤٣	٧٥
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾	القلم ٤٢	٤٤

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
حرف الألف	
[اختلفوا في نوح وإدريس فقالوا: إن إدريس قبله، وأكثر الصحابة ...]	٩٦
[أُعطيت مكان التوراة، السبع الطوال، ومكان الزبور المئين، ...]	٢٠
[إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له ...]	٨٩
حرف الباء	
[بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة]	٩٧
حرف الخاء	
[خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه]	١٩
حرف القاف	
[قال الله عزَّ وجلَّ: أنا أهل أن أتّقى، فمن اتَّقاني فلم يجعل معي إلهاً ...]	١٤٥
حرف الكاف	
[كنا مع رسول الله ﷺ وأنزلت عليه (والمرسلات) ...]	١٠٥
حرف الميم	
[ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم ولكنه ...]	٩٨
حرف الهاء	
[هي المانعة وهي المنجية تنجيه من عذاب القبر]	٨٩

المراجع

القرآن الكريم.

ابن أبي الإصبع المصري، (١٩٦٣م). **تحرير التحبير**، (تقديم وتحقيق شرف، حفني مُحَمَّد). جمهورية مصر العربية. لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

ابن عاشور، مُحَمَّد الطاهر، (١٩٨٤م). **تفسير التحرير والتنوير**، تونس، الدار التونسية للنشر.

ابن فارس، أحمد بن فارس، (١٩٧٩م). **معجم مقاييس اللغة**، (تحقيق هارون، عبد السلام مُحَمَّد)، القاهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن قيّم الجوزية، مُحَمَّد بن إبي بكر، (٢٠٠٩م). **زاد المعاد في هدي خير العباد**. (ضبط نصَّه الأرنؤوط، شعيب؛ وعبد القادر الأرنؤوط)، (ط١)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، (د.ت.). **لسان العرب**، بيروت، دار صادر.

أبو حيان، مُحَمَّد بن يوسف، (١٩٩٣م) **تفسير البحر المحيط**. (دراسة وتحقيق وتعليق معوض، عادل وعلى مُحَمَّد)، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين، (١٩٩٥م). **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين،(٢٠٠٠م). **صحيح الترغيب والترهيب**، ط١، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (٢٠١٠م). **روح المعاني**، (تحقيق القاسم، زهير؛ وطالب، أحمد)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الإمام أحمد بن حنبل، (١٩٩٥م). **المسند**، (شرحه وصنع فهارسه شاكر، أحمد مُحَمَّد)، (ط١)، القاهرة، دار الحديث.

أنيس، إبراهيم؛ ومنتصر، عبد الحليم؛ والصوالحي، عطية؛ وأحمد، مُحَمَّد خلف الله، **المعجم الوسيط** (٢٠٠٤م). (ط٤ جزء واحد)، مجمع اللغة العربية، القاهرة، دار الشروق الدولية.

البخاري مُحَمَّد بن إسماعيل. (٢٠٠٢م). **صحيح البخاري**. (ط١)، بيروت، دار ابن كثير.

البعوي، أبو مُحَمَّد الحسين، (١٤١٢هـ). **معالم التنزيل**. (حققه وخرج أحاديثه النمر، مُحَمَّد عبد الله؛ وضميرية، عثمان جمعة؛ والحرش، سليمان مسلم)، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، (د.ت.). **نظم الدرر قي تناسب الآيات والسور**، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن. (١٩٨٧م). **مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور**. (تحقيق أحمد، عبد السميع مُحَمَّد)، (ط١)، الرياض، مكتبة دار المعارف.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله، (د.ت.). **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، (إعداد وتقديم المرعشلي، مُحَمَّد)، (ط١)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الترمذي، مُحَمَّد بن عيسى، (١٩٩٦م). **الجامع الكبير**. (حققه وخرَّج أحاديثه وعلق عليه معروف، بشار عواد). (ط١)، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

الحاكم، مُحَمَّد بن عبد الله النيسابوري، (٢٠٠٢م). **المستدرك على الصحيحين**، (دراسة وتحقيق عطا، مصطفى عبد القادر)، بيروت، دار الكتب العلمية.

الحسناوي، مُحَمَّد، (١٩٩٨م). **الفاصلة في القرآن الكريم**، (ط٢)، عمان، دار عمار.

الخفاجي، ابن سنان، (١٩٨٢م). **سر الفصاحة**، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

الرماني، علي بن عيسى. **النكت في إعجاز القرآن**. (تحقيق خلف الله، مُحَمَّد؛ وسلامة، زغلول)، القاهرة، دار المعارف بمصر.

الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد، (د.ت.). **البرهان في علوم القرآن**، (تحقيق إبراهيم، أبو الفضل بن إبراهيم)، القاهرة، دار التراث.

الزمخشري، جار الله مُحَمَّد بن عمر، (٢٠٠٩م). **تفسير الكشّاف**، (خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه شيحا، خليل مأمون)، (ط٣)، بيروت، دار المعرفة.

السخاوي، علي بن مُحَمَّد، (١٩٨٧م). **جمال القراء وكمال الإقراء**. (تحقيق البواب، على حسين)، مكة المكرمة، مكتبة التراث.

السيوطي، جلال الدين، (١٩٨٦م). **تناسق الدرر في تناسب السور**، (دراسة وتحقيق عطا، عبد القادر أحمد، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين، (١٤٢٦هـ). **مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع**، (قرأه وتمَّمه العسكر، عبد العزيز)، (ط١)، الرياض، مكتبة دار المنهاج.

السيوطي، جلال الدين، (٢٠٠٨م). **الإتقان في علوم القرآن**. (تحقيق الأرنؤوط، شعيب)، (ط١)، دمشق، مؤسسة الرسالة ناشرون.

الشوكاني، مُحَمَّد بن علي، (٢٠١٠م) فتح القدير، الكويت، دار النوادر.

الطبري، مُحَمَّد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق: مُحَمَّد أبي الفضل إبراهيم، ط٢،القاهرة: دار المعارف بمصر، د ت.

الطبري، مُحَمَّد بن جرير، (د.ت.). جامع البيان عن تأويل القرآن، (تحقيق شاكر، محمود مُحَمَّد)، (ط٢)، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.

الغرناطي، أحمد بن الزبير، (١٤٢٨هـ). **البرهان في تناسب سور القرآن**، (تقديم وتحقيق الفلاح، سعيد بن جمعة)، (ط١)، الرياض، دار ابن الجوزي.

الغماري، عبد الله مُحَمَّد، (د.ت.). **جواهر البيان في تناسب سور القرآن**، القاهرة، مطبعة مُحَمَّد عاطف وسيد طه.

فتحي، إبراهيم، (١٩٨٦م)، **معجم المصطلحات الأدبية**، صفاقص، التعاضدية العمالية للنشر.

الفخر الرازي، مُحَمَّد الرازي فخر الدين، (١٩٨١م). **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، (ط١)، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

الفراهي، عبد الحميد الهندي، (١٣٨٨ هـ). **دلائل النظام**، (ط١)، المطبعة الحميدية.

الفيروزابادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب، (٢٠٠٨م). **القاموس المحيط**، (تحقيق العرقسوسي، مُحَمَّد نعيم)، (ط٨)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

القرطبي، أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد، (٢٠٠٦). **الجامع لأحكام القرآن**، (تحقيق التركي، عبد الله عبد المحسن)، (ط١)، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الماوردي، أبو الحسن الماوردي، (د.ت.). **النكت والعيون**، (راجعه وعلق عليه عبد المقصود، السيد)، بيروت، دار الكتب العلمية.

المبارك، مُحَمَّد مختار، (١٤٣٤هـ). **التناسق الموضوعي في سور القيامة والإنسان والمرسلات**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، مكة المكرمة.

المبرد، أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد، (١٩٨٩م). **ما اتفق لفظه واختلف معناه**، (تحقيق أبو رعد، أحمد)، (ط١)، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

المراغي، أحمد مصطفى، (١٩٤٦م). **تفسير المراغي**، (ط١)، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

مقاتل بن سليمان، (٢٠٠٢م). **تفسير مقاتل بن سليمان**، (دراسة وتحقيق شحاتة، عبد الله)، (ط١)، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.

نكري، عبد رب النبي، (٢٠٠٠م). **دستور العلماء** أو جامع العلوم في مصطلحات الفنون، (ط١)، بيروت، دار الكتب العلمية.

يعقوب، أميل بديع؛ وعاصي، ميشال، (١٩٨٧م). **المعجم المفصل في اللغة والأدب**، (ط١)، بيروت، دار العلم للملايين.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١.	إهداء	أ
٢.	شكر وتقدير	ب
٣.	ملخص البحث باللغة العربية	ج
٤.	ملخص البحث باللغة الإنجليزية	هـ
٥.	المقدمة	١
٦.	أهمية الموضوع	٢
٧.	أسباب اختيار الموضوع	٣
٨.	أهداف البحث	٤
٩.	مشكلة البحث	٤
١٠.	الدراسات السابقة	٦
١١.	منهج البحث	٨
١٢.	التمهيد	٩
١٣.	أولاً: التناسب البلاغي في القرآن الكريم	١٠
١٤.	ثانياً: سور جزء تبارك	١٩
١٥.	**الفصل الأول** **بلاغة التناسب بين السور**	٢٨
١٦.	المبحث الأول: علاقة مقصود السورة بمقصود ما قبلها	٢٩
١٧.	المبحث الثاني: علاقة مطلع السورة بخاتمة ما قبلها	٤٣
١٨.	المبحث الثالث: علاقة مطلع السورة بمطلع ما قبلها	٥٦
١٩.	المبحث الرابع: علاقة خاتمة السورة بخاتمة ما قبلها	٧١

م	الموضوع	رقم الصفحة
٢٠.	**الفصل الثاني** **بلاغة التناسب في السورة الواحدة**	٨٧
٢١.	المبحث الأول: علاقة اسم السورة بمقصودها	٨٨
٢٢.	المبحث الثاني: علاقة مطلع السورة بمقصودها	١٠٨
٢٣.	المبحث الثالث: علاقة خاتمة السورة بمقصودها	١٢٩
٢٤.	المبحث الرابع: علاقة مطلع السورة بخاتمتها	١٥٤
٢٥.	المبحث الخامس: المناسبة بين الفواصل وآياتها	١٧٧
٢٦.	المبحث السادس: العلاقة بين آيات السورة	٢٠٢
٢٧.	الخاتمة	٢٢٢
٢٨.	النتائج	٢٢٤
٢٩.	التوصيات	٢٢٩
٣٠.	الفهارس	٢٣١
٣١.	فهرس الآيات القرآنية	٢٣٢
٣٢.	فهرس الأحاديث	٢٤٩
٣٣.	المراجع	٢٥٠
٣٤.	فهرس الموضوعات	٢٥٥